



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الرد القاطع على حملة الأسفار، الذين حكموا بحرمة إحياء الآثار

(وهو نقض لفتوى الشيخ عبد العزيز بن باز الشنيعة المحرمة لإحياء الآثار)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبُهُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، (آل عمران؛ 3: 102)؛  
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، (النساء؛ 4: 1)؛  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}، (الأحزاب؛ 33: 70)؛  
«إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

والصلاة والسلام والتبريكات التامة الكاملة على نبينا وإمامنا وحبیب قلوبنا وشفیعینا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المخلصين المجاهدين، وهو الأسوة الحسنة، نعم الأسوة، ونعم القدوة.

أَمَّا بَعْدُ: فقد احتدم النقاش، وكثر الجدل مؤخراً حول ما أصاب الآثار الإسلامية من هدم وتخريب، بل وامتتهان وتحقير عندما سوي بعضها بالأرض وأنشأ مكانه مراحيض للمسجد الحرام؛ وها هو نظام آل سعود الكفري الخبيث، مدعوماً بـ(جوقة) من فقهاء الظلاميين، الغلاة المارقين، يسعى لإزالة القبة الخضراء المبنية على البيت النبوي الشريف، وطمس بئر ذي طوى، وغيرها.

ولرجالات الفرقة الوهابية فتاوى معلومة، وردود مفصلة على اقتراحات المفكرين والأدباء والصحفيين حول إحياء الآثار والاهتمام بها؛ لعل من أهمها تلك الفتوى التي أملاها الشيخ عبد العزيز بن باز، ولعله فعل ذلك أواسط سنة 1402 هـ، الموافق وسط 1982م، المعنونة: (حكم الإسلام في إحياء الآثار)، وهي موجودة في موقعه كما تجدها بعينها، للأمانة العلمية، مطبوعة بصيغة بي دي إف (PDF)، ملحقة بـردنا هذا كآخر ملحق، وتجد النص مجرداً، منسقاً، صالحاً للاقتباس قبيلاً ذلك في ملحق مستقل.

## الرد القاطع على حملة الأسفار، الذين حكموا بحرمة إحياء الآثار

وأهمية هذه الفتوى لا تعود لذاتها، وإنما تعود إلى مكانة من أملاها: فالشيخ عبد العزيز بن باز، رأس الفرقة الوهابية، و(بابا) الكنيسة النجدية؛ وفي معتقد مقلدته: هو الفقيه العلامة، بقية السلف الصالح، إمام الدعوة السلفية في هذا الزمان، مجدد القرن الخامس عشر الهجري، وحجة الله على العالمين؛ أما الفتوى نفسها فليس فيها أثارة من علم، ولا مظهر من تحقيق أو بحث وتدقيق، وإنما هي تعبير عن الإسقاطات والأمراض النفسية، والهوس القبوري الذي تميزت به الفرقة الوهابية؛ وهي من البراهين القاطعة ليس فقط على إفلاس الدعوة الوهابية الفكري، بل وعلى ضلالها العقدي.

فنقول: الحكم الصحيح بالنسبة للآثار، وبخاصة الإسلامية، هو استحباب، بل وجوب، المحافظة عليها، وصيانتها، وإحيائها: كل نوع بحسبه، كما هو بأدلته الشرعية التفصيلية في بحثنا المعنون: (نهي عن أطام المدينة أن تهدم)، وهو أول الملاحق بهذا الرد. هذا هو البناء والتأسيس الصحيح. وقد كان المفروض أن يكون هذا كافياً شافياً. إلا أنه لم يسعنا، في ما بيننا وبين الله، أن نترك ما اشتملت عليه فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز من الوسواس المرضية، والأغلاط الفادحة، والسفسطة في المعقولات، والقرمطة في السمعيات، من غير هدم ونسف من الأساس، تماماً كما أن البناء لا يستقيم إلا بعد تسوية الأرض، ودكها دكاً متقناً للتأكد من خلوها من الخلل والفجوات، ثم التأسيس، فالبناء الصحيح.

أولاً: قال الشيخ عبد العزيز بن باز نصاً: (إن العناية بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيد، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقة أو مزعومة بلا حجة يتضح له كيف يتمسح الجهلة بترابها، وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها ويدعو من نسبت إليه، ظناً منهم أن ذلك قربة إلى الله سبحانه، ولحصول الشفاعة وكشف الكربة، ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم، والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتها لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالباً من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط، بل الغالب العكس، ويشاهد العاقل ذلك واضحاً في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء، فكيف إذا قيل لهم: إن هذه آثار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما أن الشيطان لا يفتر في تحين الأوقات المناسبة لإضلال الناس،... إلخ)

فنقول: كل هذا خيال شاطح جامح، لا وجود له في الحقيقة؛ وإن صح بعضه، وهو غير صحيح قطعاً، (في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء)، كما قال الشيخ عبد العزيز بن باز فهذا إنما يكون في (مزارات الأولياء)، وهذه لا علاقة لها بالآثار: فهذه شيء، وتلك شيء آخر.

ولكن حتى قوله: (في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء) غير صحيح قطعاً لأن التعلق بالأضرحة، والارتقاء عليها، والتمرغ بترابها، وحتى السجود لها ليس عبادة، ولا هو من بابها، إلا إذا كان مسبقاً باعتقاد شيء من الألوهية في المقبور، أي من ندية المقبور لله، ولو في اعتبار جزئي واحد. وقد أصلنا هذا، بحمد الله ومنته، في كتابنا: (كتاب التوحيد: أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد) عامة، وفي الأبواب الخامس، والحادي عشر منه خاصة، بما لا مزيد عليه، فليراجع.

وقد أقمنا هناك قواطع الأدلة التي يكفر منكرها، ويخرج من الإسلام بجحدها على أن (الإله) هو ذلك (الكائن) المتصف بصفات ذاتية معينة: فليس هو (المعبود)، ولا هو حتى (المستحق للعبادة)؛ بل هو حصراً ذلك (الكائن) المتصف بصفات معينة، قد يختلف الناس في دقائقها، ولكن لا يجوز أبداً، ولا بحال من الأحوال، أن تخلو من:

— إما: (الفاعلية بالمشيئة المستقلة والاختيار الحر، على وجه الاستقلال التام) عامة؛ ومن أخص ذلك: (الخالقية على وجه الاستقلال التام)، و(العلو والقهر على وجه الاستقلال التام)؛  
— أو: (التولد) من كائن إلهي آخر، أي: الانتماء إلى (النوع الإلهي) أو (الجنس الإلهي)؛  
وإلا كانت إبطالاً لحشد كبير من أي الذكر الحكيم، وخاصة آية (التمانع) الكريمة، وتحريفاً للكلم عن مواضعه، وإلحاداً في آيات الله، يؤول إلى الكفر، لا محالة، ضرورة ولا بد، عياداً بالله.

ولعلنا نكتفي ها هنا بإيراد (آية التمانع) لأهميتها العظمى: ولأنها الحجة اليقينية القاطعة، التي تغنيك عن كل ما سواها، وهي التي درسناها باستفاضة عند مناقشة برهان (التمانع)، في الباب الرابع من كتابنا؛ وهي قوله، جل وعز: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}، (المؤمنون؛ 23: 91)، فالإله إذاً هو: إما أن يكون ذلك الكائن الذي يخلق بقدرته الذاتية، على وجه الاستقلال؛ وهو الذي يعلوا على غيره ويقهر، بقدرته الذاتية، على وجه الاستقلال، فلا ينافس ولا يقهر؛ أو: هو ذلك الكائن المتولد من إله آخر، فهو إذاً فرد من أفراد (النوع الإلهي) أو (الجنس الإلهي)؛ ولا بد أن تنتهي سلسلة التولد إلى كائن لم يولد، وهو بالضرورة من النوع الأول؛ وكل هذه الاعتبارات أمور وجودية متعلقة بذات ذلك الكائن وصفاته وأفعاله، ولا علاقة لها أصلاً بوجود أو عدم وجود كائنات أخرى تعبد هذا (الكائن) الذي أطلقنا عليه لفظة (إله)؛ فالمعنى الصحيح للفظ (إله) في جوهره هو أن [(الإله) هو الكائن ذو القدرة الذاتية التامة المستقلة على الخلق والقهر، الفاعل بالمشيئة الحرة والاختيار المطلق، المستقل عن الغير تمام الاستقلال]، ولا علاقة لهذا أصلاً بكونه يعبد أو لا يعبد؛ ولا بوجود عابدين من عدم وجودهم؛ ويترتب على هذا ضرورة أن تعريف العبادة لا بد أن يستند وأن يكون مسبقاً بتعريف الألوهية، وإلا وقعنا في التناقض والدور القبلي الباطل، أو الكفر الصريح بتكذيب الله ورسوله لأننا أسمىنا أفعلاً

(عبادة)، وأدخلناها في جملة (العبادات)، وهي ليست كذلك؛ وهذا هو الذي أشبعناه بحثاً، إلى درجة الإملال، في الأبواب الخامس والحادي عشر من كتابنا، فراجع.

ونكتفي ها هنا بإيراد التعريف الصحيح لـ(العبادة) كما استنبطناه من قصة إبراهيم، صلوات الله وسلامه وتبريكاته عليه وعلى آله؛ ومن المعادلات (أو المساوات) القرآنية الخطيرة الشأن، المذكورة في الباب الخامس من كتابنا: (كتاب التوحيد: أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد)، حيث استنتجنا المعادلة الخطيرة التالية:

(معادلة أساسية): [عبادة غير الله] = [نسبة شيء من الألوهية لغير الله]؛

وعليه فإن (نسبة شيء من الألوهية لكائن) هي (عبادة) لذلك الكائن، ضرورة ولا بد، حتى لو لم يصرف له أو يوجه إليه أي فعل آخر أصلاً؛ وهذا هو الذي يسميه الناس أحياناً (عبادة اعتقادية)؛ وبالعكس لا يمكن أصلاً إدخال فعل، يوجه أو يصرف أو يتعلق بكائن ما، في جملة (العبادات) لذلك الكائن، إلا إذا كان مبنياً على، ومسبقاً بنسبة شيء من الألوهية لذلك الكائن، أي مسبقاً بتلك (العبادة الاعتقادية) أنفة الذكر، ضرورة ولا بد. فـ(العبادة) لشيء ما، هي إذاً حصراً: (نسبة الألوهية) لذلك الشيء.

وعليه فيكون التعريف الصحيح لـ(العبادات)، أي للأفعال التعبدية، أنها: هي أي قول، أو عمل من أعمال القلب، أو قول من أقوال اللسان، أو فعل من أفعال الجوارح، صرف لـ أو تعلق بـ أو وجّه إلى (من يعتقد فيه «الألوهية»، أو «الربوبية من دون الله»، أو «الندية لله»)، (ولو في جزئية واحدة أو معنى واحد من معاني «الألوهية» أو «الربوبية من دون الله»، أو «الندية لله»)، بقصد التقرب وطلب الأُنس وإظهار المحبة؛ أو التذلل والخضوع والتعبير عن التعظيم والاحترام وإظهار الفقر والحاجة؛ أو المطالبة بدفع الضر وجلب النفع كما هو في الاستغاثة والاستعانة؛ أو لإظهار الخوف والخشية والرغبة، ونحو ذلك.

لذلك نقرر القاعدة المهمة: لا يمكن أن يحتسب قول من أقوال القلب (وقول القلب هو: الإقرار والقبول والتسليم بالاعتقادات والتصديقات والتصورات)، أو عمل من أعمال القلب، أو قول من أقوال اللسان، أو فعل من أفعال الجوارح من «العبادات» (بالمعنى العرفي الاصطلاحي عند العرب الفصحاء الأقحاح الذي جاء به القرآن) إلا إذا كان مسبقاً بنسبة «الألوهية»، أو «الربوبية من دون الله»، أو «الندية لله»، ولو في جزئية واحدة أو معنى واحد من معانيها، فيمن يوجه إليه ذلك الفعل، أي فيمن يراد التقرب إليه بذلك الفعل. وذلك لأن مفهوم «الألوهية»، ومنه: «الربوبية من دون الله»، أو «الندية لله»، إذاً، ضرورة، سابق لمفهوم (العبادة)؛ و(العبادة) لا تكون أصلاً إلا لإله.

**مثال توضيحي لـ(العبادة):** من اعتقد، مثلاً، أن الجن يستطيعون الاختباء من الله، أو أنهم يفلتون منه، ويعجزونه هرباً، (وذلك بغض النظر عن كونه يعتقد أنهم مخلوقون مربوبون لله، لا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً؛ أو أن لهم نسب مع الله) فهو بهذا المعتقد (على كونه متناقضاً في ذاته) قد نسب إلى الجن شيئاً من **(الألوهية)**، وهذه هي التسمية الصحيحة، أو من **(الندية لله)**، أو من **(الربوبية من دون الله)**، أو سمها ما شئت: وهو بهذا مشرك كافر، من أهل النار يوم القيامة إن كانت بلغته الرسالة، وقامت عليه الحجة؛ أو هو مرتد عن الإسلام إن كان قد صح له عقد الإسلام من قبل؛ ويترتب على ذلك، ضرورة، أن **خوفه** من الجن «عبادة»، حتى ولو كان خوفاً هزلياً، وربما اعتقد أنه يستطيع مغالبتهم، أو مناورتهم، أو التلاعب بهم بالسحر والطلاسم والتعاويذ؛ وذلك على الضد التام من خوف المسلم المؤمن الموحد الفار من الأسد الصائل، مع أن الخوف قد يكون طاعياً على هذا، مستحوذاً عليه بحيث لم يعد في قلبه وعقله إلا الرعب والخوف، وربما أطلق ساقيه للريح وهو لا يبصر، قد أعماه الخوف، فتردى في هاوية ودقت عنقه، ومع ذلك فأنا أقسم بالله، وأشهد بشهادة الله، وأباهل على ذلك: أن خوفه الهالع هذا ليس «عبادة» للأسد، ومعاذ الله أن يكون قد جعل الأسد نداً لله، أو أن يكون اتخذ الأسد إله آخر مع الله؛ ومعاذ الله أن يموت مشركاً كافراً لو تردى قتيلاً في حفرة، بل نحتسب على الله أن يكون موته شهادة، تمحي به خطاياه، وترفع بها درجته يوم القيامة!

ومثال (عبادة الجن) هذا بمفرده يظهر لك أيضاً بطلان تعريف الإمام ابن تيمية لـ**(العبادة)**، بأنها: (غاية الذل مع غاية الحب)، وقد تورط أيضاً الدكتور عدنان إبراهيم في هذا التعريف الباطل بالرغم من رفضه القسمة الثلاثية المشؤومة، **وهذا ما هو إلا هراء، وكلام فارغ:**

\* **خلله الجوهرى الأكبر:** عدم ربطه بالمعتقد أصلاً، بالمراغمة لكتاب الله، ولضرورات الحس والعقل؛  
\* **وخلله الأوسط:** لفظة (غاية) ولا معنى لها هنا لأن الذل أو الحب أو الخوف ممن يعتقد فيه الألوهية عبادة، ولو كان هزلياً، كما يظهر من مثال عبادة الجن آنفاً؛ وليس (الحب)، مثلاً، عبادة إذا لم يسبقه اعتقاد مخصوص، ولو أدى إلى تجول صاحبه في الأسواق يبكي لفراق محبوبه، كما كان زوج بريرة، رضي الله عنهما، يفعل؛ أو انهيار أعصاب صاحبه واحتياجه للعلاج النفسي أو الروحي؛ أو حتى جنونه ودخوله مستشفى الأمراض العقلية؛

\* **وخلله الأصغر:**

**أولاً:** أنه ليس بجامع، فأين الخوف والرجاء، وأين التوكل والثقة، وأين... وأين. ولا حاجة لنا أن نتساءل كيف يصدر هذا الهراء من ابن تيمية ذي العقلية الجبارة، الذي شهد له العدو والصديق أنه كان من أذكى العالم؛ لأنها هكذا صفة غلبة الهوى على النفس التي تعمي البصيرة؛

**وثانياً:** أنه ليس بمانع، فإنه الشر عند المجوس والثنوية ليس بمحبوب، بل مبغوض مكروه، ولكن يتذلل له، ويسجد ويركع؛ ويتملق، وتذبح له الذبائح، وتقدم له القرابين، إفلاتاً من شره وضرره؛ وهذه كلها عبادات قطعاً: بضرورة الحس والعقل، وإجماع الناس بلغاتهم المختلفة.

والواجب أيضاً أن نجزم بأنه حيثما وردت لفظة (عبادة) أو مشتقاتها في القرآن أو السنة عند الكلام عن التوحيد والشرك، أو الإيمان والكفر، أو الأنداد والآلهة فإنما هي تعني ما أسلفناه من أفعال وأقوال وشعائر مسبوقة **باعتقاد مخصوص**، ولا يجوز غير ذلك البتة، وإلا وقعنا في التناقض، أو الدور الجلي أو الخفي، وانتهينا بتكذيب القرآن، والمكابرة في وصف الوقائع التاريخية المحسوسة.

وأما قول الفرقة الوهابية أن الطواف بالقبور، بقبر عبد القادر الجيلاني، أو أحمد البدوي، مثلاً، شرك كفري يخرج من الملة، بمجرد فعله، أي بمجرد الطواف من حيث هو فعل مجرد يشبه في ظاهره الطواف حول الكعبة مثلاً، بغض النظر عن معتقد الفاعل في عبد القادر الجيلاني، أو أحمد البدوي، وبغض النظر عن المقصد من الفعل؛ وهم عادة يقولون باختصار: (الطواف حول القبور عبادة للقبور)؛ قولهم هذا، بالإضافة إلى كونه خطأ فاحش، شاهد على الإفلاس الفكري الشنيع للدعوة الوهابية، ودليل على نظرتها السطحية إلى الأفعال، والخلط بين متعلقات تلك الأفعال. وليس خصومها، أعني خصوم الدعوة الوهابية، بأعمق فكراً، ولا أحسن حالاً بكثير عندما يقول أحدهم، مثلاً: (أن الطواف بالقبور ليس بالضرورة شركاً ولا عبادة وأنه كالطواف بالبيت الحرام: فكما أن الطواف بالبيت ليس عبادة للبيت، كذلك الطواف بالقبور ليس عبادة للقبور)!

**فنقول: نعم:** الطواف يكون بـ(شيء) ما، أو حول (شيء) ما؛ ويكون له (قصد) ما:

فقد يتدرب رياضي استعداداً لسباق طويل (عشرة آلاف متر مثلاً) بالركض حول مركز ملعب رياضي كبير عشرات المرات، **والنية أو القصد** هو تقوية العضلات وتحقيق اللياقة البدنية: هذا طواف **حول** مركز الملعب، وليس هو موجه إلى (شيء) أصلاً، فليس هو عبادة للملعب، ولا هو عبادة لـ(شيء) آخر أصلاً؛

ويطوف المسلم **حول** الكعبة، موقناً بأن الله هو الإله الواحد الأحد، تقرباً إلى الله، فهذا طواف **عبادة لـ(الله)**، وهو في نفس الوقت طواف **حول** الكعبة، وليس عبادة للكعبة؛

وقد يطوف إنسان حول بناء معماري أو تحفة فنية حتى يستوعب جميع نواحي الجمال فيها، **والنية أو القصد** هو التذوق الفني: هذا طواف **حول** المبنى أو التحفة، وليس عبادة للمبنى أو التحفة، ولا هو عبادة لشيء آخر أصلاً؛

ويطوف المؤمنون بألوهية كريشنا في الهند حول كل معبد من معابد كريشنا، تقرباً إليه: هذا طواف **عبادة لـ(كريشنا)**، وهو في نفس الوقت طواف **حول** جدران المعبد، وليس عبادة للمعبد ولا هو عبادة لجدران المعبد، وإنما هو **عبادة لـ(كريشنا)**؛

**فالمقطوع به إننا** أن طواف إنسان حول قبر ليس عبادة للقبر من حيث هو طواف مجرد، ولكن السؤال الآن هو: ما هو (نية أو قصد) هذا الطائف حول القبر، وهو له مقصد ولا بد، وإلا كان مجنوناً قد رفع عنه القلم، أو لعله ضرير فقد عصاه فهو يتخبط في سيره الذي وقع مصادفة في صورة الطواف: هل القصد هو التقرب إلى الله، موقناً بأن الله هو الإله الواحد الأحد، بالطواف حول قبر نبي من أنبيائه،

أو ولي من أوليائه، إكراماً وتوقيراً للولي؟! فالطواف بالقبر حينئذ عبادة لله، ولا شك، وليس عبادة للقبر، كما أفحشت الدعوة الوهابية، ولكنها عبادة مبتدعة باطلة، لأن الإجماع المتيقن قد انعقد على أن الله لم يأمر بطواف حول نقطة أو مكان معين — وجوباً أو استحباباً — غير الطواف بالكعبة. ومن تقرب إلى الله بما لم يأت دليل أصلاً على وجوبه أو استحبابه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله؛ وهذا في ذاته بدعة كبرى، أي بدعة هي في ذاتها شرك وكفر، وفاعله ممن قال الله فيهم: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }**، (الجن: 23: 45)؛ فهو مشرك كافر، فهذا ليس عابداً للقبر، وإنما هو عابد لهواه؛ إلا من عذر بجهل أو تأويل (وهذا هو، إن شاء الله، حال أكثر أهل الإسلام المتورطين في مثل هذا) أو إكراه، أو غير ذلك من موانع تكفير المعين:

أو أن القصد هو محض التكريم والتوقير لصاحب القبر؟! فنقول: هذا يصعب تصويره بدون امتزاجه بنوع تقرب إلى الله، لأن صاحب القبر ما استحق عند الطائف بقبره أصلاً هذه الحفاوة وهذا التكريم، بهذه الصورة المخصوصة، إلا لمكانته عند الله؛ وتوقير أنبياء الله وتكريمهم مما يتقرب به قطعاً إلى الله؛ فكيف يمكن تصور إخلاء الذهن، وتفريغ القلب، من أي تقرب إلى الله؟! فهذا كأنه يعود — والله أعلم — للنوع السابق. لا سيما إذا لا حظنا أن تكريم الإنسان في حياته يكون بتلقيه من تلقاء وجهه، ومعانقته، وتقبيل يديه، وربما رجليه: فلو ترك هذا الطائف طوافه، وألقى نفسه على القبر، يحتضنه ويقبله، لكان معقولاً، ولما وجد كبير إشكال؛ وما عهدنا إنساناً حياً يطوف حول إنسان حي إلا إذا كان يريد الانقضاض عليه واغتياله!

أو لعل الطائف يعتقد في صاحب القبر شيئاً من الألوهية، كأن يعتقد أن الله حل فيه، أو أنه تطور إلى كائن إلهي، أو أن الله أشركه في الملك، وأطلق يده في تدبير الكون على وجه التفويض، فلا حاجة إلى كبير تحليل ونظر: هذا طواف عبادة لـ(صاحب القبر) وهو في نفس الوقت طواف حول (القبر)؛ ولعل هناك أنواع أخرى للطواف، لها مقاصد أخرى: فلن يعجز القارئ الفطن عن إصدار الحكم عليها إذا نظر إليه نظرة مستنيرة فحللها إلى جزئياتها بكل دقة وعناية، ولن يتمكن من هذا أبد الدهر حتى يتحرر من تفاهات الفرقة الوهابية وسطحية فكرها، ويطلق عدائها للفكر والنظر طلاقاً باتاً، لا رجعة فيه.

**ثانياً:** قال الشيخ عبد العزيز بن باز: (ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع السامري حينما وضع لهم من حليهم عجلًا ليعبدوه من دون الله فزين لهم الشيطان عبادته مع ظهور بطلانها)؛ فنقول: هذا كذب محض، وهراء مجرد، فما قال الله قط عن بني إسرائيل أنهم (عبدوا العجل من دون الله)، بل تكلم فقط عن: (اتخاذ العجل):

\* فقد قال، جل جلاله، وسما مقامه: {وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ }، (البقرة: 2: 51)؛

\* وقال، جل جلاله، وتقدست أسماؤه: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }، (البقرة: 2: 54)؛

\* وقال، تعالى ذكره: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ }، (البقرة: 2: 92)؛

\* وقال، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }، (البقرة، 2: 93)

\* وقال، تعالى ذكره: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا }، (النساء: 4: 153)؛

\* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ }، (الأعراف: 152)؛

فهم ما عبدوا العجل قط من دون الله، كما أفحش الشيخ عبد العزيز بن باز؛ ولكن الرجل، وهو المولود من رحم الفرقة الوهابية، لا يستطيع إفلاتاً من هديها: (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، و(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم)، (يعبدون ويدأبون: يعجبون الناس، وتعجبهم أنفسهم)، فتكون النتيجة الحتمية لرفضهم التدبر والفكر، وعجبهم بالنفس وتزكيتها أنهم: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، و(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)، لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)؛ وهو الذي أفتى بتكفير من قال أن الأرض تدور حول نفسها، وأن الشمس لا تدور حولها، ناسباً تلك السوأة والفضيحة إلى كتاب الله: (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)؛ نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الستر والعافية في الدنيا والآخرة.

فما هي إذاً حقيقة العجل (أو بلفظ أدق: التمثال أو الصنم على صورة العجل)؟

إليك الجواب، من فوق سبع سموات:

\* فقد قال، جل جلاله، وسما مقامه: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا: هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسي }، (طه: 20: 88)؛



فهم إذا اعتقدوا أن العجل (أو بلفظ أدق: التمثال أو الصنم على صورة العجل) هو (صنم) الله، تعالى وتقدس، الذي هو إلههم، وإله موسى، وليس هو إله آخر أو معبود آخر من دون الله، فوفق معتقدتهم ذاك: لم تكن ثمة حاجة لموسى أن يذهب إلى الجبل لملاقات ربه، ولكنه - أي موسى - نسي هذه الحقيقة، أو غفل عنها، أو جهلها، فأخطأ، فغادرهم متوجهاً إلى الجبل، وكان حقه أن يكون ها هنا معهم، مشاركاً في العكوف على العجل الذهبي. وهناك مزيد نقاش وإيضاح لقولنا هذا في خلال دراستنا لمسألة (ذات أنواط)، فلترجع في الفصل المخصص لها.

و(الصنم)، عند عباده، يقوم مقام الإله الممثل له بالتمثال، وينوب عنه نيابة تامة، كما فصلناه في كتابنا: ((أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد)) عندما تكلمنا عن أنواع الأوثان، حيث قلنا نصاً:

الأوثان تنقسم إلى ثلاثة أصناف رئيسة:

الصنف الأول، وهو أهمها: أصنام وأوثان خاصة، وأما (الأصنام): فهي في الغالبية العظمى من الأحوال: تصاوير وتمائيل منحوتة من حجر، أو خشب، أو مسبوكة من معدن، أو غير ذلك، على صورة إنسان، أو حيوان، أو كائن متخيل مركّب، بعضه إنسان وبعضه حيوان، فيكون الجسد جسد أسد مثلاً، والرأس رأس آدمي، أو الجسد جسد إنسان والرأس رأس صقر مثلاً، أو بعضه من حيوان والبعض من حيوان آخر كالخيول المجنحة؛ فكل صنم تمثال، وليس كل تمثال صنم؛ (وكل صنم وثن، وليس كل وثن صنم).

والأصنام هذه ترتبط عادة - في ذهن الوثني المشرك - بالكائن الإلهي الذي تمثله ارتباطاً متيناً محكماً:

- (1) — فكأن الكائن الإلهي متّحد بها، فهما شيء واحد، ذو طبيعة واحدة؛
- (2) — أو هو مقيم حالٌ فيها بصفة دائمية، فهو بمثابة الروح، والصنم هو البدن أو الجسد؛
- (3) — وربما أعتقد المشرك فقط أنها صالحة لحلول الكائن الإلهي، فهو يحل فيها، أي: يسكنها، في بعض الأحيان دون بعض، لا سيما عند ممارسة بعض الطقوس، أو تقديم بعض الشعائر، أو ترتيل بعض الترانيم؛
- (4) — وربما اعتقد الوثني أنها (عضو) اتصال لا بد منها للاتصال بـ(الكائن الإلهي)، فهي بمثابة الأذن أو العين للإنسان، فهي بعض البدن، أو عضو من أعضاء البدن،
- (5) — أو اعتقد فقط أنها قناة تواصل، أو آلة اتصال ضرورية، لا يمكن التواصل مع الكائن الإلهي إلا بها، تماماً كجهاز الهاتف أو اللاسلكي للتواصل عبر البحار والقارات بالنسبة لبني الإنسان.

هذا على وجه الإجمال، أما التفصيل فهو متعذر عموماً، لأن عقائد عوام المشركين في هذا غامضة مشوشة متناقضة. وهذا الارتباط من المتانة والقوة بحيث لا تجد العامي من المشركين يكاد يفرق بين الكائن الإلهي وبين الصنم الممثل له، فيقول مثلاً: { نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ }، (الشعراء؛ 26: 71)،

كما حكى القرآن عن قوم إبراهيم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ أو كما حكى القرآن عن بني إسرائيل: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، (لأعراف؛ 7: 138)، فكأن (الصنم) عندهم هو (الإله) بعينه، وهذا مما تلقنوه من عبدة الوثن المصريين، وكذلك كان يفكر السامري: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارُ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ}، (طه؛ 20: 88): (يعني أن هذا صنم مناسب لإله موسى وإلهكم، فلا حاجة لموسى أن يذهب إلى الجبل لميقات ربه، ولكنه - أي موسى - نسي هذه الحقيقة، أو غفل عنها، فغادركم متوجهاً إلى الجبل، وكان حقه أن يكون ها هنا معكم).

وأما (الوثن الخاص): فينشأ من اعتقاد الوثني - في بعض الأحوال النادرة - في شيء طبيعي: جبل أو كهف أو شجرة أو صخرة ارتباطاً بكائن إلهي من جنس أحد الأنواع الارتباط الخمسة التي سلف تقريرها قريباً (اتحاد - حلول دائم - حلول مؤقت - عضو بدن - آلة اتصال) فيكتسب ذلك الشيء خصائص ووظائف صنمية، حتى ولو لم يسمّى صنماً، مع كون ذلك الشيء وثناً بدون شك أو ريب: فهو (وثن خاص)، أي (وثن ذو خصائص صنمية). ولعل من ذلك ما قاله الله، تبارك وتعالى، رواية لقول إبراهيم وهو يدعو قومه أول الأمر: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}، (العنكبوت؛ 29: 17)، ثم قال كذلك رواية لقول إبراهيم قبيل هجرته بعد أن أنجاه الله من النار: {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}، (العنكبوت؛ 25: 29)، ومعلوم أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون آلهة، أكثرها أرواح أو عقول أو نفوس كوكبية سماوية، تمثلها - في الغالبية العظمى من الأحوال - أصنام، كما سلف قريباً باعترافهم، وكان أبوه من كبار سدنتها ونَحَاتِهَا؛ وربما كان من بينها أوثان ذات خصائص صنمية.

ولقد استقر هذا منذ قديم الزمان حتى ساغ أن يقال: (عبد الصنم الفلاني)، أو (عبد الوثن الفلاني)، وهو في حقيقته مجاز واختصار للكلام، بدلاً من قولك: (عبد إلهة يرمز إليه أو يمثله أو يقوم مقامه الصنم أو الوثن الفلاني)، واستخدمه القرآن حكاية عن إبراهيم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}، (إبراهيم؛ 14: 35). بل بلغ الأمر ببعض المشركين أن عجزوا عن تصور إله لا صنم له، أو لا يوجد له تجسد مادي أصلاً، فسأل بعضهم عن الله تبارك وتعالى: (أمن ذهب هو، أمن فضة هو؟!).

أما خواص المشركين وحذاقهم وفلاسفتهم فيتبرؤون من هذا ويقولون: (إن الصنم إنما هو رمز للإله، وقبلة لتوجيه الشعائر والدعاء)، بل إن بعضهم يقول: (إن الآلهة ما هي إلا مظاهر ومسميات لإله واحد)، ولكن مقدرة العوام على التفكير المجرد محدودة، فالمصلحة الاجتماعية والسياسية تقتضي تركهم وشأنهم.

أما كون المعبود حقيقة هو الكائن الإلهي، علوياً سماوياً أو سفلياً أرضياً، خيراً نافعاً ملائكياً، أو شريعاً ضاراً شيطانياً، المتّحد أو الحال أو الساكن في الصنم، أو الذي يتم التواصل معه بواسطة الصنم أو الوثن، وليس ذات مادة الصنم وهي من حجر، أو خشب أو ذهب أو غيره من المواد، فمدرّك بضرورة الحس والعقل: فمن المحال الممتنع أن يدعو إنسان عاقل مادة صماء عمياء ميتة وهو يعتقد يقيناً أنها كذلك: أي مادة صماء عمياء ميتة فحسب. بل وحتى لو وجدنا أحد نزلاء مصحة عقلية ينغمس في حوار مع حدائه، أو قلمه، لجزمنا بأنه - لخلل في دماغه - يتوهم انه يسمع منه كلاماً، ويدير معه حواراً؛ فالمسكين يعيش في عالم خيالي من صنع دماغه المختل.

### الصنف الثاني: أوثان عامة: وهي إما:

(1) معابد: خصصت للإلهة، لها حجاب وسدنة، وتكون فيها عادة: أصنام وتساوير، وحولها في العادة: منطقة محظورة بمثابة حرم؛

(2) أو حرم: وهو مجرد قطعة من الأرض محظورة موقوفة لبعض الآلهة، ولكن لا وجود لمعبد فيها؛

(3) أو أنصاب: وهي مباني من الحجر، أو منحوتات لغير ذوات الأرواح، أو مذابح مبنية، ومحاريب مشيدة، أو أعمدة منفردة، تستخدم عادة لتقديم الذبائح والقربان، ونصب الرايات، وربما طرحت عليها الذبائح أو علقت ليأخذ منها من شاء ما شاء، لذلك قال تعالى: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ}. وتكون عادة في رؤوس التلال، تنحدر عندها القربان، أو على قوارع الطريق، يتمسح بها المارة، وقد يكون النصب مجرد أحجار مرصوفة، أو دكة مشيدة، وقد يكون فيه صنم، أو وثن خاص، وقد لا يكون، ولا بد أن يتميز بنقوش وطلاسم ورموز معينة أو رايات مخصوصة؛

(4) عيد مكاني: وهو قطعة من الأرض لا معبد فيه، تقام فيها الاحتفالات أو تعقد فيها الأسواق والاجتماعات (عادة في أوقات مخصوصة تتكرر وتعود) فهي إذاً مواضع أعياد أهل الشرك، وأسواقهم التي تقام للطواغيت. أما أسواق التجارة والأدب كسوق عكاظ في الجاهلية، فهي ليست أوثاناً لأنها لم تؤسس تعظيماً لشيء من الطواغيت؛ وهكذا بما قد لا ينحصر؛ كل ما سلف أعمال إنشائية من صنع الإنسان.

(5) وقد يكون الوثن شيئاً طبيعياً، وليس من صنع الإنسان: صخرة طبيعية: يزعم أن أحد الآلهة جلس عليها، أو ولد عنها، أو سكن جوارها، أو غير ذلك من آثار وأفعال الآلهة، وهذا وثن عام؛ (أما إذا كان اعتقاد المشرك إنما هو أن (الكائن الإلهي) دخل فيها، أو اتحد بها، فهذا وثن خاص؛ كالصفة الطويلة المنقوشة بالطائف التي كانت ترمز إلى اللات التي تعبدتها ثقيف)؛

(6) شجرة: يزعم أن أحد الآلهة استظل تحتها، أو ولد تحتها، وما شاكل، كالشجرة التي كانت بنخلة (بين الطائف ومكة) وعليها بناء وأستار وهي تمثل «العزّي» التي تعظمها قريش. وقد تحاط الصخور والأشجار بحرم، وربما تطورت وكثر روادها فأصبح لها سدنة وحجاب. وكذلك الأشجار

والصخور في حرم كل معبد، أو في المناطق المحصورة، لها قدسية ورمزية خاصة؛ وهكذا بما قد لا ينحصر، وكل ذلك وثن عام؛ (أما الشجرة التي هي قناة اتصال تأتي من خلالها (البركة الإلهية)، كـ(ذات أنواط) التي كانت تعبد من دون الله، فهي وثن خاص).

**الصنف الثالث: أوثان رمزية:** وهي التي ليس لها علاقة مباشرة بالآلهة، وإنما هي رمز أو شعار لعقيدة شرك أو كفر. أظهر مثال لذلك: (الصليب)، لأنه يعظم ويعلق لكونه يرمز لعقيدة كفر وشرك ألا وهي: التضحية بآبن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لخلاص البشرية من «الخطيئة الموروثة» المزعومة المكذوبة؛ والصليب وثن، ذلك بنص قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعدي بن حاتم الطائي عندما دخل عليه وفي عنقه صليب من ذهب فقال له: «يا عدي، اطرح عنك هذا (الوثن)». و«الصليب» بالقطع لا يعبد، بل يعلق ويعظم فقط؛ و(نار المجوس) التي ترمز إلى إله النور والخير (يَزْدَانْ)؛ (الرايات) التي ترمز لعقيدة شرك وكفر، كأن يرسم عليها صنم لإله، أو يكتب عليها ثناء أو دعاء وحدثني، أو تحتوي رمزاً آخر لعقيدة شرك وكفر كالصليب أو (المطرقة والمنجل) التي ترمز إلى المادية الجدلية؛ أما نار (إله النار) عند الهنادكة في الهند فهي أكثر من مجرد رمز، بل هي: وثن صنمي **يعبد، بالمعنى الذي ذكرناه عند الأصنام والأوثان الصنمية تحت الصنف الأول**، توجه إليه الصلوات والشعائر التعبدية بوصفه نائباً عن (إله النار)؛ وأما أعلام البلاد والقبائل ووحدات الجيوش فهي في الأصل ليست أوثاناً، إلا إذا كان بها رمز لشرك أو كفر.

**ثالثاً:** وبهذه القراءة المتعمقة المستنيرة لكتاب الله، والنضرة المدققة في واقع الأصنام، تنحل أيضاً الإشكالية في فهم قوله، جل جلاله، وتقدس أسمائه: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} (الأعراف: 7: 138 - 139)، فهم يريدون أن يصنع لهم موسى صنماً يكون (قائماً مقام) عن الله، تعالى وتقدس.

وليس هذا من مبتكرات محمد بن عبد الله المسعري، كاتب هذه السطور، ولا هو من أقوال (العصرانيين)، أو (العقلانيين)، بل هو قول قديم، وإنما من الله علينا بتحريره، وضبطه، حتى تبلور: \* فقد جاء في تفسير البغوي [إحياء التراث (2/227)]: [قَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أَوْلَيْكَ الْقَوْمُ مِنْ لَحْمٍ وَكَانُوا نَزُولًا بِالرَّقَّةِ، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ، قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً، أَيْ: مِثْلًا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ شَكًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ اجْعَلْ لَنَا شَيْئًا نَعْظُمُهُ وَنَتَقَرَّبُ بِتَعْظِيمِهِ إِلَى اللَّهِ وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ الدِّينَ وَكَانَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ جَهْلِهِمْ. قَالَ مُوسَى: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، عَظْمَةُ اللَّهِ]

— ووافقه صاحب تفسير الخازن [لباب التأويل في معاني التنزيل (2/243)]: [قال البغوي رحمه الله: ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم]

\* وجاء نحوه في تفسير أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) [الجواهر الحسان في تفسير القرآن (72/3)]: [وقال ابن جريج: كانت تماثيل بقر من حجارة وعيدان ونحوها، وذلك كان أول فتنة العجل، وقولهم: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، يظهر منه استحسانهم لما رأوه من تلك الآلهة بجهلهم فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى، وفي جملة ما يتقرب به إلى الله، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى: اجعل لنا صنماً نفردُهُ بالعبادة، ونكفر بربك؛ وعلى هذا الذي قلت يقع التشابه الذي نصه النبي، صلى الله عليه وسلم، في قول أبي واقد الليثي اجعل لنا، يا رسول الله، ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فأنكره النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ وَاللَّهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ: لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ»، الحديث، ولم يقصد أبو واقد بمقالته فساداً؛

إلا أنه اضطرب بعض الشيء لعدم وضوح معاني (الصنم) وعلاقته بـ(الإله) في ذهنه، فأردف قائلاً: [وقال بعض الناس كان ذلك من بني إسرائيل كفراً، ولفظة «الإله» تقتضي ذلك، وهذا محتمل، وما ذكرته أولاً أصح، والله أعلم. قلت: وقولهم: هذا إلهكم وإله موسى، وجواب موسى هنا يقوي الاحتمال الثاني، نعم: الذي يجب أن يعتقد أن مثل هذه المقالات إنما صدرت من أشرارهم وقريبي العهد بالكفر]

\* وجاء في تفسير القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (447/2)]: [قال القاضي أبو محمد: والظاهر من مقالة بني إسرائيل لموسى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ أنهم استحسنا ما رأوه من آلهة أولئك القوم فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما يتقرب به إلى الله، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى: اجعل لنا صنماً نفردُهُ بالعبادة ونكفر بربك، فعرفهم موسى أن هذا جهل منهم إذ سألوا أمراً حراماً فيه الإشراك في العبادة؛ ومنه يتطرق إلى أفراد الأصنام بالعبادة والكفر بالله عز وجل، وعلى هذا الذي قلت يقع التشابه الذي قصه النبي، صلى الله عليه وسلم، في قول أبي واقد الليثي له في غزوة حنين إذ مروا على دوح سدره خضراء عظيمة: اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، وكانت ذات أنواط سرحة لبعض المشركين يعلقون بها أسلحتهم ولها يوم يجتمعون إليها فيه، فأراد أبو واقد وغيره أن يشرع ذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الإسلام، فرأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنها ذريعة إلى عبادة تلك السرحة، فأنكره وقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ قُلْتُمْ وَاللَّهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ». قال القاضي أبو محمد: ولم يقصد أبو واقد بمقالته فساداً، وقال بعض الناس كان ذلك من بني إسرائيل كفراً ولفظة الإله تقتضي ذلك، وهذا محتمل، وما ذكرته أولاً أصح عندي والله تعالى أعلم؛

أقول: أضرت بالقاضي أبي محمد أصوله المالكية في (سد الذرائع)، و(مآلات الأعمال) فقال: (ومنه يتطرق إلى أفراد الأصنام بالعبادة والكفر بالله عز وجل)، وأما قوله: (أمراً حراماً فيه الإشراك في العبادة) فخطأ محض، فما ثمة إشراك أصلاً، لا في العبادة، ولا في غيرها، وإنما هو تحريم اتخاذ صنم

لله، وهو من أعمال الكفر، واعتقاد إمكانية تمثيل الله بصنم من معتقدات الكفر؛

وربما أشكلت الآية التالية مباشرة: {قَالَ: أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}، (الأعراف: 140)، على بعض الأذهان الكليّة، وبخاصة أذهان الذين (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، فظن أن هذا مناقض لما أصلناه: أنهم ما أرادوا قط إلها غير الله، وإنما فقط أرادوا صنماً أو تمثيلاً حسيّاً (ينوب) عن الله، تماماً كما هو الحال بالنسبة للأصنام ونيابتها عن الإلهة التي تقوم هذه الأصنام مقامها.

فنقول، بعون الله وتوفيقه: هذا كله وهم وخطأ لأن رد موسى، صلى الله عليه وسلم، على قولهم: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، هو حصرًا: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وبهذا انتهى الرد التام: ولا أشك أن موسى، صلى الله عليه وسلم، أوضح لهم بالتفصيل الوافي، بلغة مبسطة مناسبة لحالهم، أن الإله الحق واحد أحد فرد، وليس هو فرد من نوع، ولا نوع من جنس، ليس له مثال أو شبيه مطلقاً، فمن المحال الممتنع أن يكون له صورة أو تمثال؛ ثم رأى موسى، صلى الله عليه وسلم، بعد أن فرغ من الرد أن يعلمهم من صفات الله، وما ينبغي له، وما لا ينبغي، فانتقل إلى أسلوب جديد، ونوع لهم المقال، (في نفس المجلس، أو في مجلس آخر)، بدلالة استفتاح الله جل جلاله لخبره عن ذلك الكلام الجديد المستأنف بلفظة: (قال): {قَالَ: أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}، فكأنه يقول: (بعد أن فرغ من المقالة الأولى، استفتح كلاماً جديداً، فقال): فلعله أخبرهم أنه لو استجاب لطلبهم وصنع لهم صنماً، لكان هذا الصنم بالضرورة تمثلاً لشيء آخر غير الله، الذي يعرفونه بأنه فضلهم على العالمين، وشق لهم البحر، فنجاهم من فرعون وجنوده، وأغرق عدوهم أجمعين، وذلك لاستحالة تمثيل الله، ومشابھته لخلقه.

ويقوي هذا التخرّيج أن النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عندما استشهد بهذه الآيات في قصة (ذات أنواط)، لم يتجاوز قوله تعالى ذكره: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، وقال بعدها فوراً: (لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)، أو كما قال، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبهذه أيضاً تنحل إشكالية (ذات الأنواط)، التي عقّب الشيخ عبد العزيز بن باز عليها بقوله: (وثبت في جامع الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشرّكين سدرّة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرّة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال، صلى الله عليه وسلم، الله: ((أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتركب سنن من كان قبلكم))، شبه قولهم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، بقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، فدل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ)

فنقول: نعم العبرة بالمعاني، وليس بالألفاظ، ولكنكم لم تفهموا المعنى أصلاً، فأنى لكم الصواب؟! وفي هذا الموضوع الخطير قرأتم كتاب الله قراءة سطحية، فلم تهضموه وتتمثلوه: أي أنكم قطعاً ممن (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، كما ثبت في صفة الخوارج الغلاة المارقين عن نبي الله الخاتم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بنقل التواتر، فتكون النتيجة الحتمية: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم: يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية؛ ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم)، و(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)؛ نعوذ بالله، مرة بعد مرة، من الخذلان، ونسأله الستر والعافية في الدنيا والآخرة.

والحق أن حديث (ذات أنواط) لم يكن أسعد حظاً، عند أصحابنا هؤلاء الذين (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، لا من ناحية الفهم، ولا من ناحية تتبع طرق الحديث لتحصيل أتم الألفاظ، وهو أمر لا بد منه حتى نعرف الواقعة بدقة على حقيقتها، وهو أمر يطول، لذلك جعلناه في فصل ملحق، فليراجع؛ ولعلنا نكتفي بالتنبيه على أمور هامة تمت البرهنة عليها في الملحق المشار إليه:

(1) — أنهم مروا على ذات أنواط بعينها؛

(2) — أنهم قالوا: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)؛ وأجابهم النبي: ((اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، إِلَى أَنْ قَالَ: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، (الأعراف؛ 7: 138)، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))؛

(3) — أن القائلين، أو أكثرهم، كانوا (حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ)، ولا نبالي: هل كان أبو واقد الليثي نفسه من القائلين، أو أنه استخدم لفظة: (قلنا) لأن عامة القائلين من قبيلته، وليس هو من القائلين لأنه قديم الإسلام، قد شهد بداراً، فيما يقال؛ ولا نبالي أن يكون عدد القائلين ثلاثة أو ثلاثة آلاف؛ وزادتنا رواية عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه:

(4) — أن ذلك بعد الفتح المكي المجيد، والنصر المؤزر على هوازن، في الطريق بين حنين والطائف، والنبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في الطريق إلى ثقيف في الطائف لتأديبها على مشاركة هوازن في عدوانها وحربها لله ورسله، وكانت ثقيف قد أوعبت في نصرتها لهوازن. فالنبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو سيد تلك المنطقة، المتغلب عليها: صاحب السلطان النافذ، والسيف المسلول، بعد نصره المؤزر. وهذا أمر تاريخي، ذو قيمة ثانوية: فحتى لو كان هذا في الطريق إلى حنين قبل المعركة، فهو في منطقة سلطان مكة، التي غلب عليها، وفتحها، وهدم معابد أوثانها: فالنبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو أيضاً سيد تلك المنطقة، المتغلب عليها: صاحب السلطان النافذ، والسيف المسلول؛

(5) — أن تلك السدرة (ذات أنواط) كانت: تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، هكذا نصاً في خبر عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه: فهي إذاً (وثن صنمي)؛



(6) — أنه لم يقطع (ذات أنواط)، ولا أمر بقطعها، فهو فقط تجنبها، فلم يستظل بها، مع كونها أعظم سدرية في تلك الأرض، وأمدتها ظلاً، واستظل بسدرية كبيرة أخرى، إلا أنها دون (ذات أنواط) في الحجم واتساع الظل: وهذا بمفرده صفقة على أقفية الوهابيين الأغبياء مقطعي الأشجار، هادمي الآثار؛

**رابعاً:** قال الشيخ عبد العزيز بن باز نصاً: [ولعظم جريمة الشرك وخطره في إحباط العمل نرى الخليل عليه السلام يدعو الله له ولبنيه السلامة منه، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ }، الآية، فإذا خافه الأنبياء والرسول — وهم أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأتقاهم له — فغيرهم أولى وأحرى بأن يخاف عليه ذلك، ويجب تحذيره منه، كما يجب سد الذرائع الموصلة إليه، ومهما عمل أهل الحق من احتياط أو تحفظ فلن يحول ذلك بين الجهال وبين المفساد المترتبة على تعظيم الآثار؛ لأن الناس يختلفون من حيث الفهم والتأثر والبحث عن الحق اختلافاً كثيراً، ولذلك عبد قوم نوح عليه السلام وداً وسوعاً ويغوث ويعوق ونسراً... إلخ].

**فنقول:** دين الله كامل، ونعمته تامة، فمن المحال الممتنع أن توجد ذريعة يتوجب سدها، وبخاصة ذرائع الشرك والكفر، المردي في اللعنة الأبدية، والنار السرمدية، إلا وقد ذكرت، وعولجت، وفرغ منها: \* فقد قال، تعالى ذكره: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقِيَ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، (المائدة؛ 3: 5)، مؤكداً، في آخرها، في تناسب بديع، على أحكام الاضطرار المتعلقة بالمحرمات من الطعام، التي سبق نزولها في أوائل الوحي المكي: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، (المائدة؛ 3: 5)؛ رأيت الإسهاب والتفصيل في أنواع الميتة: {وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ }، في أمر ليس هو من قضايا الحياة أو الموت، أو الكفر والإيمان؟! فلعل الله ترك النص على ذرائع الشرك، وتفصيل كيفية سدها، لابن باز وفرقته الوهابية؟! حقاً إن هؤلاء القوم (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، و(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم)، (يعبدون ويدأبون: يعجبون الناس، وتعجبهم أنفسهم)، فتكون النتيجة الحتمية لرفضهم التدبر والفكر، وعجبهم بالنفس وتزكيتها أنهم: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، و(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)، لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم



الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)؛

فالدين قد كُمل، وهو الإسلام لا دين غيره، وليس غيره إلا الجاهلية والكفر، والنعمة قد تمت، ليس وراءها إلا النقص، ثم المصائب والنقم، في معصية الله ومخالفة أمره، وعدم التقيد بشرعه، ثم بعد ذلك، في الآخرة، النار الأبدية واللعنة السرمدية!

حقاً: لم يبق من ذريعة يتوجب سدها، وبخاصة ذرائع الشرك والكفر، إلا وقد ذكرها بعينها نصاً نبي الله الخاتم، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله، وسدها سداً صحيحاً:

\* فقد أخرج ابن ماجه، (ج1/ص115/ح316)، بإسناد غاية في الصحة، عن سلمان الفارسي، رضي الله عنه، قال: قال له بعض المشركين، وهم يستهزؤون به: (إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة؟!)، قال: (أجل: أمرنا أن لا نستقبل القبلة، ولا نستنجي بأيماننا، ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار، ليس فيها رجيع ولا عظم)، وفي لفظ لأحمد، (ج5/ص437/ح23753، ح23756)، بإسناد غاية في الصحة: قال رجل: (إني لأرى صاحبكم يعلمكم كيف تصنعون حتى إنه ليعلمكم إذا أتى أحدكم الغائط؟!)، قال: قلت: (نعم، أجل، ولو سخرت: إنه ليعلمنا كيف يأتي أحدنا الغائط، وإنه ينهانا أن يستقبل أحدنا القبلة، وأن يستدبرها، وأن يستنجي أحدنا بيمينه، وأن يتمسح أحدنا برجيع ولا عظم، وأن يستنجي بأقل من ثلاثة أحجار). وقد أخرج مثله، من غير ذكر الاستهزاء، بأسانيد صحاح، الأئمة: مسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد وغيرهم.

تأمل هذا المشرك العنيد، بل الحمار البليد، وتعجب من رباطة جأش سلمان، وحسن جوابه، وعظيم أدبه، وحسن تعامله وتجمله، وما تضمنه الجواب من أحكام وآداب. فإذا كان كلام سلمان حقاً، ونحن نشهد بالله الذي لا إله إلا هو أنه حق، فكيف يسوغ لمن يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر أن يزعم أن الشريعة فيها «مناطق فراغ»، أو «ثغرات»، أو أن هناك ما لم يأت به نص؟! ثم يذهب ملئته بالهوى والابتداع الذي يسمونه بالأسماء الجميلة، أي بغير اسمه القبيح، لتضليل الناس. ومن هذه الأسماء الجميلة المضلّة: (فهم السلف الصالح)، (سد الذرائع)، (جلب المصالح، ودرء المفاسد)، (تسكين الدهماء، وإسكات الرعاع)، (سيرة العقلاء)، أو (خشية الفتنة)، التي هي «الحجة» المحببة إلى قلوب الخونة من فقهاء السلاطين، أخزاهم الله وأبعدهم، ولعنهم وأبادهم: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}.

\* وأخرج الطبراني بإسناد صحيح، (ج2/ص155/ح1647)، عن أبي ذر، رضي الله تعالى عنه: [حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر قال: تركنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً؛ قال: فقال، صلوات الله وسلامه وتبريكاته عليه وعلى آله: «ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار، إلا وقد بُيِّنَ لكم»:]

— وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص154/ح21399): [حدثنا بن نمير حدثنا الأعمش عن منذر حدثنا أشياخ من التميم قالوا قال أبو ذر لقد تركنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً]؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج5/ص162/ح21477؛ والطيالسي في مسنده ج1/ص65/ح479؛ وغيرهم.

\* وجاء في «الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري»، (ج6/ص2435/ح6230): [حدثنا موسى بن مسعود حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: (لقد خطبنا النبي، صلى الله عليه وسلم، خطبة: ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره؛ علمه من علمه وجهله من جهله. إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه!)]؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج15/ص6/ح6636؛ وأبو داود في سننه ج4/ص94/ح4240؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج5/ص389/ح23357؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ج4/ص2217/ح2891): [حدثني حرمة بن يحيى التجيبي أخبرنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب أن أبا إدريس الخولاني كان يقول قال حذيفة بن اليمان والله إنني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا أن يكون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ولكن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو يعد الفتن منهن ثلاث لا يكذبن شيئاً ومنهن فتن كريات الصيف ومنها صغار ومنها كبار قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري]

— وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص388/ح23339): [حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح يعني بن كيسان عن بن شهاب قال: قال أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني سمعت حذيفة بن اليمان يقول والله إنني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما ذلك أن يكون رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدثني من ذلك شيئاً أسره إلى لم يكن حدث به غيري ولكن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه سئل عن الفتن وهو يعد الفتن فيهن ثلاث لا يذرن شيئاً منهن كريات الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري]؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج5/ص407/ح23507؛ والحاكم في مستدركه ج4/ص518/ح8454؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام الترمذي في سننه (ج4/ص485/ح2191): [حدثنا عمران بن موسى القزاز البصري حدثنا حماد بن زيد حدثنا علي بن زيد بن جدعان القرشي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون

إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه وكان فيما قال إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وكان فيما قال ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه (قال فبكى أبو سعيد فقال قد والله رأينا أشياء فهبنا)، فكان فيما قال ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ولا غدره أعظم من غدره إمام عامة يركز لوائه عند أسته فكان فيما حفظنا يومئذ ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى؛... إلخ؛ وأخرجه الإمام الحميدي في مسنده ج2/ص332/ح752؛ وأبو يعلى في مسنده ج2/ص354/ح1101؛ وغيرهم.

— وأخرجه الإمام الطبراني في معجمه الأوسط (ج4/ص140/ح3817): [حدثنا علي بن سعيد الرازي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة المروزي قال حدثنا علي بن الحسين بن واقد قال حدثني ابي عن عطاء بن ميسرة ان ابا نضرة حدثه عن أبي سعيد الخدري ان نبي الله، صلى الله عليه وسلم، صلى بهم العصر ثم قام فيهم خطيبا فقال في خطبته: (ألا إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ألا إن لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته عند أسته ألا وإن أكبر الغدر غدر امير عامة ألا وإن الغضب جمرة توقد على قلب ابن ادم ألا ترون اليه حين يغضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فكان قائما فليجلس ومن كان جالسا فليزق بالأرض وإن الناس في الغضب على منازل رجل سريع الغضب سريع الفيء فذلك لا عليه ولا له ورجل بطيء الغضب بطيء الفيء فذلك لا عليه ولا له ورجل بطيء الغضب بطيء الفيء فذلك عليه ألا إن ابن ادم خلق على اطوار يخلق العبد مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا ويخلق العبد كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويخلق مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا ويخلق كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا وذكر أن الناس في الطلب على منازل يكون الرجل اذا طلب اشتد واذا طلب قضى فتلك بتلك ويكون الرجل اذا طلب حبس واذا طلب أخذ فتلك بتلك ويكون الرجل اذا طلب حبس واخذ واذا طلب قضى فهو خير له ويكون الرجل اذا طلب يحبس واذا طلب لوى فهو شر له الا هل عسى احدكم أن يرى منكرا فلا يغيره الا وانه قد مضى بين ايديكم تسع وستون امة وانتم توفون سبعين الا وإن ما مضى من الدنيا فيما بقي كما مضى من يومكم هذا فيما بقي وذلك حين اصفرت الشمس وتغيب؛ تأمل قوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (فمن وجد من ذلك شيئا فكان قائما فليجلس ومن كان جالسا فليزق بالأرض)؛ أما (ذرائع الشرك المهلك)، المردي في نار جهنم، فتترك للشيخ بن باز ليقوم بسدها: شأته الوجوه!

\* وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج20/ص441/ح1077): [حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا الحسن بن أبي السري العسقلاني حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا هاشم بن هاشم عن عمرو بن إبراهيم بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن المغيرة قال قام فينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مقاما فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسبه من نسبه]

\* وأخرج الإمام أبو يعلى في مسنده (ج9/ص46/ح5109): [حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا يحيى عن فطر بن خليفة عن عطاء قال: قال أبو الدرداء لقد تركنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وما في السماء طير يطير بجناحه إلا ذكرنا منه علماً]

فلا صحة إذن لما تورط فيه جهلة المنتسبين إلى الفرقة الوهابية، والمتسمين زوراً وبهتاناً بـ«السلفية»، من أن الدين كان ناقصاً حتى استكمل فهمه الصحيح السلف الصالح من القرون الثلاثة الفاضلة، أو حتى من الصحابة، أو حتى من الخلفاء الراشدين، وهم يقولون ذلك تلميحاً، بضحالة وسطحية، وتفاهة فكر، كما هي عادة القوم، للأسف الشديد، من معاداة الفكر، ونبذ التعقل والعقل، والإيغال في تفاهة النظر والرأي.

نعم: هم يقولون هذا من غير تحرير للمسألة، ولا دراسة متعمقة لها، لا تصريحاً بُني على فكر عميق، لأن التصريح بذلك بعد تحرير المسألة **كفر صريح**. وهم بقولهم: القرآن والسنة بفهم السلف الصالح يحكمون لا محالة بنقص الدين، وعدم كمال البيان، ولا بتمام النعمة عند وفاة النبي، صلوات ربي وسلامه وتبريكاته عليه وعلى آله، فكأن النبي لم يفهم، أو فهم ولم يبين، أو كأن القرآن نزل بلسان أهل الصين، معاذ الله!

كما أنهم يطعنون في ختم النبوة، وعالمية الرسالة من حيث لا يشعرون، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فما أعظم تلبيس إبليس؟!

بل القرآن والسنة ميسرة للذكر، مفهومة لكل من أراد تدبرها، ونفر للتفقه فيها كما أمر الله في سورة التوبة، لا فرق بين «سلف صالح»، و«خلف طالح»!

أما الكسالى والسطحيين الذين أبوا أن ينفروا للتفقه في الكتاب والسنة كما أمرهم الله، وأخلدوا إلى راحة التقليد و«اتباع السلف الصالح»، أما هؤلاء فلن يفقهوا ما أنزل الله على وجهه، وسيبقون متخبطين بين قال فلان، ورد عليه فلتان، وإن قلتم قلنا، ولنا أحمد بن حنبل، ولكم مالك بن أنس: وهكذا في دوامة لا تنتهي من الأقوال المتباينة، والمزاعم المتناقضة.

وأكثر أذعياء «السلفية» هؤلاء جهلة عوام، يتبعون مشايخ ليسوا بأحسن منهم كثيراً في العلم اتباع الدواب لقائدها. وهم في الجملة لا يعرفون أقوال «السلف» واختلافهم، ويندر أن تجد منهم من تصفح «مصنف ابن أبي شيبة»، أو «سنن سعيد بن منصور»، مجرد تصفح، ناهيك بالدراسة المتأنية، دع عنك «مصنف عبد الرزاق» أو حتى «الأوسط» لابن المنذر، ولكنهم يجيدون المزاعم الكاذبة، والدعاوى العريضة، كشأن كل غبي جاهل، وعادة كل سطحي تافه.

ونحن إنما اطلنا الكلام على الغلاة المارقين من «أذعياء السلفية» هؤلاء، واستطلنا في عرضهم، لأنهم أكثر خلق الله استطالة في أعراض الغير، مع تزكية للنفس، والعجب بها: فهم «أهل العقيدة الصافية الصحيحة»، وغيرهم مبتدع ضال، أو مرتد كافر. فهم، بزعمهم العريض، وادعائهم المجرد: «الفرقة

الناجية»، و«الطائفة المنصورة»، وغيرهم هالك أو معذب. فما أشبههم بالخوارج الغالية الهالكة، وأحقهم بأوفر نصيب من قوله، عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «من قال هلك الناس، فهو أهلكهم»؛ ونستدرك فنقول: بل هم شرمن ذلك: قرن من قرون الخوارج الغالية المارقة (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، و(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم)، (يعبدون ويدأبون: يعجبون الناس، وتعجبهم أنفسهم)، فتكون النتيجة الحتمية لرفضهم التدبر والفكر، وعجبهم بالنفس وتزكيتها أنهم: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، و(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)، لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة).

خامساً: وأضاف الشيخ عبد العزيز بن باز قائلاً: [ولذلك عبد قوم نوح عليه السلام وداً وسوعاً ويغوث ويعوق ونسراً مع أن الأصل في تصويرهم هو التذكير بأعمالهم الصالحة للتأسي والاعتداء بهم، لا للغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، ولكن الشيطان أنسى من جاء بعد من صورهم هذا المقصد وزين لهم عبادتهم من دون الله وكان ذلك هو سبب الشرك في بني آدم، روى ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}. قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت).

فنقول: دين الله كامل، وهو يتمثل في اتباع ما أنزل إلينا من ربنا، فقط لا غير، من غير زيادة أو نقصان:

\* فقد قال، جل جلاله: {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}، (الأعراف؛ 3: 7)؛

\* وقال: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}، (الزمر؛ 39: 55)؛

\* وشنع، جل جلاله، وسما مقامه، على أهل الكتب، فقال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}، (المائدة؛ 5: 68)؛

والمقطوع به من نص القرآن: أن وداً، وسوعاً، ويغوث، ويعوق ونسراً ذكرت في سياق قصة نوح، صلوات الله وسلامه عليه: على نحو لا يمكن القطع منه على كونها (آلهة) لقوم نوح، بل يحتمل أن

تكون أسماء لرؤساء وزعماء جبابرة مرهوبين. بل هناك قول بأنه ذكرهم إنما هو بعض جملة معترضة تتعلق بالعرب زمن نزول القرآن، ولا علاقة لهم بقوم نوح أصلاً؛

**والمقطوع به من النقل التاريخي المتواتر:** أن هذه الآلهة كانت معبودة عند بعض قبائل العرب، وقد شهد مخضرمون بأنهم رأوا بعض أصنامها؛

هذا هو **المقطوع به**، فقط لا غير؛

أما ماهية هذه الآلهة عند قوم نوح، إن كانت آلهة أصلاً، وكيف نشأت عبادتها، بعد التوحيد الأول الذي كان عليه آدم والبشرية الأولى: **فمجهول تماماً؛ ومجهول أيضاً؛** كيف انتقلت إلى العرب؛

فإن قال قائل: فماذا تفعلون بالقصة المروية عن الحير البحر عبد الله بن العباس؟!

على فرض ثبوت القصة بنقل التواتر، وهي ليست ثابتة أصلاً، فهي تفيدنا فقط بمبلغ علم ابن عباس، الذي أخذه، ولا ريب، من المرويات العربية والنبطية والإسرائيلية الرائجة في عصره:

\* فليست هي شهادة عيان من عبد الله بن العباس، وهو والله الصادق المأمون؛

\* ولا هي بإسناد متصل صحيح إلى أيام قوم نوح؛

\* ولا هي من كتاب مأثور، معلوم الأصل، يعود إلى شهود عيان، أو روايات متصلة صحيحة، أو دراسة أطلال وآثار؛

\* ولا هي من الوحي، وما جاء عن عبد الله بن العباس قط في رواية صحيحة أو ضعيفة، أو حتى مكذوبة: أنه نسبها إلى نبي الله الخاتم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والصحيح أن رواية الإمام البخاري منقطعة باطلة، لا تثبت عن ابن عباس، وإنما اغتر الإمام البخاري بكونها عن عطاء، فظنه عطاء بن أبي رباح، وهو في الحقيقة عطاء الخراساني: فما القصة على التحقيق إلا حديث خرافة، لا ينبني عليه تاريخ، فكيف يبنى عليه دين؟!

وبدلاً من رواية هذه الخرافة للفكاهة والتندر، حولتها الفرقة الوهابية إلى (**حمار جحا**) الذي يحمل عليه كل شيء، أو (**مسمار جحا**) الذي يعلق عليه كل شيء.

وقد درسنا هذه الخرافة، وغيرها، في **الباب العاشر** من كتابنا: (**كتاب التوحيد: أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد**)، فلعلنا نلخص بعضه في فصل ملحق.

**سادساً:** ولم يستطع الشيخ عبد العزيز بن باز التغلب على الوسواس الوهابي التقليدي: (التشبه بالكفار)، فأردف قائلاً: [أما التمثيل بما فعله اليهود والنصارى فإن الله جل وعلا أمر بالحذر من طريقهم؛ لأنه طريق ضلال وهلاك، ولا يجوز التشبه بهم في أعمالهم المخالفة لشرعنا، وهم معروفون بالضلال وإتباع الهوى والتحريف لما جاء به أنبيائهم، فلهذا ولغيره من أعمالهم الضالة نهينا عن

التشبه بهم وسلوك طريقهم. والحاصل أن المفاصد التي ستنشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محققة ولا يحصى كميتها وأنواعها وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها وسد الذرائع إلى ذلك [فنقول: استحباب أو وجوب المحافظة على الآثار، ومنع اندثارها، ومن باب أولى: إحيائها سيقى البرهنة عليه في بحثنا المستقل المعنون: (نهى عن آطام المدينة أن تهدم)، فلا تبطله الوسوس والاسقاطات النفسية والأكاذيب، والذين طالبوا بإحياء الآثار لم يطالبوا قط بالتشبه باليهود والنصارى، وإنما نبهوا إلى الفوائد الحضارية والثقافية والاقتصادية المترتبة على العناية بالآثار ورعايتها وتشجيع السياحة إليها: وهذا تنبيه حسن جميل ينتفع به العقلاء، أما من أحال عقله على التقاعد، ورفض الفكر، حتى ضمّر دماغه وأصبح عضواً أثرياً فأنى له الانتفاع؟!]

**سابعاً:** وأضاف قائلاً: [ومعلوم أن أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله، وأحب الناس لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأكملهم نصحاً لله ولعباده، ولم يحيوا هذه الآثار، ولم يعظموها، ولم يدعوا إلى إحيائها، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويج النبي، صلى الله عليه وسلم، تحتها أمر بقطعها خوفاً على الناس من الغلو فيها والشرك بها، فشكر له المسلمون ذلك وعدوه من مناقبه رضي الله عنه] فنقول: أكثر هذا كذب محض، فقد كان الصحابة يتتبعون آثار النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويصلون عندها؛ وإنما شذ أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، ورأيه هذا من زلات العلماء، أعاذنا الله منا. وأما قصة قطع الشجرة فالأرجح أنها قصة باطلة، ولم يعتبرها من مناقب أمير المؤمنين عمر، رضي الله عنه، إلا الفرقة الوهابية الغالية لمارقة، وقلة من المهوسين والمخبولين ممن هم على شاكلتها:

#### **والتحقيق أن قطع عمر لشجرة الرضوان ليس بثابت، وإنما هي مراسيل:**

\* فقد أخرج الإمام ابن أبي شيبة في المصنف (ج2/ص150/ح7545): [حدثنا معاذ بن معاذ قال أخبرنا ابن عون عن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن أناساً يأتون الشجرة التي بويج تحتها قال فأمر بها فقطعت]

— وهو في الطبقات الكبرى [ط العلمية (2/76)]، و[ط دار صادر (2/100)]: [أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا شَجَرَةُ الرِّضْوَانِ فَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا. قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَوْعَدَهُمْ فِيهَا وَأَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ]

— وفي البدع لابن وضاح (2/88/102): [حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ يُونُسَ مُفْتِي أَهْلِ طَرَسُوسَ يَقُولُ: «أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِقَطْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي بُوِيعَ تَحْتَهَا النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُطِعَهَا لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَذْهَبُونَ فَيُصَلُّونَ تَحْتَهَا، فَخَافَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ» قَالَ عِيسَى بْنُ يُونُسَ: وَهُوَ عِنْدَنَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتُونَ الشَّجَرَةَ، فَقُطِعَهَا عُمَرُ]

— كما أخرج الفاكهي في أخبار مكة (5/77) قال: [حدثنا أحمد بن سليمان قال حدثنا زيد بن المبارك قال حدثنا ابن ثور عن ابن جريج في قوله تعالى: (يبايعونك تحت الشجرة) قال: سمرة كانت بالحديبية؛ فكانت هذه الشجرة يعرف موضعها، ويؤتى هذا المسجد، حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فبلغه أن الناس يأتونها، ويصلون عندها فيما هنالك، ويعظمونها؛ فرأى أن ذلك من فعلهم [حدث]

— وأخرج الفاكهي في أخبار مكة (5/78) قال: [حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا اسماعيل بن ابراهيم قال حدثنا ابن عون قال: بلغ عمر رضي الله عنه أن الشجرة التي ببيع عندها تؤتى فأوعد في ذلك وأمر بها فقطعت]

### وهذه كلها مراسيل، لا تقوم بها حجة، بل الأرجح أنه بنيت على إشاعة باطلة:

\* فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج4/ص1528/ح3930): [حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن طارق بن عبد الله قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد: [حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله تحت الشجرة] قال: (فلما خرجنا من العام المقبل أنسيناها فلم نقدر عليها)، فقال سعيد: (إن أصحاب محمد لم يعلموها وعلمتموها أنتم: فأنتم أعلم!)]

— وأخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج20/ص348/ح816): [حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي حدثنا إسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن قال خرجت حاجا فمررت بقوم يصلون عند مسجد يقولون هذه شجرة بيعة الرضوان حين بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها قال سعيد فإن كان أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم يعلموها وعلمتموها فأنتم أعلم]

— وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج3/ص1485/ح1859) مجزئاً باختصار طفيف: [وحدثني محمد بن رافع حدثنا أبو أحمد قال وقرأته على نصر بن علي عن أبي أحمد حدثنا سفيان عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنهم كانوا عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عام الشجرة قال: (فنسوها من العام المقبل)؛ وحدثناه حامد بن عمر حدثنا أبو عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال كان أبي ممن بايع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عند الشجرة قال: (فانطلقنا في قابل حاجين فخفي علينا مكانها، فإن كانت تبين لك فأنتم أعلم!)]؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص433/ح23725): [حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة به]، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص433/ح23726): [حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان به]

— وباختصار أخرجه البخاري في صحيحه (ج4/ص1528/ح3929): [حدثني محمد بن رافع حدثنا شبابة بن سوار أبو عمرو الفزاري حدثنا شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد



رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها؛ قال أبو عبد الله: قال محمود: ثم أنسيتهما بعد؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج20/ص348/ح817): [حدثنا عبيد بن غنام حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة بنحوه]

فهذا كله بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بمدة، وقد أصبح سعيد بن المسيب إماماً يستفتى، فالمسجد موجود، والناس يصلون فيه من غير نكير، لا من سعيد بن المسيب، ولا من غيره، وإنما استغرب سعيد بن المسيب فقط معرفة الناس مكان الشجرة بدقة، أو حتى عينها بذاتها، مع أن بعض الصحابة الذين بايعوا تحتها لم يعرفوها من عام قابل!

فحتى قطع عمر لها، إن كان وقع أصلاً، لم يمنع الناس من معرفة مكانها، ولو بالتقريب، بل لعله هو الذي أرشدهم بدقة إليها إذ وجدوا جذرها، وأصل الساق المقطوع. وكل ذلك لم يمنعهم من إنشاء المسجد، والصلاة فيه، ضاربين بذلك الرأي الشاذ لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عرض الحائط، وقد أحسنوا في ذلك، وهكذا ينبغي التعامل مع زلات العلماء: أن تهمل، ويضرب بها عرض الحائط، ويستغفر للعالم الذي زلّت قدمه بها، وهكذا فعلنا، ونفعل، والله أعلم وأحكم.

**أما موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من آثار الأنبياء، وتخوفه من افتتان الناس بها فهو معروف مشهور، ولعله تفرد بذلك من بين الصحابة:**

\* فقد أخرج الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج2/ص151/ح7550): [حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المعمر بن سويد قال خرجنا مع عمر في حجة حجها فقراً بنا في الفجر ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولإيلاف قريش فلما قضى حجة ورجع والناس يبتدرون فقال ما هذا فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال هكذا هلك أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل]

— وأخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (ج2/ص118/ح2734): [عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن المعمر بن سويد قال كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصلى بنا الفجر فقراً ألم تر كيف فعل ربك ولإيلاف قريش ثم رأى أقواماً ينزلون فيصلون في مسجد فسأل عنهم فقالوا مسجد صلى فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من مر بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمض]

— وأخرجه ابن وضاح في البدع — (1/106/98): [حدثني إبراهيم بن محمد قال: حدثنا حرملة بن يحيى، عن عبد الله بن وهب، عن جرير بن حازم، عن الأعمش قال: حدثني المعمر بن سويد الأسدي قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هم يأتون يصلون فيه، فقال: (إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتبعون آثار

أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها)

— وأخرجه ابن وضاح في البدع — (1/107/99): [حدثني محمد بن وضاح قال حدثنا موسى بن معاوية قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، قال: خرجنا حجاجاً مع عمر بن الخطاب، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد، فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: (أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له فيه صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض)]

— وهو في شرح مشكل الآثار — (12/544) بآتم وأنظف لفظ: [كَمَا حَدَّثَنَا يُونُسُ قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ؛ وَكَمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي وَشُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْرُورُ بْنُ سُوَيْدٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ: وَافَيْتُ الْمَوْسِمَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَانْصَرَفْتُ مَعَهُ، فَصَلَّى لَنَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ، فَقَرَأَ فِيهَا: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، وَ {لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، ثُمَّ رَأَى أَنَا سَاءَ يَذْهَبُونَ مَذْهَبًا، فَقَالَ: (أَيَّنْ يَذْهَبُونَ هَؤُلَاءِ؟)، قَالُوا: (يَأْتُونَ مَسْجِدًا هَذَا هُنَا صَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!)، قَالَ: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهَا كَنَائِسَ وَبَيْعًا، وَمَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلَا يَتَّعَمِدْنَهَا)؛ وَكَمَا حَدَّثَنَا فَهْدُ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ]

قلت: هذه أسانيد متصلة، غاية في الصحة، على شرط الشيخين، وزيادة.

فهذا هو أبو أمية المعرور بن سويد، وهو ثقة ثبت مخضرم، من أكابر التابعين وفقهائهم وعلمائهم، يخرج من المدينة حاجاً مع عمر، أيام خلافته، ثم يقفل معه راجعاً إلى المدينة، ويذكر لنا **بدقة متناهية** ماذا قرأ عمر في صلاة الفجر في منزلهم بعد مبيت تلك الليلة، ثم رأى ناساً يذهبون مذهباً... إلى آخر القصة.

**وبالضرورة نعلم:** أن عمر لم يكن ليحج منفرداً، أو مع بضعة رجال، فهو إمام ورئيس دولة، وفقهه يقتدى به، فهو بلا شك على رأس (حملة) أو قافلة كبيرة تضم الأكابر من الصحابة، من رجالات الدولة المدنية، وغيرهم من الصحابة، وطلبة العلم من أكابر التابعين النازلين في المدينة لطلب العلم، أو من رجالات القبائل التي كانت في طريقها للجهاد في العراق أو الشام، بعد أن استنفر عمر الناس، وتوقفت في المدينة لاستكمال جهازهم الحربي، وترتيبهم الإدارية.

**وبالضرورة نعلم:** أن (الناس) الذين ذهبوا ذلك المذهب لم يكونوا بضعة رجال فحسب، لأن ذلك لا يلفت النظر، بل هم أعداد كبيرة، وحشود وفيرة، تلفت النظر.

**وبالضرورة نعلم:** أن قسماً لا يستهان به من هؤلاء كانوا مع عمر في الصفوف الأولى، ولعل عبد الله بن عمر كان واحداً منهم، لأن الصفوف الخلفية البعيدة لا تلفت النظر، ولا تكاد ترى بغلس بُعِيد صلاة الفجر القصيرة تلك.

فكل أولئك (الناس) كانوا - ضرورة - مخالفين لعمر في مذهبه (الشاذ) هذا، ألا وهو: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهَا كُنَائِسَ وَبَيْعًا، وَمَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلَا يَتَعَمَّدَنَّهَا).

فلا صحة لما زعمه بعض المهووسين بأن رأي عمر هذا هو رأي جمهور الصحابة والتابعين، بل كان الجمهور على خلافه؛ وفي مقدمتهم ابنه: عبد الله بن عمر. ثم إن عمر لم يزد على (فتواه) تلك، فلا هو صاح عليهم، أو رفع عليهم الدرة، أو منعهم بالقوة.

وبهذا يظهر لك الخطأ الفاحش الذي تورط فيه الإمام ابن تيمية في الرد على الأخنائي — (ص 108 — 109) حيث قال: [ولو كان سلام التحية خارج الحجرة مستحباً لكان مستحباً لكل أحد ولهذا كان أكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ولا بين حال السفر وغيره فان استحباب هذا لهؤلاء وكرامته حكم شرعي يفتقر إلى دليل شرعي ولا يمكن أحداً أن ينقل عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه شرع لأهل المدينة الإتيان عند الوداع للقبر وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ولم يشرع ذلك لأهل المدينة فمثل هذه الشريعة ليس منقولاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا عن خلفائه ولا هو معروف من عمل الصحابة وإنما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وعبر في السفر وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك روى سعيد ابن منصور في سننه حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجهما فقرأ بنا في صلاة الفجر: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل} {و} {لإيلاف قريش} في الثانية فلما رجع من حجه رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال هذا ملة أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض. وما اتفق عليه الصحابة ابن عمر وغيره من أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا بل يكره ذلك؛ فتبين ضعف حجة من احتج بقوله ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فان هذا لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة على ترك ذلك ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره فلما اتفقوا على ترك ذلك مع المنهي عنه كما دلت عليه سائر الأحاديث]

### هذه أخطاء متراكمة:

(1) — قوله: (وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وعبر في السفر وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك) زعم محض، وخطأ مجرد؛ بل الجمهور كان موافقاً لابن عمر، والمخالف الشاذ هو عمر، رضي الله عنه، كما هو محرر أعلاه؛ (2) — قوله: (وما اتفق عليه الصحابة ابن عمر وغيره من أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا، بل يكره ذلك) دعوى إجماع مجردة، من غير برهان؛ وفعل ابن عمر مع مواظبته عليه يشعر بأنه كان يستحب ذلك، فلا معنى لقوله: (لا يستحب)؛ لا سيما أنه زعم — بقدرة قادر — على الكراهية وذلك بقوله: (بل يكره ذلك)، فحتى لو سلمنا له جدلاً بزعمه الإجماع على أن ذلك لا يستحب، فلا يترتب على ذلك إلا أنه مباح أو مكروه أو حرام، فمن أين جزم بالكراهية: وما أسهل الادعاء، وأصعب البرهان؟!

والحق أن مثل هذه المقولات: (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) لا يمكن قبولها إلا ممن يأتيه الوحي من عند من (قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)؛ وفيما جاءنا في كتاب الله المنزل، من قرآن وسنة ثابتة، غنية عن رأي عمر الشاذ هذا.

ولكن الصحيح حقاً هو أن أي مكان يصلي فيه خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يستحق أن يتخذ مسجداً، وأن يتعمد الناس الصلاة فيه، والرحلة إليه، كما جاء بيانه جلياً في حديث عتبان، المشهور، الصحيح؛ وإليك الحديث بطوله، لما فيه من الأحكام والحكم، كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج1/ص164/ح415): [حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّ عِثْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِثْبَانُ: فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» قَالَ: فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةِ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَأَبَى فِي الْبَيْتِ، رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الدَّارِ ذُوو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِ (أَوْ ابْنُ الدُّخَشَنِ)؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ الْحُصَيْنَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ — وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ — وَهُوَ مِنْ سَرَاتِهِمْ، عَنْ حَدِيثِ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ: «فَصَدَّقَهُ بِذَلِكَ»؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ج1/ص237/ح636، ج5/ص2063/ح5086؛ ومسلم في صحيحه ج1/ص456/ح33؛ والنسائي في سننه ج2/ص80/ح788، ج3/ص65/ح1327؛ وابن حبان في صحيحه ج1/ص460/ح223، ج4/ص492/ح1612، ج5/ص432/ح2075؛ وابن خزيمة في صحيحه ج3/ص78/ح1653، ج3/ص87/ح1673؛ وابن ماجه في سننه ج1/ص249/ح754؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج4/ص43/ح16527، ج4/ص44/ح16528، ج4/ص44/ح16529، ج5/ص450/ح23823؛ ومالك في الموطأ ج1/ص172/ح415؛ والطبراني في معجمه الكبير ج18/ص29/ح49، ج18/ص30/ح50، ج18/ص31/ح52؛ والنسائي في سننه الكبرى ج1/ص282/ح863؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الأحاد والمثاني ج3/ص472/ح1931؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج3/ص53/ح4704، ج3/ص71/ح4804، ج3/ص87/ح4893، ج3/ص88/ح4895، ج10/ص124/ح20179؛ والشافعي في مسنده ج1/ص53؛ وغيرهم؛

— وقد سمعه أنس بن مالك من محمود بن الربيع الأنصاري فأعجبه، ثم لقي عتبان بن مالك حياً فسمعه منه كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص62/ح33): [حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سليمان يعني بن المغيرة قال حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت حديث بلغني عنك قال أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأأخذته مصلي)؛ قال فأتى النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله من أصحابه فدخل، وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دحشم قالوا ودوا أنه دعا عليه فهلك وودوا أنه أصابه شر ففضى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الصلاة وقال أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا إنه يقول ذلك وما هو في قلبه قال لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه قال أنس فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج3/ص135/ح12407؛ والطبراني في معجمه الكبير ج18/ص26/ح43، ج18/ص26/ح44؛ وأبو يعلى في مسنده ج3/ص75/ح1505، ج3/ص76/ح1506، ج3/ص78/ح1507؛ وغيرهم.

فالحديث صحيح ثابت بلا شبهة، بل هو قطعي الثبوت، ملحق باليقيني المتواتر؛ ومقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضوان الله وسلامه عليه، آفة الذكر: (إِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ يَتَّبِعُونَ أَثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهَا كَنَائِسَ وَبَيْعًا)، خطأ محض، وزلة شنعاء من زلات العلماء، التي كان هو نفسه، رضوان الله وسلامه عليه، يتخوفها عندما قال: (إنما يهدم الإسلام: زلة العالم، وجدل المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين)!

**والمذهب الصحيح** في آثار الأنبياء بخلاف ذلك، بل على **الضد التام** لذلك، كما حرره الإمام الحجة أبو محمد علي بن حزم حيث قال في المحلى بالآثار (265/6): [قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَأَمَّا مَنْ نَذَرَ الْمَشْيَ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ، أَوْ إِلَى مَكَانٍ سَمَّاهُ مِنَ الْحَرَمِ، أَوْ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ، فَإِنَّهُ إِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ رُكُوبًا، أَوْ نُهُوضًا إِلَى مَكَّةَ، أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْحَرَمِ لَزِمَهُ؛ لِأَنَّهُ نَذَرَ طَاعَةً، وَالْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي "كِتَابِ الْحَجِّ" فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ. وَكَذَلِكَ إِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ نُهُوضًا، أَوْ رُكُوبًا إِلَى الْمَدِينَةِ، لَزِمَهُ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِلَى أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فَإِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ رُكُوبًا، أَوْ اعْتِكَافًا، أَوْ نُهُوضًا إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ لَزِمَهُ. فَإِنْ نَذَرَ صَلَاةً فِيهِ كَانَ مُخَيَّرًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَى مَكَّةَ فَيُصَلِّيَ فِيهَا وَيُجْزِيَهُ. وَالثَّانِي — أَنْ يَنْهَضَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ]

\* وأيضاً قال أبو محمد علي بن حزم في المحلى (ج4/ص44 — 45/م399): [مسألة: ولا تجزئ الصلاة في مسجد أحدث مباهاة أو ضرارا على مسجد آخر، إذا كان أهله يسمعون نداء المسجد الاول ولا حرج عليهم في قصده، والواجب هدمه، وهدم كل مسجد أحدث لينفرد فيه الناس كالرهبان، أو يقصدها أهل الجهل طلبا لفضلها، **وليست عندها آثار لنبي من الانبياء عليهم السلام**]

**سابعاً:** وأيضاً أضاف الشيخ عبد العزيز بن باز قائلًا: [ولو كان إحيائها أو زيارتها أمراً مشروعاً لفعله النبي، صلى الله عليه وسلم، في مكة، وبعد الهجرة، أو أمر بذلك أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه، وسبق أنهم أعلم الناس بشريعة الله وأحبهم لرسوله، صلى الله عليه وسلم، وأنصحهم لله ولعباده، ولم يحفظ عنه، صلى الله عليه وسلم، ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة، أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضاً حين عمرة القضاء ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع، ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة، فعلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر]

فنقول: سبق تكذيب بعض هذا، وإبطاله، في الفقرة السابقة. وحتى لو صحت المزاعم المكدوبة بأنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم يفعل كذا وكذا، فليس ذلك بدليل على التحريم لأن قولهم: (ما تركه النبي تركناه)، والأكذوبة السمجة التي أسموها: (سنة تركية) كله باطل، لا صحة لها. وقد برهنا على ذلك مفصلاً في كتابنا: (كتاب التوحيد: أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد)، في الفصل المعنون: (هل ما (تركه) النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تركناه؛ وهل هناك سنة تركية؟! من الباب الثالث، فليراجع لأهميته القصوى، بل لعله يكاد أن يكون قضية حياة أو موت بعد استفحال شر قرن الخوارج المعاصر: الفرقة الوهابية!

**ثامناً:** وبطبيعة الحال لم يستطع الشيخ عبد العزيز بن باز التغلب على الوسواس الوهابي الأكبر: (القبور)، فكان لا بد من ذكر (القبور)، والتنادي بـ(الويل والثبور)، مع أنه لا علاقة للقبور بمعظم الآثار، فاختتم استدلاله قائلًا: [ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل

الشرك نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك، ولعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأخبر عمن يفعل ذلك أنهم شرار الخلق، وقال فيما ثبت عنه في صحيح مسلم رحمه الله عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك))، وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه) زاد الترمذي بإسناد صحيح: (وأن يكتب عليه)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة؛ وعاد فكر بعض ما سبق ذكره بأسلوب آخر: [وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية، واحتج العلماء على ذلك بأدلة لا تحصى كثرة، وذكر منها العلامة ابن القيم رحمه الله... إلخ]

فنقول: أما (القبور) فحسبك برسالتنا المعنونة: (الحرمة المغلظة لاتخاذ القبور مساجد) التي نرجو أن تكون قد جمعت فأوعت واستوعبت، وعالجت كافة جزئيات قضية (القبور)، ذلك الكابوس الوهابي المرعب.

أما قوله: (دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية): فلا أزيد على القول: اضحك وتعجب: شريعة (كاملة) لم تسد فعلاً ذرائع ما يناقضها، وينقضها من أساسها نقضاً، بنصوص مفصلة صريحة؛ وأضاعت أوقات روات أخبارها بنصوص مفصلة صريحة تعلم الناس كيفية (الخراءة).

ولعل في هذا كفاية: وحسبك من شر سماعه...

والصلاة والسلام والتبريكات التامة الكاملة على نبينا وإمامنا وحبیب قلوبنا وشفیعنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المخلصين المجاهدين.



الإصدار الثاني

حرر في لندن؛ يوم الأحد، 27 شوال 1435 هـ

الموافق: 24 أغسطس - آب 2014 م

<https://www.tajdeed.org.uk>

<https://www.tajdeed.tk>

<http://www.tajdeed.net>

## الفصل: قصة ذات أنواط

\* أخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج3/ص244/ح3291): [حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانِ الدَّوْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكَفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {، (الأعراف: 7: 138)، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)]؛

— وهو في السنة للمروزي (ص: 39/17): [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدٍ الضَّبْعِيُّ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانِ الدَّيْلِيِّ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ قَالَ: وَكَانَتْ لِلْكَفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكَفُونَ عِنْدَهَا وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهَا السُّنَنُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {، (الأعراف: 7: 138)، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ)]

— وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص218/ح21952) إلا أنه لم يذكر نصه، وإنما قال: [حدثنا أبو إسحاق بن سليمان حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى حنين فذكر معنى حديث معمر ومعمّر أتم حديثاً]؛

— وهو في معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/759/2021): [حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنْبَأَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَ مَعْمَرٌ، (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ، عَنْ مَالِكٍ، (ح) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا طَالُوتُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، كُلُّهُمْ قَالَ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانِ الدَّيْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ وَنَحْنُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ)، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكَفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}»، قَالَ: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، لَتَرْكَبُنَّ



سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، [وقال أبو نعيم: (السِّيَاقُ لِمَالِكٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَعْمَرٌ، وَلَا ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثُ عَنْهُ بِكُفْرٍ).

قلت: فهذا حديث مالك. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

\* وأخرجه الإمام الحميدي في مسنده (ج2/ص375/ح848): [حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلَّقُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، (الأعراف: 7: 138)، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)]؛ وأخرجه الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج7/ص479/ح37375): [حدثنا ابن عيينة به]؛ وأبو يعلى في مسنده (ج3/ص31/ح1441): [حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفیان بن عيينة به]؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج3/ص244/ح3292): [حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفیان به]؛ وهو في تفسير ابن أبي حاتم [محققا (5/1553/8906)]: [حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ الْوَاسِطِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، بِهِ]؛

— وأخرجه الإمام الترمذي في سننه (ج4/ص476/ح2180): [حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، (الأعراف: 7: 138)، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)]، ثم قال أبو عيسى: (هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ)؛

— وهو في تفسير الطبري [جامع البيان ت شاكر (13/81/15056)]: [حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن واقد الليثي]؛ وفي تفسير الطبري [جامع البيان ت شاكر (13/81/15055)]: [حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري: أن أبا واقد الليثي قاله]، كذا بإسقاط سنان بن أبي سنان، وهو قطعاً، وهم خطأ بدلالة كل الطرق السابقة

— وهو في تفسير ابن أبي حاتم — محققا (5/1553/8906): [حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ الْوَاسِطِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، بِهِ]

— وهو في السنن المأثورة للشافعي (ص: 338/400): [وَسَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِشَجَرَةٍ يُعَلَّقُ بِهَا الْمُشْرِكُونَ أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ

أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: " هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138]

— وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1/139/204 — 205): [أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زِيَادٍ النَّيْسَابُورِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، (ح) وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُبَشَّرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِ]

— وهو في معرفة السنن والآثار (1/186/329): [أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو النَّضْرِ الْإِسْفَرَائِينِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ سَلَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُزْنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ يُحَدِّثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ]

— وهو في مسند أبي يعلى الموصلي (3/30/1441): [حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ:]

— وهو في دلائل النبوة للبيهقي محققا (5/125): [حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ الْأَصْبَهَانِيُّ إِمْلَاءً، قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو سَعِيدٍ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زِيَادٍ الْبَصْرِيُّ بِمَكَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، بِهِ]

— وهو في معجم الصحابة لابن قانع (1/172): [حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِ]

— وهو في ذم الكلام وأهله (3/109/458): [أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنَا شَافِعُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلَامَةَ بِمَصْرَ حَدَّثَنَا الْمُزْنِيُّ حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَحْدُثُ بِهِ]

قلت: فهذا حديث سفيان بن عيينة. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

\* وأخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده (ج1/ص191/ح1346): [حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانَ الدَّوْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرِ فَمَرَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ قُلْتُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، (الأعراف: 7: 138))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»؛ وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (ج3/ص245/ح3294): [حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا يحيى الحماني حدثنا إبراهيم بن سعد به:]

— وهو في السنة لابن أبي عاصم (1/37/76): [حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا وَقْدٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُهُ]

قلت: فهذا حديث إبراهيم بن سعد. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

\* وأخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان في صحيحه (ج15/ص95/ح6702): [أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَزْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي سِنَانَ الدُّؤَلِيَّ — وهم حلفاء بني الدليل — أَخْبَرَنَا أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِي يَقُولُ — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ، خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قَبْلَ هَوَازِنَ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةِ الْكُفَّارِ: سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، قَالَ: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّكُمْ لَتَرْكَبُنَ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ}]؛

قلت: فهذا حديث يونس. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

فهؤلاء الأربعة الأئمة، وهم من رجالات الطبقة الأولى في الزهري: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وهما من أثبت الناس في الزهري، وإبراهيم بن سعد ويونس؛ كلهم يقولون أنهم مروا على (ذات أنواط) بعينها، فقالوا ما قالوا!

\* وجاء في جامع معمر بن راشد (11/369/20763): [أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانَ بْنِ أَبِي سِنَانَ الدِّيَلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنْوُطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، (الأعراف: 7: 138)، إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»]؛ وهو بعينه في تفسير عبد الرزاق (2/88/931): [عَنْ مَعْمَرٍ]؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص218/ح21950): [حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِهِ]؛ وأخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى (ج6/ص346/ح11185): [أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِهِ]؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج3/ص244/ح3290): [حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِهِ]؛ وهو في تفسير الطبري [جامع البيان ت شاكر (13/81/15055)]: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ]؛

— وهو في تفسير عبد الرزاق (2/88/931): [حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانَ بْنِ أَبِي سِنَانَ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنْوُطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}، (الأعراف: 7: 138)، إِنَّكُمْ تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)]

— وهو في السنن الكبرى للنسائي (10/100/11121): [أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِهِ]

— وهو في الإبانة الكبرى لابن بطة (2/568/710): [حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الرِّيَّانِ السَّبْتِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو يَعْقُوبَ الدَّيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِهِ]

— وهو في مغازي الواقدي (3/890): [حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدَّيْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ — وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ — قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ، وَكَانَتْ لِكُفَّارٍ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ يُعْلِقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، يَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا. قَالَ: فَرَأَيْنَا يَوْمًا، وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَجَرَةً عَظِيمَةً خَضِرَاءَ، فَسْتَرْتَنَا مِنْ جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! اللَّهُ أَكْبَرُ! قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّهَا لِلْسِّنَنِ، سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ]

— وهو في تفسير البغوي — إحياء التراث (2/227/939): [أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الطَّاهِرِيُّ أَخْبَرَنَا جَدِّي أَبُو سَهْلٍ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَزَّازُ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا الْعُذَابِرِيُّ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّيْرِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، بِهِ]

— وهو في أخبار مكة للأزرقي (1/129): [حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ الْبَصْرِيِّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدَّيْلِيِّ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ — قَالَه]

قلت: فهذا حديث مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

\* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج5/ص218/ح21947)، أو في [ط الرسالة (36/225/21897)]: [حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّوَلِيِّ ثُمَّ الْجُنْدَعِيِّ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعْلِقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةِ خَضِرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ})]; وهو في تفسير الطبري [جامع البيان ت شاعر (13/82/15058)]: [حدثني المثنى قال، حدثنا ابن صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال، أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي، عن أبي واقد الليثي به]; قلت: فهذا حديث عُقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ. والإسناد صحيح على شرط الشيخين بإجماع النقاد.

\* وجاء في سيرة ابن هشام [ت السقا (2/442)]: [قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَنَانَ بْنِ أَبِي سَنَانَ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَمَرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفَّارُ قَرِيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، فَيَعْلُقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا. قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِدْرَةَ خَضِرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»، قَالَ: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}. إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ}؛ وأخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج3/ص244/ح3293): [حدثنا المقدم بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة حدثنا بن إسحاق حدثني الزهري عن سنان بن أبي سنان الليثي ثم الجندعي عن أبي واقد الليثي قاله]؛ وهو في تفسير الطبري [جامع البيان ت شاكر (13/82/15057)]: [حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نحوه]؛ وله: (أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ) تصحيف قطعاً، وإنما هو: (وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ)، أو: (وَأَسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ) — وهو في دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (5/124): [أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، وَأَبُو بَكْرِ الْقَاضِي، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ بِهِ]

قلت: فهذا محمد بن إسحاق سماعاً من الزهري، فالإسناد متصل صحيح.

فهؤلاء الثلاثة الأئمة: معمر بن راشد، وعقيل بن خالد، وهما من أثبت الناس في الزهري؛ ومحمد بن إسحاق سماعاً من الزهري؛ كلهم يقولون فقط أنهم مروا على (سدره خضراء عظيمة)، قد تكون هي ذات أنواط، وقد لا تكون، فتذكروا (ذات أنواط)، فقالوا ما قالوا؛ ونسارع فنقول: ليس في الرواية ما ينفي أو يثبت أنهم مروا على (ذات أنواط) بعينها!

قلت: المثبت مقدم على النافي، وذكر المرور على (ذات أنواط) بعينها، زيادة أربعة من كبار الثقات الأثبات، فلا محيص من قبولها، بل هو نقل تواتر عن الزهري. والأسانيد أكثرها صحاح على شرط الشيخين؛

ولكن لعل الرواية التالية المستقلة — على ضعفها بسبب كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني — توضح الصورة بصفة نهائية:

\* فقد أخرج الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره [محققا (5/1554/8910)]: [حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ قَالَ: عَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَامَ الْفَتْحِ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَنَيْفٌ فَقَفَحَ اللَّهُ لَهُ مَكَّةَ وَحُنَيْنَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ أَرْضُ شَجَرٍ، مِنْ سِدْرَةٍ كَانَ يُنَاطُهَا السَّلَاحُ فَسُمِّيَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَرَفَ عَنْهَا فِي يَوْمٍ صَائِفٍ إِلَى ظِلٍّ هُوَ أَذْنَى مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّهَا السُّنَنُ؛ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}؛ فَقَالَ: {أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}؛] وأخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج17/ص21/ح27): [حَدَّثَنَا مَسْعَدَةُ بْنُ سَعْدٍ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَهُ بَعِينُهُ]

فراوية عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه، وهو من السابقين الأولين ممن صلى إلى القبلتين، وهي موافقة، بل تكاد أن تكون مطابقة للروايات الصحاح آنفة الذكر، وليس في متنها ما يعاب إلا:

(1) — ما أخطأ به بعض الرواة أو النساخ إذ قال: (وَنَحْنُ أَلْفٌ وَنَيْفٌ)، وقد كانوا فوق العشرة آلاف؛

(2) — قوله: فَقَالَ: {أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}، والصحيح أنه بلغ فقط: {إنكم قوم تجهلون}، كما هو عند مالك، ويونس؛

وتندفع كل شبهة حول ثبوت الواقعة، وتصل إلى درجة المتواتر المفيد للقطع واليقين بالرواية المختصرة التالية، من مرجع مستقل، وطريق مستقلة تمام الاستقلال:

\* كما جاءت في مغازي الواقدي (3/891): [حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ شَجَرَةً عَظِيمَةً، أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَذْبَحُونَ بِهَا وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، وَكَانَ مَنْ حَجَّ مِنْهُمْ وَضَعَ رِدَاءَهُ عِنْدَهَا، وَيَدْخُلُ بِغَيْرِ رِدَاءٍ تَعْظِيمًا لَهَا، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى حُنَيْنٍ قَالَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثًا، وَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَى بِمُوسَى، كَذَا فِي الْأَصْلِ: (بِهَا)، وهو تصحيف بَيْنَ، والصحيح: (لَهَا).

فهذه الروايات، توجب بمجموعها القطع بالقصة في جوهرها:

(1) — أنهم مروا على ذات أنواط بعينها؛

(2) — أنهم قالوا ما قالوا؛ وأجابهم النبي بما ورد؛

(3) — أن القائلين، أو أكثرهم، كانوا (حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ)، ولا نبالي: هل كان أبو واقد الليثي نفسه من القائلين، أو أنه استخدم لفظة: (قلنا) لأن عامة القائلين من قبيلته، وليس هو من القائلين لأنه قديم الإسلام، قد شهد بصدقها، فيما يقال؛ ولا نبالي أن يكون عدد القائلين ثلاثة أو ثلاثة آلاف؛ وزادتنا رواية عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه:

(4) — أن ذلك بعد الفتح المكي المجيد، والنصر المؤزر على هوازن، في الطريق بين حنين والطائف، والنبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في الطريق إلى ثقيف في الطائف لتأديبها على مشاركة هوازن في عدوانها وحربها لله ورسوله، وكانت ثقيف قد أوعبت في نصرتها لهوازن. فالنبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو سيد تلك المنطقة، المتغلب عليها: صاحب السلطان النافذ، والسيف المسلول، بعد نصره المؤزر. وهذا أمر تاريخي، ذو قيمة ثانوية: فحتى لو كان هذا في الطريق إلى حنين قبل المعركة، فهو في منطقة سلطان مكة، التي غلب عليها، وفتحها، وهدم معابد أوثانها: فالنبى، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو أيضاً سيد تلك المنطقة، المتغلب عليها: صاحب السلطان النافذ، والسيف المسلول؛

(5) — أن تلك السدرة (ذات أنواط) كانت: تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، هكذا نصاً في خبر عمرو بن عوف المزني، رضي الله عنه: فهي إذاً (وثن صنمي)؛

(6) — أنه لم يقطع (ذات أنواط)، ولا أمر بقطعها، فهو فقط تجنبها، فلم يستظل بها، مع كونها أعظم سدرة في تلك الأرض، وأمدّها ظلّاً، واستظل بسدرة كبيرة أخرى، إلا أنها دون (ذات أنواط) في الحجم واتساع الظل: وهذا بمفرده صفة على أقفية الوهابيين الأغبياء مقطعي الأشجار، هادمي الآثار؛

أما علة عدم قطع (ذات أنواط)، بالرغم من كونها، قطعاً ولا جدال: وثن صنمي، يعبد من دون الله: فالذي يظهر لي: إنما هو لأنها في جوهرها: شجرة، أي: شيء طبيعي، وليست شيئاً مصطنعاً، من إحداث البشر كمعبد العزى بنخلة، وهو بناء على سمرة، أو سمرة كبار، أي هو سرادق أو فسطاط أو صيوان، أكثره من الوبر، وربما كان بعضه من الحجر، فلا يمكن إزالة البناء إلا بقطع شجرات السمر، أو حرقها؛ أو معبد اللات في الطائف الذي كان بناءً له أستار، تشبهاً بالكعبة، فوق صخرة بيضاء منقوشة مربعة، وحوله فناء بمثابة (حرم)، كما جاء في تفسير ابن كثير [ط العلمية (422/7)]: [وَكَانَتِ اللَّاتُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَنْقُوشَةً وَعَلَيْهَا بَيْتٌ بِالطَّائِفِ، لَهُ أَسْتَارٌ وَسَدَنَةٌ وَحَوْلُهُ فَنَاءٌ مُعْظَمٌ عِنْدَ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَهُمْ ثَقِيفٌ وَمَنْ تَابَعَهَا، يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ قُرَيْشٍ]؛ فتمت إزالة البناء، وإبطال (الحرم)، على نحو قريب من الذي جاء في تاريخ المدينة لابن شبة (501/2 - 505): [حَدَّثَنَا الْحَزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ: أَقْبَلَ وَقَدْ ثَقِيفٌ بَعْدَ قَتْلِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ بَضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ أَشْرَافُ ثَقِيفٍ، فِيهِمْ كِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلٍ، وَهُوَ رَأْسُهُمْ يَوْمَئِذٍ وَفِيهِمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ أَصْغَرُ الْوَفْدِ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدُونَ الصُّلْحَ وَالْقَضِيَّةَ]، فساق خبراً طويلاً، حتى بلغ قصة هدم اللات، فقال: [ثُمَّ قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمِيرُهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَفِيهِمْ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ،

فَلَمَّا قَدِمُوا عَمَدُوا إِلَى اللَّاتِ فَهَدَمُوهَا، وَقَدْ اسْتَكْفَتْ ثَقِيفُ الرِّجَالِ مِنْهُمْ وَالنِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْحِجَالِ، لَا تَرَى عَامَّةً ثَقِيفٍ أَنَّهَا مَهْدُومَةٌ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهَا مُمْتَنِعَةٌ، فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ الْكَرَزَنَ (وهو: المعول) وَقَالَ: لَأُضْحِكَنَّكُمْ مِنْ ثَقِيفٍ، فَضَرَبَ بِالْكَرَزَنَ ثُمَّ سَقَطَ يَرْتَكِضُ، فَارْتَجَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِصِيحَةٍ وَاحِدَةٍ قَالُوا: أَبَعَدَ اللَّهُ الْمُغِيرَةَ، قَدْ قَتَلْتَهُ الرَّبَّةُ، حِينَ رَأَوْهُ سَاقِطًا، وَقَالُوا: مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيَتَقَرَّبْ وَلْيَجْتَهِدْ عَلَى هَدْمِهَا، فَوَاللَّهِ لَا يُسْتَطَاعُ أَبَدًا، فَوَثَبَ الْمُغِيرَةُ فَقَالَ: قَبِّحْكُمْ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ، إِنَّمَا هِيَ لَكَاعُ حِجَارَةٌ وَمَدَرٌ، اقْبَلُوا عَافِيَةَ اللَّهِ وَاعْبُدُوهُ، ثُمَّ ضَرَبَ الْبَابَ فَكَسَرَهُ ثُمَّ عَلَا عَلَى سُورِهَا وَعَلَا الرِّجَالُ مَعَهُ، فَمَا زَالُوا يَهْدُمُونَهَا حَجَرًا حَجَرًا حَتَّى سَوَّوْهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَفَاتِيحِ يَقُولُ: لِيَغْضَبَنَّ الْأَسَاسُ وَلِيُخَسِفَنَّ بِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُغِيرَةُ قَالَ: يَا خَالِدُ، دَعْنِي أَحْفِرُ أُسَاسَهَا، فَحَفَرُوهُ حَتَّى أَخْرَجُوا تَرَابَهَا، وَانْتَزَعُوا حُلِيِّهَا، وَأَخَذُوا ثِيَابَهَا، فَبَهَتَتْ ثَقِيفٌ...[إلخ]؛

وإليك السياق في مغازي الواقدي (3/ 970): [وخرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُغِيرَةُ وَأَصْحَابُهُمَا لِهَدْمِ الرَّبَّةِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الطَّائِفِ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: تَقَدَّمَ فَأَدْخُلْ لِأَمْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: بَلْ تَقَدَّمَ أَنْتَ عَلَى قَوْمِكَ! فَتَقَدَّمَ الْمُغِيرَةُ، وَأَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَالِهِ ذِي الْهَرَمِ، وَدَخَلَ الْمُغِيرَةُ فِي بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا يَهْدُمُونَ الرَّبَّةَ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِالطَّائِفِ نَزَلُوا عِشَاءً فَبَاتُوا، ثُمَّ غَدَوْا عَلَى الرَّبَّةِ يَهْدُمُونَهَا. فَقَالَ الْمُغِيرَةُ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَهُ: لَأُضْحِكَنَّكُمْ الْيَوْمَ مِنْ ثَقِيفٍ. فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَاسْتَوَى عَلَى رَأْسِ الرَّبَّةِ وَمَعَهُ الْمِعْوَلُ، وَقَامَ، وَقَامَ قَوْمُهُ بَنُو مُعْتَبٍ دُونَهُ، مَعَهُمُ السَّلَاحُ مَخَافَةً أَنْ يُصَابَ كَمَا فَعَلَ بِعَمِّهِ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ. وَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: كَلَّا! زَعَمْتَ تَقْدَمُنِي أَنْتَ إِلَى الطَّائِفَةِ، تَرَانِي لَوْ قُمْتَ أَهْدِمَهَا كَانَتْ بَنُو مُعْتَبٍ دُونِي؟ قَالَ الْمُغِيرَةُ: إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَاضَعُوهُمْ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ، فَأَحْبَبُوا الْأَمْنَ عَلَى الْخَوْفِ. وَقَدْ خَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسْرًا يَبْكِينَ عَلَى الطَّائِفَةِ، وَالْعَبِيدُ، وَالصَّبِيَّانَ، وَالرِّجَالَ مُنْكَشِفُونَ، وَالْأَبْكَارُ خَرَجْنَ. فَلَمَّا ضَرَبَ الْمُغِيرَةُ ضَرْبَةً بِالْمِعْوَلِ سَقَطَ مَعْشِيًا عَلَيْهِ يَرْتَكِضُ، فَصَاحَ أَهْلُ الطَّائِفِ صِيحَةً وَاحِدَةً: كَلَّا! زَعَمْتُمْ أَنَّ الرَّبَّةَ لَا تَمْتَنِعُ، بَلَى وَاللَّهِ لَتَمْتَنِعَنَّ! وَأَقَامَ الْمُغِيرَةُ مَلِيًّا وَهُوَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ، ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ: مَا مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَغْفَلَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَمَا مِنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَحْمَقُ مِنْكُمْ! وَيَحْكُمُ، وَمَا اللَّاتُ وَالْعُزَّى، وَمَا الرَّبَّةُ؟ حَجَرٌ مِثْلُ هَذَا الْحَجَرِ، لَا يَدْرِي مَنْ عَبَدَهُ وَمَنْ لَمْ يَعْبُدْهُ! وَيَحْكُمُ، أَتَسَعِ اللَّاتُ أَوْ تُبْصِرُ أَوْ تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ؟ ثُمَّ هَدَمَهَا وَهَدَمَ النَّاسُ مَعَهُ، فَجَعَلَ السَّادِنُ يَقُولُ - وَكَانَتْ سَدَنَةُ اللَّاتِ مِنْ ثَقِيفٍ بَنُو الْعِجْلَانِ بْنِ عَتَابِ بْنِ مَالِكٍ، وَصَاحِبُهَا مِنْهُمْ عَتَابُ بْنُ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ بَنُوهُ بَعْدَهُ - يَقُولُ: سَتَرُونَ إِذَا انْتَهَى إِلَى أُسَاسِهَا، يَغْضَبُ الْأَسَاسُ غَضَبًا يَخْسِفُ بِهِمْ. فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ الْمُغِيرَةُ وَلِيَ حَفَرَ الْأَسَاسَ حَتَّى بَلَغَ نِصْفَ قَامَةٍ، وَانْتَهَى إِلَى الْغُبْعِ خِرَانَتِهَا، وَانْتَزَعُوا حُلِيَّتَهَا وَكُسُوتَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ طِيبٍ وَمِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ]؛

وفي سياق الواقدي ذكر أبي سفيان بن حرب بدلاً من خالد بن الوليد، وفروق أخرى توجب القطع أنه عن غير الزهري؛ كذا في السياقين بتفصيل كبير، مع عدم ورود حرف واحد عن الصخرة البيضاء المنقوشة؛ فمن المحال الممتنع أن تكون قد كسرت، أو حُكَّتْ، أو أرادوا ذلك وعجزوا عنه، ولا يرد عن ذلك حرف واحد في هذا الخبر الطويل، أو غيره من الأخبار المشابهة، بغض النظر عن درجة ثبوتها.



ويقال أنها (أي: الصخرة البيضاء المنقوشة) ما زالت تحت المنارة القديمة لمسجد عبد الله بن العباس؛ وعلة عدم كسرها أو حكها، والله أعلم أنها في جوهرها: صخرة طبيعية، وما بها من نقوش من إحداه البشري ثانوي طارئ، لا يعتد به، فلا يوجب كسراً أو حكاً.

فحقيقة (ذات أنواط)، وقصتها، هي:

أولاً: أنها كانت (تعبد من دون الله)، أي أنها كانت وثناً صنمياً؛ فليست القضية قضية تبرك فقط، كما شطح الخيال بالبعض؛

ثانياً: أن قوله، عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ })، على حقيقته: تشبيه لجواهر قولهم الذي هو (اتخاذ وثن صنمي لله، تصلنا من خلاله بركة الله) بجواهر قول بني إسرائيل: (اتخاذ صنم لله، تصل عبادتنا من خلاله إلى الله)؛ فليس هو مبالغة مجازية، وليس هو تشبيه لبعض جوانب قولهم ببعض جوانب قول بني إسرائيل، ومن زعم خلاف ذلك فعليه البرهان؛

ثالثاً: أن مقولة: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)؛ تماماً كمقولة: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)، مقولة كفر: يكفر قائلها إن لم تقم به أحد موانع تكفير المعين المعروفة كالجهل أو التأويل؛ والحال هنا قد يكون مزيحاً من الجهل والتأويل؛ فليس الحال كما زعمه أبو عبد الله المصري، أحد طلبة العلم، الذي جمع من الكتب والنت بحثاً أسماه: (كشف الأغلاط في فهم قضية ذات أنواط) من سلسلة الدفاع عن الصحابة (6). وكنت قد فرحت عندما وجدت البحث، وقمت بإنزاله، أملاً أن يكفيني كل، أو بعض المؤونة، فكانت خيبة الأمل كبيرة؛

فأولاً: نصب المؤلف نفسه للدفاع عن الصحابة، كأنهم بحاجة إلى دفاعه، أو كأنه استلم وكالة شرعية من أبي واقد الليثي، رضي الله عنه، من وراء البرزخ؛ وحتى لو افترضنا أن لذلك مسوغات وجيهة، فليس هذا جوهر القضية في هذه القصة؛

ثانياً: أن المؤلف قرأ النصوص وفي نفسه رأي وهوى مسبق قد اختاره هو، ألا وهو أنه (لا يوجد عذر بالجهل في الكفر)؛ فهو يلوي أعناق النصوص ليقودها إلى رغبته، بدلاً من أن يستسلم للنصوص المنزلة المعصومة حتى تقوده إلى حقائقها، كما هو حال المؤمنين بحق: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }، (الأحزاب؛ 33: 36)؛

ولسنا نظلم الرجل، فإليك نص قوله: [احتج من يقول بالعدو بالجهل في جميع المسائل بهذا الحديث من أن الصحابة قد ارتكبوا شركاً وعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجهل ولم يكفرهم، وجعلوا ذلك دليلاً على أن من فعل الشرك الأكبر جاهلاً لا يكفر، وساق المحتج ببعض النصوص للعلماء ليدعم بها فهمه للحديث ستأتيتك في مواضعها وتأتيتك الإجابة منها. الجواب على هذه المعارضة من وجهين]

وإليك ردود أبي عبد الله المصري: [الوجه الأول: أقول وبالله التوفيق: إن الذين طلبوا المشابهة في البدعة كانوا حدثاء عهد بالكفر، وطلبوا ولم يفعلوا، وقد نص العلماء على أنهم طلبوا مجرد المشابهة في أن تكون لهم شجرة ينوطون بها السلاح يستمدون بها وليس منها النصر بسبب ما ينزل من البركة عليها من قبل الله جل جلاله. ولذلك سألو النبي، صلى الله عليه وسلم، ذلك فقالوا: "اجعل لنا ذات أنواط"، فهم لم يدعوا فيها هذا من قبل نفوسهم ولكن أرادوا أن يكون ذلك من الله عن طريق نبيه ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم، وكما قلت من قبل: يستمدون بها النصر وليس منها كما في الحديث الصحيح (مطرنا بنوء كذا) أي: بسبب النجم لا به، لأن القول مطرنا بسبب النجم فهذا يكون ابتداع وشرك أصغر. فهم طلبوا النصر بها، ولكن المحذور الذي وقعوا فيه هو مشابھتهم للمشركين فقطع النبي، صلى الله عليه وسلم، مادة المشابهة من جذرها، وقال: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل (اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة) [فنقول: من أين لك أنهم فقط: (طلبوا المشابهة في البدعة)، وهم قد قالوا صراحة، وبدون موارد: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، ومعتقد المشركين في ذات أنواط معروف صراحة أو بالقرائن، لا سيما من تصريح رواية، وإن كان فيها بعض الضعف، عن (ذات أنواط) أنها: (تعبد من دون الله)؛ وتمثيل النبي لقولهم بقول بني إسرائيل، وهو قول كفري صريح؛ واعتذار أبي واقد عن نفسه أو قومه، أو كليهما بأنهم كانوا (حَدِيثُوا عَهْدٍ بِكُفْرٍ)؟]

ولا يغني عنك شيئاً القول: [وقد نص العلماء على أنهم طلبوا مجرد المشابهة في أن تكون لهم شجرة ينوطون بها السلاح يستمدون بها وليس منها النصر بسبب ما ينزل من البركة عليها من قبل الله جل جلاله]، فمن حقنا أن نسأل هؤلاء (العلماء)، وسنأتي بنماذج من أقوالهم قريباً: من أين لكم هذا، وخاصة من أين جئتم بقولكم المفصل هذا: (يستمدون بها، وليس منها، النصر بسبب ما ينزل من البركة عليها من قبل الله جل جلاله)، على أن قولكم: (منها) لا معنى له أصلاً لأنهم لم يكونوا يعتقدون أن البركة من ذات الشجرة، بوصفها شجرة، فهذا محال لا يعتقده حتى نزلاء المصححات العقلية؛ وإنما لأنها وثن صنمي ينوب عن اللات أو العزى أو غيرها من الكائنات الإلهية العلوية الملائكية أو السفلية الشيطانية أو الأرضية الجنية بين بين، وحينئذ لا فرق أن يكون الاستمداد منها أو بها، وكل هذه البهلوانيات اللفظية لا تقدم ولا تأخر: لأنه لا معنى لها، ولا محصول يرجى من ورائها؛

والغريب أن أبا محمد المصري الذي جعل قول المعصوم، أفصح العرب، الذي أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (اللَّهُ أَكْبَرُ: إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} )، مجرد مشابهة في البدعة، صارفاً القول عن ظاهره وحقيقته من غير برهان، وإنما بشبهات عارضة، وأقوال علماء، لم يحرروا المسألة، وما كان ينبغي له أن يعبأ بقولهم، وهو نفسه يقول بعد أسطر قليلة: (والقوم اللذين سألو الرسول

ذات أنواط لم يطلبوا الشرك الأكبر يقيناً لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة بلا نزاع بين العلماء؛ فأى بيان بربكم أوضح من: (قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}؟!)

ثم ضرب أبو عبد الله المصري مثلاً آخر، فقال: [كما في الحديث الصحيح (مطرنا بنوء كذا) أي: بسبب النجم لا به، لأن القول مطرنا بسبب النجم فهذا يكون ابتداء وشرك أصغر ومن قال: إن النجم هو الذي أنزل المطر فهذا شرك أكبر بالله في ربوبيته]؛ فاخترع ألفاظ (ابتداء)، و(شرك أصغر) من خياله، ولا مستند لها في الأحاديث أصلاً، وهي نحو سبعة أو ثمانية أحاديث، أكثرها صحاح، وليست حديثاً واحداً كما يظهر من كلامه: عن زيد بن خالد الجهني، وأبي هريرة بنقل التواتر عنه، وعبد الله بن العباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي مالك الأشعري، وأبي الدرداء، وعمرو بن عوف المزني، رضي الله عنهم، ومعاوية الليثي، ولا يدرى من هو، وعلي بن أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليه، وإن كان الأرجح أنه موقوف عليه، قد حاولنا تفصيلها، مع الاختصار، تجدها في الفصل المعنون: (تقصي أحاديث: مطرنا بنوء كذا)؛ ولم ترد فيها لفظة أو سياق يدل على: (البدعة) أصلاً، وإنما ورد فقط:

(1) (الكفر) ويقابله في أكثر الروايات لفظاً (الإيمان)، وإن كانت السياقات ترجح أن الكفر ها هنا هو (كفر النعمة) المقابل لـ(الشكر)؛ وجاءت رواية صحيحة مصرحة بلفظة: (الشكر) عند الإمام مسلم: (أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر)؛

(2) (من الجاهلية)، أو (من أمر الجاهلية)، نحو ذلك، فالأمر قديم، درج عليه الناس واعتادوه حتى كاد أن يكون الإفلات منه متعذراً؛ وهذا هو الضد التام لـ(البدعة)، وهي الأمر الجديد المحدث: فمن أين أتى أبو عبد الله المصري بلفظة (البدعة) ها هنا؛

(3) لم ترد لفظة (الشرك) مطلقاً، إلا في رواية عن رجل يقال له: (معاوية الليثي) ليس له إلا هذا الحديث الواحد، ولم يرو عنه سوى نصر بن عاصم الليثي، وهذا لا يكفي لرفع الجهالة عنه، ومن باب أولى لا يكفي لتوثيقه، أو معرفة درجته في الحفظ، وتشده أو تساهله في الرواية بالمعنى؛ ولم يصرح نصر بن عاصم بأنه صحابي، ولبس في نص الحديث ما يوجب ترجيح سماعه من النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأن الرواية تأتي تارة (معنعة): (عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال) كذا عند البخاري وهو من أحرص خلق الله على تحصيل ألفاظ السماع؛ وتارة (مأناة): (عن معاوية الليثي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال)، وتارة أخرى (معلقة): (عن معاوية الليثي قال: قال رسول الله)؛ فهذا المثال، الذي ضربه أبو عبد الله المصري، غير موفق، بل هو حجة عليه، ودحض لمزاعمه.

بقي قوله: (ومن قال: إن النجم هو الذي أنزل المطر فهذا شرك أكبر بالله في ربوبيته) ولا أشك أن مقصده سليم، ولكن صياغته في غاية السوء والغموض، وكان الواجب أن يقول: (إن النجم هو الذي ينزل المطر بقدرته الذاتية، على وجه الاستقلال)، أو (أن النجم هو الذي ينزل المطر بغير علم وتقدير وإن من الله)، أو (أن الله يحتاج وساطة أو معونة النجم لإنزال المطر، كما يحتاج الملوك للمعاونين

والوزراء)، أو ما شاكل ذلك، إن أراد التفصيل؛ أو أن يجمل فيقول: (من اعتقد في النجم شيء من الألوهية، ونسب إليه إنزال المطر، فهذا شرك أكبر)، ولا حاجة للقول: (شرك أكبر بالله في ربوبيته) لأنه قد يكون في جوهره شركاً في الذات أو الأسماء والصفات، فضلاً على أنه في الغالب يقصد قسمة ابن تيمية الثلاثية الباطلة، وقد أشبعنا هذا تأصيلاً في كتابنا: (كتاب التوحيد: أصل الإسلام، وحقيقة التوحيد)، فليراجع. وبقيّة البحث: (كشف الأغلاط في فهم قضية ذات أنواط) لا يخرج كثيراً عما أسلفناه: دوامة من المشتبهات، من غير رد إلى المحكمات!

وإنما طولنا مع أبي عبد الله المصري لأنه اجتهد، وأتعب نفسه في جمع بحث كامل أسماه: (كشف الأغلاط في فهم قضية ذات أنواط)، قاصداً الخير، مريداً للمسارعة إليه، بلا شك، فجزاه الله خيراً؛ ولكن خلفيته الوهابية قصمت ظهره، فلم يعد بمستطاعه حتى الزحف، أي: المشي على بطنه، دع عنك المسارعة في السعي، أو المسابقة إلى الحقائق.

وإليك النماذج الموعودة من أقوال (العلماء)، مع تعليقات مختصرة، من غير إطالة مناقشة، لترى حجم التخبط المخيف:

\* جاء في الحوادث والبدع لأبي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي المالكي (المتوفى: 520هـ) (ص: 39): [فانظروا - رحمكم الله - أينما وجدتم سدرية أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط؛ فاقطعوها]؛ فنقول: كذا يكون التأسي الحسن بسيدي أبي القاسم، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، الذي بين وعلم، ولم يقطع الشجرة؛ أما صاحبنا هذا فهو مشغول عن تثقيف العوام وتعليمهم بالمهم الخطير: قطع الشجر: فكأنه يقول بلسان حاله للنبي: (اقطع الشجرة يا محمد، فما أراك قمت بالواجب الأهم). وسؤالنا هنا ما الفرق بين حال هذا وذو الخويصرة الهالك الخاسر؟!

\* وجاء في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/157): [ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله أكبر، قلت كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، إنها السنن لتركب سنن من كان قبلكم». فأنكر النبي، صلى الله عليه وسلم، مجرد مشابھتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم. فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابھتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟ فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء أو قناة جارية، أو جبلاً، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقراً عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا. وأقبح من ذلك أن ينذر لتلك البقعة دهنا لتنور به، ويقال: إنها تقبل النذر، كما يقول بعض الضالين.

فإن هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء، ولا يجوز الوفاء به، بل عليه كفارة عند كثير من أهل العلم، منهم أحمد في المشهور عنه، وعنه رواية هي قول أبي حنيفة والشافعي وغيرهما: أنه يستغفر الله من هذا النذر، ولا شيء عليه، والمسألة معروفة[؛

قول الإمام ابن تيمية: (فأنكر النبي، صلى الله عليه وسلم، مجرد مشابھتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم)، كذا: (مجرد مشابھتهم)، مزاعم مرسلة، وأقاويل مجردة، لا برهان عليها، ولا يعجز عن الإتيان بها أحد: فما أسهل الادعاء، وأعسر البرهان. ثم هم لم يباشروا بأنفسهم (اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم) أصلاً، وإنما طلبوا من النبي أن يجعل لهم ذلك. ثم ما هي حقيقة المعتقد، وجوهر التصور (اتخاذ شجرة يعكف عليها، وتعلق عليها الأسلحة)، فقد يكون معتقداً كفرياً شركياً في غاية الخطورة. ثم بعد هذه الأخطاء الجسيمة، فرع فقال: [فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها، ولم تستحب الشريعة ذلك، فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض... إلخ]، فإذا كان الأصل فاسداً، أو غير محرر، فالنتائج لا شك كذلك: مرتبكة متناقضة، ولكن ليس هذا موضع هذه المباحث الثانوية.

\* وقال الشاطبي في (الاعتصام ج2 ص 245 - 246)، في معرض إتباع الأمم السابقة خاصة أهل الكتاب في بدعهم: [فقوله، صلى الله عليه وسلم: (حتى تأخذ أمتي بما أخذ القرون من قبلها) يدل على أنها تأخذ بمثل ما أخذوا به إلا أنه لا يتعين في الإتباع لهم أعيان بدعهم، بل قد تتبعها في أعيانها وتتبعها في أشباهها، فالذي يدل على الأول قوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) الحديث فإنه قال فيه: (حتى لو دخلوا في جحر ضب خرب لاتبعتموهم). والذي يدل على الثاني قوله: (فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال عليه السلام: هذا كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلهاً) الحديث. فإن اتخاذ ذات أنواط يشبه اتخاذ الآلهة من دون الله لا أنه هو بنفسه، فلذلك لا يلزم الاعتبار بالمنصوص عليه ما لم ينص عليه مثله من كل وجه والله أعلم؛ فنقول: من هاهنا نشأ الخطأ: لأن الموضوع في الأساس، عند الوهلة الأولى، ليس هو (اتخاذ الآلهة من دون الله)، وإنما (اتخاذ صنم أو وثن صنمي لله)، ولما كان اتخاذ صنم لله، واجب الوجود الأحد، الواحد الصمد، محال، فيترب على ذلك بالضرورة العقلية أن الصنم المتخذ ينوب، إن قدرنا أنه ينوب أو يقوم مقام شيء أصلاً، ضرورة، عن شيء آخر، غير الله؛

\* وأوغل في الخطأ قول مؤسس الفرقة الوهابية محمد بن عبد الوهاب بعد أن ساق الحديث في (كتاب التوحيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما): [فيه مسائل: المسألة الثالثة: - كونهم لم يفعلوا؛...؛ المسألة الحادية عشر: أن الشرك فيه: أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا]؛ فنقول: نعم، لم يرتدوا لأنهم معذورون بجهل أو تأويل، وليس لأن مقولتهم ليست من مقولات الكفر؛ وقوله: (كونهم لم يفعلوا) كلام فارغ، وإنما العبرة بالاعتقاد الذي عبرت عنه المقولة، فإن كانت المقولة مقولة كفر، فالفعل المترتب عليها، إن كان ثمة فعل، (زيادة في الكفر)؛

\* وجاء في الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (1/321): [فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح، وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله]؛ إناطة السلاح بالشجرة إذا كان مبنياً على اعتقاد شيء من الصنمية أو الألوهية في الشجرة عبادة للشجرة، فلا معنى لقوله: (ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور)، لأن العبادة لا بد أن تكون مسبوقة باعتقاد تنبني عليه؛ ولكن الإمام الشوكاني ممن سقط في فخ القسمة الثلاثية وتعريفها الباطل للعبادة، وتبع محمد بن عبد الوهاب في هوسه القبوري، ففسد عقله، واختل نظره؛

\* وجاء في الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة (ص: 349): [فيإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟]؛ فنقول: أسلفنا أن (اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف) عبادة للشجرة، إذا كان مسبوقاً باعتقاد معين يتضمن نسبة شيء من الألوهية أو الصنمية إليها، فلا معنى لقوله: (وهم لا يعبدونها ولا يسألونها)، فكأنه يقول: إنهم لا يعبدونها، حالة عبادتهم لها... وحسبك بهذا تناقضاً؛

قلت: ولعل في هذا كفاية، وإلا طال الأمر جداً من غير كبير محصول، ومهما اختلف الناس في ماهية (ذات أنواط) هذه، إلا أن المقطوع به أنه لم يقطعها، ولا أمر بقطعها؛ وهذه صفة قوية على أقفية رجال الفرقة الوهابية، وبصقة في وجوههم، والله أعلم وأحكم.

#### الفصل: تقصي أحاديث: (مطرنا بنوء كذا)

\* أخرج الإمام مالك في الموطأ (ج1/ص192/ح451) عن زيد بن خالد الجهني: [عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال: قال: {أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب})]؛ وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه ج1/ص290/ح810، ج1/ص351/ح991؛ والبخاري في الأدب المفرد ج1/ص313/ح907؛ ومسلم في صحيحه ج1/ص84/ح71؛ وابن حبان في صحيحه ج1/ص418/ح188، ج13/ص503/ح6132؛ والنسائي في سننه ج3/ص165/ح1525؛ وأبو داود في سننه ج4/ص16/ح3906؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج4/ص115/ح17076،

ج4/ص116/ح17090، ج4/ص117/ح17102؛ والطبراني في معجمه الكبير ج5/ص241/ح5213، ج5/ص242/ح5215؛ والنسائي في سننه الكبرى ج1/ص563/ح1833، ج1/ص563/ح1834، ج6/ص230/ح10761؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج2/ص188/ح2853، ج3/ص358/ح6243؛ والشافعي في مسنده ج1/ص80؛ والحميدي في مسنده ج2/ص356/ح813؛ وغيرهم.

— وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الأوسط (ج6/ص201/ح6186): [عن ابن مسعود قال كنا مع النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم الحديبية فمطرنا تلك الليلة مطرا شديدا فلما أصبح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال تدررون ما قال ربكم قالو الله ورسوله اعلم قالها ثلاثا وعاودوا قال: قال ربكم إن الذي يقول مطرنا بنوء كذا وكذا فقد كفر بي وآمن بذلك النجم وإن من يقول إن الله سقانا فقد آمن بي وكفر بذلك النجم لم يرو هذا الحديث عن صالح بن كيسان إلا مسلم بن خالد؛ وهذا باطل، وإنما هو حديث زيد بن خالد الجهني أنف الذكر.

\* وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص84/ح72) عن أبي هريرة: [حدثني حرمة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي قال المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس وقال الآخران أخبرنا بن وهب قال أخبرني يونس عن بن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ألم تروا إلى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب؛ وأخرجه الإمام النسائي في سننه ج3/ص164/ح1524؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج2/ص362/ح8724، ج2/ص368/ح8797؛ والنسائي في سننه الكبرى ج1/ص563/ح1835؛ والنسائي في سننه الكبرى ج6/ص229/ح10759؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج3/ص358/ح6244؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص421/ح9444) عن أبي هريرة: [حدثنا هارون قال حدثنا بن وهب قال حدثنا عمرو بن الحرث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، انه قال ما أنزل الله عز وجل من السماء بركة الا أصبح كثير من الناس بها كافرين ينزل الله عز وجل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا]

\* وأخرج الإمام ابن حبان في صحيحه (ج7/ص412/ح3142) عن أبي هريرة: [أخبرنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا سفيان عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال أربع من الجاهلية لن يدعها الناس النياحة والتعابير أو التعابير في النسب ومطرنا بنوء كذا وكذا والعدوى جرب بعير في مائة بعير فمن أعدى الأول]

\* وأخرج الإمام ابن حبان في صحيحه (ج13/ص487/ح6118) عن أبي هريرة: [أخبرنا الفضل بن الحباب حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة أن

رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لا عدوي ولا طيرة جرب بغير واجرب مائة فمن أعدى الأول؛ وأخرجه الإمام الحميدي في مسنده ج2/ص476/ح1117؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام الترمذي في سننه (ج3/ص325/ح1001) عن أبي هريرة: [حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود أنبأنا شعبة والمسعودي عن علقمة بن مرثد عن أبي الربيع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أربع في أمتي من أمر الجاهلية لن يدعهن الناس النياحة والطعن في الأحساب والعدوى أجرب بغير فأجرب مائة بغير من أجرب البعير الأول والأثواء مطرنا بنوء كذا وكذا]؛ قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن)؛ وأخرجه الإمام الطيالسي في مسنده ج1/ص315/ح2395؛ والطحاوي في شرح معاني الآثار ج4/ص309؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام ابن الجارود في المنتقى (ج1/ص136/ح515) عن أبي هريرة: [حدثنا محمد بن يحيى وإبراهيم بن مرزوق قالا حدثنا أبو عاصم عن بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شعبتان من أمر الجاهلية الطعن في النسب والنياحة قال بن يحيى وقال مرة لن يدعهما الناس]

\* وأخرج الإمام الحميدي في مسنده (ج2/ص432/ح979) عن أبي هريرة: [حدثنا سفيان قال حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمه بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال إن الله عز وجل ليصبح القوم بالنعمة ويمسهم فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد بن إبراهيم فحدثت به سعيد بن المسيب فقال قد سمعنا هذا من أبي هريرة ولكن أخبرني من شهد عمر يستسقي بالناس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا قال العلماء بها يزعمون أنها تعترض بعد سقوطها في الأفق سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطرنا]؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج2/ص525/ح10813؛

— وأخرجه الإمام البيهقي في سننه الكبرى (ج3/ص359/ح6247) عن أبي هريرة: [فيما أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو بكر القطان حدثنا أبو الأزهر حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن سلمان الأغر مولى جهينة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول إن الله عز وجل ليبيت القوم بالنعمة ثم يصبحون وأكثرهم بها كافر يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد بن إبراهيم فحدثت بهذا الحديث سعيد بن المسيب عن سلمان عن أبي هريرة فقال سعيد نحن قد سمعنا ذلك من أبي هريرة وقد حدثني من لا أتهم أنه شهد هذا المصلى من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي بالناس عام الرمادي قال فدعا والناس طويلا واستسقى طويلا وقال للعباس بن عبد المطلب يا عباس كم بقي من نوء الثريا فقال له العباس رضي الله عنه يا أمير المؤمنين إن أهل العلم بها يزعمون أنها تعترض بالأفق بعد وقوعها سبعا



قال فوالله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس؛ قال الشيخ رحمه الله: (وجه الجمع بينهما ما ذكره الشافعي رحمه الله).

\* وأخرج الإمام ابن راهويه في مسنده (ج1/ص371/ح382) عن أبي هريرة: [وَبَهَذَا الْإِسْنَادِ (وهو: أَخْبَرَنَا كُلُّهُمْ، حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنْ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قُلْتُ: «مَنْ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ النَّيَاحَةُ، وَتَبَرُّؤُ امْرِئٍ مِنْ ابْنِهِ، وَفَخْرُهُ عَلَى النَّاسِ»]

\* وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص85/ح73) عن ابن عباس: [وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو بن عمار حدثنا أبو زميل قال حدثني بن عباس قال مطر الناس على عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، أصبح من الناس شاكراً ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون]؛ وأخرجه الإمام الطبراني في معجمه الكبير ج12/ص198/ح12881؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج3/ص358/ح6245؛ وغيرهم.

\* أخرج النسائي في سننه (ج3/ص165/ح1526)، وفي سننه الكبرى (ج1/ص564/ح1836) عن أبي سعيد الخدري: [أخبرنا عبد الجبار بن العلاء بن عبد الجبار عن سفيان عن عمرو عن عتاب بن حنين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح]؛ وابن حبان في صحيحه ج13/ص502/ح6130؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج3/ص7/ح11057، ج4/ص116/ح17090؛ والحميدي في مسنده ج2/ص331/ح751؛ وأبو يعلى في مسنده ج2/ص483/ح1312؛ والدارمي في سننه ج2/ص405/ح2762؛ وغيرهم.

— وأخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى (ج6/ص230/ح10762) عن أبي سعيد الخدري: [أخبرنا أبو داود سليمان بن سيف قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عمرو بن دينار عن عتاب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لو حبس الله القطر عن أمتي عشر سنين ثم أنزل ماء لأصبحت طائفة من أمتي بها كافرين يقولون هو بنوء المجدح قال أبو عبد الرحمن المجدح الشعري]؛

— وهو في التاريخ الكبير (ج7/ص55/ت246): [[عتاب بن حنين المكي]: قال بن جريج عن بن صيفي عن عتاب بن أبي حنين وقال عبد الله بن محمد الجعفي حدثنا بن عيينة عن عمرو سمع عتاب بن حنين سمع أبا سعيد الخدري قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (لو أمسك الله القطر عن الناس سبع

سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة منهم كافرين يقولون بنوء المجدح

\* وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (ج2/ص644/ح934) عن أبي مالك الأشعري: [حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا أبان بن يزيد (ح) وحدثني إسحاق بن منصور واللفظ له أخبرنا حبان بن هلال حدثنا أبان حدثنا يحيى أن زيدا حدثه أن أبا سلام حدثه أن أبا مالك الأشعري حدثه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب]؛ وأخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه ج7/ص413/ح3143؛ والحاكم في مستدركه ج1/ص540/ح1413؛ وأبو يعلى في مسنده ج3/ص149/ح1577؛ والإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ج3/ص60/ح12103؛ والإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ج3/ص559/ح6686؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج2/ص291/ح7895، ج2/ص431/ح9354، ج2/ص455/ح9873، ج2/ص526/ح10821، ج2/ص531/ح10883، ج5/ص343/ح22954، ج5/ص343/ح22955، ج5/ص344/ح22963؛ والطبراني في معجمه الكبير ج3/ص285/ح3425، ج3/ص286/ح3426؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج4/ص63/ح6902؛ وغيرهم.

\* وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج6/ص239/ح6100) عن سلمان الفارسي: [حدثنا الحسن بن علي الفسوي حدثنا خلف بن عبد الحميد السرخسي حدثنا أبو الصباح عبد الغفور بن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان عن نبي الله، صلى الله عليه وسلم، قال ثلاثة من الجاهلية الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة]

\* وأخرج الإمام الطبراني في مسند الشاميين (ج2/ص157/ح1102) بإسناد جيد عن أبي الدرداء: [حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش (ح) وحدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا علي بن عياش حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون قال: حدثنا راشد بن داود الصنعاني عن أبي عثمان الصنعاني عن أبي الدرداء قال قحط المطر على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فسألناه أن يستسقي لنا فغدا النبي، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقوم يتحدثون يقولون سقينا بنجم كذا وكذا فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، ما أنعم الله على قوم نعمة إلا أصبحوا بها كافرين]

\* وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الكبير (ج17/ص19/ح20) عن عمرو بن عوف المزني: [حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي حدثنا القعنبي حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال: قال

رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثلاثة من أمر الجاهلية لا يتركهن الناس الطعن في الأنساب والنياحة وقولهم مطرنا بنجم كذا وكذا]

\* وأخرج الإمام الترمذي في سننه (ج5/ص402/ح3295) عن علي بن أبي طالب: [حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}، قال شركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث إسرائيل ورواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحوه ولم يرفعه؛ قلت: سفيان أحفظ وأثبت، فهو فقط من كلام علي، رضي الله عنه، حتى يقوم البرهان على خلاف ذلك.

\* وأخرج الإمام الطيالسي في مسنده (ج1/ص178/ح1262) عن معاوية الليثي: [حدثنا عمران القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن معاوية الليثي ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: يصبح الناس مجدبين فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحون مشركين فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا؛ والطبراني في معجمه الكبير ج19/ص430/ح1043؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني ج2/ص195/ح940؛ والطبراني في معجمه الأوسط ج3/ص73/ح2528؛ وغيرهم. — وهو في التاريخ الكبير (ج7/ص329/ت1410): [معاوية الليثي عن النبي، صلى الله عليه وسلم] روى عنه نصر بن عاصم يعد في البصريين قال عمرو بن مرزوق حدثنا عمران عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن معاوية الليثي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: يصبح الناس مجدبين فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحون مشركين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا] — وهو في الإصابة (ج6/ص163/ت8092): [معاوية الليثي ذكره البخاري وغيره في الصحابة قال بن منده عداة في أهل البصرة وأخرج البخاري وابن أبي خيثمة والبغوي والطبراني وغيرهم من طريق عمران القطان عن قتادة عن نصر بن عاصم عن معاوية الليثي قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يصبح الناس مجدبين فيأتيهم الله برزق من عنده فيصبحون مشركين يقولون مطرنا بنوء كذا وأخرجه الطيالسي في مسنده عنه وقال أبو عمر: (يضطربون في إسناده)، وجعل البخاري معاوية بن حيدة ومعاوية الليثي واحدا وقد أنكره أبو حاتم قلت الموجود في نسخ تاريخ البخاري التفرقة وما وقفت على وجه الاضطراب الذي ادعاه أبو عمر]

### **الفصل: {ولا تذرنا وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً}**

لعل خير ما نبتدئ به، كالمعتاد وهو الواجب دائماً وأبداً، هو:

\* قوله، جل جلاله، وسما مقامه: {قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا

**خَسَاراً (21) وَمَكْرُوءاً مَكْرَافاً كُبَّاراً (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) }**، (نوح؛ 71: 21 - 24).

\* وقد جاء في تفسير الطبري جامع البيان [ت شاكر (23/ 639)]: [القول في تأويل قوله تعالى: { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) }]: يقول تعالى ذكره مخبرا عن إخبار نوح، عن قومه: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) كان هؤلاء نفرا من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا يعبدونها.

**وكان من خبرهم فيما بلغنا:** ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس (وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصورهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعبدوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام.

**وقال آخرون: هذه أسماء أصنام قوم نوح. ذكر من قال ذلك:**

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: كان ود لهذا الحي من كلب بدومة الجندل، وكانت سواع لهذيل برياط، وكان يغوث لبني عطف من مراد بالجرف من سبأ، وكان يعوق لهمدان ببلخ، وكان نسر لذي كلاع من حمير؛ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك. والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجرا.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، قال: فكان ود لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لبني عطف من مراد بالجرف، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لذي الكلاع من حمير.

حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: هذه أصنام، وكانت تُعبد في زمان نوح.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هي آلهة كانت تكون باليمن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: هذه ألّهتهم التي يعبدون.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: (وُدًّا) فقرّأته عامة قرّاء المدينة (وُدًّا) بضم الواو، وقرّأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة: (وُدًّا) بفتح الواو. والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح: وقد ضلّ بعبادة هذه الأصنام التي أحدثت على صور هؤلاء النفر المسمين في هذا الموضع كثير من الناس فَنُسِبَ الضَّلَالُ إِذْ ضَلَّ بِهَا عَابِدُوهَا إِلَى أَنهَا الْمُضِلَّةُ؛ انتهى نص الإمام الطبري.

\* وجاء نحو ما سبق، مع زيادة طرق وروايات، في تفسير البغوي [إحياء التراث (5/157)]: [وَقَالُوا. لَهُمْ لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ، أَيَّ لَا تَتْرَكُوا عِبَادَتَهَا، وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا، قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ [وُدًّا] بِضَمِّ الْوَاوِ وَالْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، هَذِهِ أَسْمَاءُ آلِهَتِهِمْ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا كَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ وَيَأْخُذُونَ بَعْدَهُمْ مَا خَذَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُمْ: لَوْ صَوَّرْتُمْ صُورَهُمْ كَانَ أَنْشَطَ لَكُمْ وَأَشْوَقَ إِلَى الْعِبَادَةِ، فَفَعَلُوا ثُمَّ نَشَأَ قَوْمٌ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فَعَبَدُوهُمْ، فَايْتَدَاءَ عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ كَانَ مِنْ ذَلِكَ وَسَمَّيْتَ تِلْكَ الصُّورَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهُمْ صَوَّرُوهَا عَلَى صُورِ أَوْلَيْكَ الْقَوْمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

«2272» أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِجِيُّ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّعِيمِيُّ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ ابْنِ جُرَيْجٍ وَقَالَ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: صَارَتِ الْأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ فِي قَوْمِ نُوحٍ تُعْبَدُ فِي الْعَرَبِ بَعْدَهُ، أَمَّا وَدٌّ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةٍ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوعٌ فَكَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غَطِيفٍ بِالْجَرْفِ عِنْدَ سَبَاءٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمَذَانٍ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمِيرٍ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَيْكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ. وَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ تِلْكَ الْأَوْتَانِ دَفَنَهَا الطُّوفَانُ وَطَمَّهَا التُّرَابُ، فَلَمْ تَزَلْ مَدْفُونَةً حَتَّى أَخْرَجَهَا الشَّيْطَانُ لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَكَانَتْ لِلْعَرَبِ أَصْنَامٌ أُخَرُ، فَالَّلَاتُ كَانَتْ لِثَقِيفٍ، وَالْعُزَّى لِسُلَيْمٍ وَعُطْفَانَ وَجَشْمٍ، وَمَنَاةُ لِقَدِيدٍ، وَإِسَافُ وَنَائِلَةُ وَهَبِلُ لِأَهْلِ مَكَّةَ؛ قلت: لعلنا نلاحظ أن البغوي، وهو من أئمة الحديث المعتبرين، قد ذكر كلام محمد بن كعب القرظي تعليقاً، بصيغة الجزم: (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ)، مما يشعر بثبوته وصحته عنده؛

\* وأيضاً في تفسير الثعلبي [الكشف والبيان عن تفسير القرآن (10/46)]: [أخبرني الحسين قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا محمد بن بكار بن المرقان، قال: حدثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، قال: كان لآدم عليه السلام خمس

بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا، فجاءهم الشيطان، فقال: هل لكم أن أصور لكم في قبلكم مثله إذا نظرتكم إليه ذكرتموه، قالوا: نكره أن يجعل في قبلكم شيئا نصلي إليه، قال: فأجعله في مؤخر المسجد. قالوا: نعم فصوره لهم من صفر ورصاص، ثم مات آخر فصوره لهم، ثم مات آخر فصوره لهم، قال: فنقصت الأشياء كما ينقصون اليوم وأقاموا على ذلك ما شاء الله، ثم تركوا عبادة الله سبحانه فأتاهم الشيطان فقال: ما لكم لا تعبدون شيئا، قالوا: من نعبد؟ قال: هذه آلهتكم وآلهة آبائكم: ألا ترونها مصورة في مصلاكم، قال: فعبدوها من دون الله عز وجل، حتى بعث الله عز وجل نوحا فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه، فقالوا: لا تذرنا آلهتكم إلى قوله سبحانه وتعالى: وَنَسْرًا.

وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس، {وَلَا تَذَرْنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، قال: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح (عليهما السلام)، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم. قال ابن عباس: كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند، يحول بين الكافرين وبين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم فيزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به، فنحت خمسة أصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأوثان وطمها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فاتخذت قضاة ودا فعبدوها بدومة الجندل، ثم توارثه بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم، وأخذ أعلى وأنعم وهما من طيئ يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانا، ثم إن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه من أعلى وأنعم، ففروا به إلى الحصين أخي بني الحرث بن كعب، وأما يعوق فكان لكهلان، ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر، حتى صار إلى همدان، وأما نسر فكان لختعم يعبدونه، وأما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه]

\* وضرب أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ) في تفسيره بحر العلوم (501/3) صفحا عن كيفية نشأة تلك الآلهة، فقال: [وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ يَعْنِي: قال بعضهم لبعض: ويقال: قال الرؤساء للسفلة: لا تذرني، يعني: لا تتركوا عبادة آلهتكم. وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، فهذه أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها يعني: لا تتركوا عبادة هذه الأصنام - قرأ نافع ودا بضم الواو، والباقون بالنصب، ومعناها واحد. وهو اسم الصنم، وقال قتادة: هذه الآلهة كان يعبدوها قوم نوح، ثم عبدها العرب بعد ذلك. وقال القتيبي الود صنم، ومنه كانت العرب تسمى «عبد ود»، وكذلك تسمى «عبد يغوث». ثم قال: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا يَعْنِي: هذه الأصنام أضلوا كثيرا من الناس، يعني: ضلوا بهن كثيرا من الناس، كقوله: إِنَّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. ثم قال: وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا يَعْنِي: خساراً وغبناً؛]

فخلاصة الكلام عند الطبري، والجمهور، وهو ما اتفقت عليه الروايات التي ساقها، أن (ودًا وسوعًا

وَيَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) كانت آلهة لقوم نوح، ثم صارت إلى بعض قبائل العرب.

فأما كونها آلهة لبعض العرب، تمثلها أصنام معلومة، فأمر يقيني مقطوع به من مرويات المفسرين والأخباريين المتواترة، ومن النصوص المنقوشة في آثار سبأ ومعين وحمير وثمود واللحيانيين. وأما كون آلهة قوم نوح كانت ممثلة بأصنام فأمر محتمل، ولم تجمع عليه النقول. فتقدير الكلام في الآيات إذاً هو: [وَقَالُوا (بعضهم لبعض، وخاصة الكبراء والسادة لعامتهم) لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ (بالأخص أكابر الآلهة) وَدًّا وَلَا سُوءًا وَلَا يَئُودَ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا \*] (قال نوح): قد ضل الكثيرون بعبادة تلك الآلهة، وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ (وبخاصة الكبراء والسادة) إِلَّا ضَلَالًا؛ ويكون ذكر الخاص بعد العام من باب التأكيد كما هو في النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصاب (المتوفى: نحو 360هـ)، (4/422): [دليل على أن في كلام العرب تأكيداً، كما ذكرناه في غير موضع من هذا الكتاب، إذ ليس يخلو الود والسواع ويعوث ويعوق والنسر من أن يكونوا تفسيراً للآلهة المجملة، أو يكونوا غيرها. فإن كانوا تفسيراً لها فقد أكد الكلام بـ (وَلَا تَذَرُنَّ) الثاني. وإن كانوا غيرها فقد أكد الكلام بها نفسها].

ونلاحظ أيضاً أن البعض من مفسري السلف قد ضرب صفحا عن كيفية نشأة تلك الآلهة أو الأصنام عند قوم نوح، فعل ذلك: قتادة، والضحاك، وابن زيد، وعلي بن طلحة في روايته عن ابن عباس؛ والبعض الآخر تكلم في ذلك بأقوال مختلفة، فعل ذلك: محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس، وابن عباس في رواية البخاري.

فأما ما يتعلق بالإضلال فهناك أربعة أقوال، قول الطبري، كما سلف:

\* وجاء في تفسير البغوي [إحياء التراث (5/158)] قول آخر لمقاتل: [وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَضَلَّ كُثْرًا وَهُمْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ]؛ وهو اختيار ابن جزي في تفسيره [التسهيل لعلوم التنزيل (2/416)]: [وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم، وهذا من كلام نوح عليه السلام، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه، وهو دعاء عليهم]؛

\* وجاء في زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، (4/344): [قوله عز وجل: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا فِيهِ قَوْلَانِ: أَحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيرا من الناس، أي: ضلوا بسببها. والثاني: وقد أضل الكبراء كثيرا من الناس]؛ وكذا في تفسير الرازي [مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (30/658)]: [وَأَعْلَمُ أَنَّ نُوْحًا لَمَّا حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِأَتْبَاعِهِمْ: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ قَالَ: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا فِيهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أُولَئِكَ الرُّؤَسَاءُ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْمُوصِينَ بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَلَيْسَ هَذَا أَوَّلَ مَرَّةٍ اسْتَعْلَوْا بِالْإِضْلَالِ الثَّانِي: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى الْأَصْنَامِ، كَقَوْلِهِ: إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ [إِبْرَاهِيمَ: 36] وَأَجْرَى الْأَصْنَامَ عَلَى هَذَا

الْقَوْلِ مَجَرَى الْأَدْمِيَيْنِ كَقَوْلِهِ: أَلَهُمْ أَرْجُلٌ [الْأَعْرَافُ]؛ وتفسير البيضاوي [أنوار التنزيل وأسرار التأويل (250/5)]: [وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا الضَّمِيرُ لِلرُّؤَسَاءِ أَوْ لِلأَصْنَامِ كَقَوْلِهِ: إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا. وَلَا تَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا]؛ والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، (287/10): [وَقَدْ أَضَلُّوا: أَيِ الرُّؤَسَاءِ الْمُتَّبِعُونَ، كَثِيرًا: مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُمْ بِمَا جَرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الضَّلَالِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: وَقَدْ أَضَلُّوا: أَيِ الْأَصْنَامِ، عَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا كَمَا يَعُودُ عَلَى الْعُقَلَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَيَحْسِنُهُ عَوْدُهُ عَلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ، وَلَكِنْ عَوْدُهُ عَلَى الرُّؤَسَاءِ أَظْهَرُ، إِذْ هُمْ الْمُحَدَّثُ عَنْهُمْ وَالْمَعْنَى فِيهِمْ أَمْكُنُ]

\* وزادنا ابن عطية قولاً ثالثاً في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (376/5): [وقوله: وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا هو إخبار نوح عنهم، وهو منقطع مما حكاه عنهم. والمعنى: وقد أضل هؤلاء القائلون كثيرا من الناس الأتباع والعوام، ثم دعا عليهم إلى الله تعالى بأن لا يزيدهم إلا ضلالا، وذكر الظالمين لتعم الدعوة كل من جرى مجراهم. وقال الحسن في كتاب النقاش: أراد بقوله وَقَدْ أَضَلُّوا الأصنام المذكورة وعبر عنها بضمير من يعقل من حيث يعاملها جمهور أهلها معاملة من يعقل، ويسند إليها أفعال العقل:]

\* وهناك تأويل بعيد رابع كما هو في تفسير الماتريدي [تأويلات أهل السنة (235/10)]: [ثم الأصنام لا يتحقق منها الإضلال، ولكن معنى الإضافة هاهنا هو أنها أنشئت على هيئة لو كانت تلك الهيئة ممن يضل لأضل، وهو كما قلنا في تأويل قوله، عَزَّ وَجَلَّ: (وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)؛

وقول الطبري في هذه الأسماء الخمسة (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)، بأنها آلهة لقوم نوح هو قول الجمهور، وليس هذا إجماعاً، فقد جاء قول ثاني قديم يجعلها فقط أصناماً للعرب، ولا علاقة لها أصلاً بقوم نوح أو زمن نوح من قريب أو بعيد:

\* كما جاء في تفسير القرطبي (307/18): [ {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) ]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هِيَ أَصْنَامٌ وَصُورٌ، كَانَ قَوْمُ نُوحٍ يَعْبُدُونَهَا ثُمَّ عَبَدَتْهَا الْعَرَبُ. وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا لِلْعَرَبِ لَمْ يَعْبُدْهَا غَيْرُهُمْ. وَكَانَتْ أَكْبَرُ أَصْنَامِهِمْ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُمْ، فَلِذَلِكَ حَصَّوْهَا بِالذِّكْرِ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ. وَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ كَمَا قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِأَتْبَاعِهِمْ: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ قَالَتِ الْعَرَبُ لِأَوْلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ: لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، ثُمَّ عَادَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، الْكَلَامُ كُلُّهُ مَنْسُوقٌ فِي قَوْمِ نُوحٍ:]

\* وهو أيضاً في تفسير الماوردي، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، [النكت والعيون (104/6)]: [وفي هذه الأصنام قولان: أحدهما: أنها كانت للعرب لم يعبدوها غيرهم ويكون معنى الكلام: كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تذر آلِهَتكم،



قالت العرب مثلهم لأولادهم وقومهم لا تذرَنَّ ودًا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونسراً، ثم عاد الذكر بعد ذلك إلى قوم نوح:]

\* واستشكله ابن عاشور في التحرير والتنوير (209/29) فحاول الخروج من المأزق قائلاً: [وَلَقَدْ اضْطُرَّ هَذَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى تَأْوِيلِ نَظْمِ الْآيَةِ بِأَنَّ مُعَادَ ضَمِيرٍ قَالُوا إِلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَأَنَّ ذِكْرَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ قِصَّةِ نُوحٍ بِقَصْدِ التَّنْظِيرِ، أَيَّ قَالَ الْعَرَبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَذَرَنَّ الْهَتَكُمْ وَدًّا وَسُوعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا كَمَا قَالَ قَوْمُ نُوحٍ لِأَتْبَاعِهِمْ لَا تَذَرَنَّ آلِهَتَكُمْ، ثُمَّ عَادَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى قَوْمِ نُوحٍ، وَهُوَ تَكْلُفٌ بَيْنَ وَتَفْكِكٌ لِأَجْزَاءِ نَظْمِ الْكَلَامِ. فَالْأَحْسَنُ مَا رَأَاهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ وَمَا نُرِيدُهُ بَيَانًا: أَنَّ أَصْنَامَ قَوْمِ نُوحٍ قَدْ دُثِرَتْ وَغَمَرَهَا الطُّوفَانُ وَأَنَّ أَسْمَاءَهَا بَقِيَتْ مَحْفُوظَةً عِنْدَ الَّذِينَ نَجَوْا مَعَ نُوحٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانُوا يَذْكُرُونَهَا وَيَعْظُونَ نَاسِئَتَهُمْ بِمَا حَلَّ بِأَسْلَافِهِمْ مِنْ جَرَاءِ عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، فَبَقِيَتْ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ يَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ الْأَقْدَمُونَ فِي أَثَارَاتِ عِلْمِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ لَحْيٍ الْخَزَاعِيُّ الَّذِي أَعَادَ لِلْعَرَبِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ فَسَمَّى لَهُمُ الْأَصْنَامَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَغَيْرَهَا فَلَا حَاجَةَ بِالْمُفَسِّرِ إِلَى التَّنَطُّوحِ إِلَى صِفَاتِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَلَا إِلَى ذِكْرِ تَعْيِينِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَبَدَتْ مُسَمِّيَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ]

قلت: استشكل ابن عاشور، والحل الذي اقترحه، له وجهة، ولكنه لا يحسم النزاع لأنه من الممكن جداً أن النبي، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، كان في بعض مواسم الحج يدعو بعض الحجاج من أهل اليمن، المعظمين لهذه الأصنام الخمسة: فدعاهم إلى توحيد الله، مذكراً لهم بأنهم من نسل نوح، وذكر لهم معاناة جددهم مع المشركين من قومه، وبأخص الأكابر والرؤساء، وكيف كانوا يتواصلون بالتمسك بالهتيم؛ فأجابه أهل اليمن بأقبح جواب، وقالوا: (ونحن نتواصى بالتمسك بود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، لا نتركها أبداً، ولا نؤمن بك أبداً)، أو كلاماً يشبه هذا، فنزلت سورة نوح آنذاك فوراً، فتلاها عليهم.

قلت: وقد فتح الله علينا **بقول ثالث** متوسط، ما نظن أحداً سبق إليه، مفاده أن هؤلاء الخمسة كانوا أعظم كبراء قوم نوح ورؤوسهم، فتقدير الكلام في الآيات على هذا القول هو إذا: [وَقَالُوا (بعضهم لبعض، وخاصة الكبراء والسادة لعامتهم) لَا تَذَرَنَّ (عبادة) آلِهَتَكُمْ (لعبادة إله نوح الواحد)؛ وَلَا تَذَرَنَّ (طاعة رؤسائكم وأكابرهم) وَدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (وإلا لتأس نوح عليكم) \* (قال نوح): وقد أضل هؤلاء الرؤساء والأكابر (وبخاصة الخمسة آنفي الذكر) الكثيرين، وَلَا تَزِدْ (اللهم) الظَّالِمِينَ (وبخاصة الكبراء والسادة الخمسة) إِلَّا ضَلَالًا]، فهذا، بحمد الله، أحسن وأنسب للسياق، ويحسم مسألة نسبة الإضلال حسماً حسناً، ويعود الضمير في (أضلوا) إلى أقرب مذكور، وهو الأصل الذي لا تجوز مخالفته إلا ببرهان؛ فالكلام كله منسق عن قوم نوح لا غير: عن آلِهَتهم وكبرائهم وجبابرتهم؛ ويزيد في المعاني التي تضمنتها الآية، وهو أنسب لبلاغة القرآن المعجز، من غير لجوء إلى دعوى الإطناب، وعطف الخاص على العام. وفي هذا القول أيضاً مزيد فوائد، منها:

(1) - أن آلهة العرب، أو بعض العرب، الممثلة بالأصنام الخمسة المعلومة، تعود في الأصل إلى أسماء

رؤساء جبابرة متكبرين من قوم نوح، لا قي منهم نوح، سلام الله عليه، شتى صنوف السخرية والاضطهاد. وهذا تلميح للباحث الناقد بأن يجتهد في معرفة ذلك التطور التاريخي العجيب؛  
(2) - أن الأسماء المذكورة عربية البناء، ويمكن تصور اشتقاقها من المواد الثلاثية: (ودد، سوع، غوث، عوق، نسر)، وهي مستعملة في العربية المعاصرة باستثناء (سوع): فلغة قوم نوح عربية قديمة بائدة، لعلها (أم) أو (جدة) اللغات السامية المعروفة؛

والآن إلى الحديث المنسوب لترجمان القرآن عبد الله بن العباس، رضوان الله وسلامه عليهما:  
\* جاء في صحيح البخاري (6/160/4920): [حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَقَالَ عَطَاءٌ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الْأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ أَمَّا وَدٌ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوعٌ كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَأٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمْدَانٍ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لَالَ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَاسْمُهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»]؛

— وهو في أخبار مكة للفاكهي (5/141/71): [عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ صَارَتِ الْأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ أَمَّا وَدٌ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوعٌ فَكَانَتْ لِهَذِيلٍ وَأَمَّا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ بَنَى غُطَيْفٌ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَأٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمْدَانٍ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لَالَ ذِي الْكَلَاعِ: أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَاسْمُهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ]

\* ولكن جاء في تفسير عبد الرزاق (3/349/3341): [عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } [نوح: 23] قَالَ: «كَانَتْ آلِهَةُ يَعْبُدُهَا قَوْمُ نُوحٍ، ثُمَّ كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْبُدُهَا بَعْدَ فَكَانَ وَدًّا لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَكَانَ سُوعٌ لِهَذِيلٍ، وَكَانَ يَغُوثٌ لِبَنِي غُطَيْفٍ مِنْ مُرَادٍ بِالْجَرْفِ، وَكَانَ يَعُوقُ لَهُمْدَانٍ، وَكَانَ نَسْرٌ لِدِي الْكَلَاعِ مِنْ حَمِيرٍ»]، ولم يزد قتادة على ذلك؛ ثم أضاف عبد الرزاق بعد ذلك فوراً: [عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِثْلُهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «صَارَتِ الْأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ» ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ قَتَادَةَ]

— وجاء في الجمع بين الصحيحين (2/84): [أَخْرَجَهُ أَبُو مَسْعُودٍ فِي تَرْجَمَةِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ حَاجَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَعَبْدَ الرَّزَّاقِ رَوِيَاهُ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فَقَالَا: عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ. وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ الْبَرْقَانِيُّ عَنْ الْإِسْمَاعِيلِيِّ نَحْوَ ذَلِكَ، وَحَكَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ]

والحق أن هذا الأثر لا يثبت حتى عن ابن عباس، لانقطاعه في موضعين، فقد أخرجه البخاري كما سلف فقال: (عطاء)، هكذا غير منسوب؛ وأخرجه عبد الرزاق هذا الأثر في تفسيره فصرح أنه (عطاء)

الخراساني) عن ابن عباس؛ وجمهور الأئمة على أن البخاري قد وهم فظن عطاء أنه عطاء بن أبي رباح، والصحيح أنه عطاء الخراساني، كما هو في مصنف عبد الرزاق، وقد تابعه حجاج بن محمد الأعور، وكلاهما أثبت من قاضي صنعاء هشام بن يوسف الأبنائوي في ابن جريج؛

على أن هشاماً نفسه صرح أيضاً بأنه عطاء الخراساني حيث قال الإمام علي بن المديني في العلل: [سمعت هشام بن يوسف قال: قال لي ابن جريج: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران؟ فقال: اعفني من هذا. قال هشام: فكان بعد إذا قال: عطاء، عن ابن عباس قال الخراساني. قال هشام: فكتبنا ما كتبنا، ثم مللنا. قال علي: يعني كتبنا (ما كتبنا) أنه عطاء الخراساني. قال علي بن المديني: وإنما كتبت هذه القصة لأن محمد بن ثور كان يجعلها: عطاء، عن ابن عباس فظن الذين حملوها عنه أنه عطاء بن أبي رباح]، كما تجده في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (5/90)؛ وتهذيب التهذيب (ج7/ص395/190)؛ ومراجع كثيرة غيرها.

فلا لوم على الإمام ابن جريج، ولا على الإمام البخاري، وإنما يلام هشام بن يوسف وصحبه، ومنهم من محمد بن ثور، على أنهم ملوا وتكاسلوا عن كتابة الاسم منسوباً: (عطاء الخراساني)، فاختصروه إلى: (عطاء)، وكان الواجب ذكر النسبة تامة عند التحديث، وإلا فهو تدليس الشيوخ، سهواً أو عمداً. وأيضاً عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني، وإنما أخذ كتابه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه، وكان ابن جريج لا يرى بأساً أن يقول: أخبرنا في المناولة والكتابة. وذكر صالح بن أحمد بن حنبل في «العلل» عن علي بن المديني قال: سألت يحيى بن سعيد القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني، فقال: ضعيف، فقلت: إنه يقول أخبرنا، قال: لا شيء، إنما هو كتاب دفعه إليه!

قلت: بل هو شر من ذلك، وإنما دفعه ابنه عثمان بن عطاء الخراساني إليه، وهذا الابن متكلم فيه، وليس بذاك الثقة القوي، وما ندري هل عبث في كتاب أبيه، وما نعلم منهجية عطاء الخراساني في تأليف كتابه، ولا درجة الكتاب من الترتيب والتبويب، ولا القيد والشكل والتنقيط، وهو نفسه، أي عطاء بن أبي مسلم الخراساني، رحمه الله، على فضله وعبادته وجهاده، مع ذلك ليس من أئمة التثبت والإتقان: يرسل ويدلس، وهذا مقطوع به، مجمع عليه من الأئمة، وقيل أيضاً أنه يهم!

وزعم الحافظ بأن هذا الحديث بخصوصه، وآخر بنفس الإسناد، عند البخاري، يحتمل أن يكون عن عطاء بن أبي رباح حيث قال، مثلاً، في تهذيب التهذيب (ج7/ص395/190) رداً على المزي: [قلت أورد المؤلف من سياق هذا أن عطاء المذكور في الحديثين هو الخراساني وأن الوهم تم على البخاري في تخريجهما لأن عطاء الخراساني لم يسمع من بن عباس وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني فيكون الحديثان منقطعين في موضعين والبخاري أخرجهما لظنه أنه بن أبي رباح وليس ذلك بقاطع في أن البخاري أخرج لعطاء الخراساني بل هو أمر مظنون ثم أنه ما المانع أن يكون بن جريج سمع هذين الحديثين من عطاء بن أبي رباح خاصة في موضع آخر غير التفسير دون ما عداهما

من التفسير فإن ثبوتها في تفسير عطاء الخراساني لا يمنع أن يكونا عند عطاء بن أبي رباح أيضاً هذا أمر واضح بل هو المتعين ولا ينبغي الحكم على البخاري بالوهم بمجرد هذا الاحتمال لا سيما والعلة في هذا محكية عن شيخه علي بن المديني فالأظهر بل المحقق أنه كان مطلعاً على هذه العلة ولولا ذلك لأخرج في التفسير جملة من هذه النسخة ولم يقتصر على هذين الحديثين خاصة والله أعلم ولا سيما أن البخاري قد ذكر عطاء الخراساني في الضعفاء]

فنقول: ما هذه إلا مغالطات ومكابرة: فالحافظ المزي إنما ذكر الحديثين في سياق ترجمة (عطاء الخراساني) في تهذيب الكمال لأنهما قطعاً له، ونص أيضاً أن البخاري إنما أخرجهما لاعتقاده أنهما عن (عطاء بن أبي رباح)، فلا معنى لقول الحافظ: (وليس ذلك بقاطع في أن البخاري أخرج لعطاء الخراساني)، (ولا سيما أن البخاري قد ذكر عطاء الخراساني في الضعفاء)؛

وأما قوله: (ثم أنه ما المانع أن يكون بن جريج سمع هذين الحديثين من عطاء بن أبي رباح خاصة في موضع آخر غير التفسير دون ما عداهما من التفسير فإن ثبوتها في تفسير عطاء الخراساني لا يمنع أن يكونا عند عطاء بن أبي رباح أيضاً هذا أمر واضح بل هو المتعين)، فنقول: نعم: ليس هذا من المحالات العقلية، ولكن المهم هو: هل وقع ذلك فعلياً، وهذا أمر روائي لا يثبت أو يرجح إلا برواية تصلح للاعتبار: فأين تلك الرواية؟! لا سيما أن شهادة هشام بن يوسف توجب الترجيح بأن ما لدى ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح في التفسير إنما هو فقط في سورتي البقرة وآل عمران على أكثر تقدير؛ وليس في سورة نوح ما قد يهتم به الفقيه – وعطاء بن أبي رباح فقيه في المقام الأول، وليس هو من رجال التفسير – حتى يقال لعل هذا عرض في موضع آخر غير التفسير، ونلاحظ أيضاً المبالغة المموجة في لفظة: (المتعين)؛

وأما قوله: (لا سيما والعلة في هذا محكية عن شيخه علي بن المديني فالأظهر بل المحقق أنه كان مطلعاً على هذه العلة) مكابرة أخرى، فليس ثمة ضرورة عقلية أو شرعية توجب أن يكون البخاري محيطاً بكل ما يعلمه علي بن المديني في العلل، بل لعل علي بن المديني إنما ألف كتابه بآخرة بعد أن استكمل البخاري رحلاته في طلب العلم، فلم يسمعه منه البخاري، ونلاحظ مرة أخرى المبالغة الفاحشة في لفظة: (المحقق)؛

وأما قوله: (ولولا ذلك لأخرج في التفسير جملة من هذه النسخة) إلزام للبخاري بما لم يلتزم، وهو قد سمى كتابه: (الجامع الصحيح المختصر)؛ وكتاب التفسير من صحيح البخاري ليس تفسيراً شاملاً، وإنما هو مختصر جداً؛ للآية بعد الآية: فلو أن الحافظ استعرضها واحدة بعد الأخرى فلربما وجد أن تلك النسخة ليس فيها ما يفيد في غير ذينك الموضعين، أو أن البخاري رجح تفسيراً آخر من خارج تلك النسخة.

\* ورد الإمام الحافظ بن حجر نحو هذا مختصراً في فتح الباري (8/668): [وَأِلَّا فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى الْبُخَارِيِّ ذَلِكَ مَعَ تَشَدُّدِهِ فِي شَرْطِ الْإِتِّصَالِ وَاعْتِمَادِهِ غَالِبًا فِي الْعِلَالِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ شَيْخِهِ وَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُكْثَرِ مِنْ تَخْرِيجِ هَذِهِ النُّسَخَةِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَوْضِعَيْنِ هَذَا وَآخَرَ فِي النِّكَاحِ وَلَوْ كَانَ خَفِيَ عَلَيْهِ لَاسْتَكْثَرَ مِنْ إِخْرَاجِهَا لِأَنَّ ظَاهِرَهَا أَنَّهَا عَلَى شَرْطِهِ]؛ وقد كفانا الإمام العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (19/262) مؤونة الرد، فأجاب قائلاً: [وَقِيلَ: فِي مُعَاذَةِ الْبُخَارِيِّ فِي هَذَا، إِنَّهُ بِخُصُوصِهِ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ، وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ جَمِيعًا وَلَا يَخْفَى عَلَى الْبُخَارِيِّ ذَلِكَ مَعَ تَشَدُّدِهِ فِي شَرْطِ الْإِتِّصَالِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَكْثَرِ مِنْ تَخْرِيجِ هَذَا وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ فِي مَوْضِعَيْنِ هَذَا وَالْآخَرِ فِي النِّكَاحِ، وَلَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ لَاسْتَكْثَرَ مِنْ إِخْرَاجِهِ لِأَنَّ ظَاهِرَهُ عَلَى شَرْطِهِ. انْتَهَى. قُلْتُ: فِيهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى لِأَنَّ تَشَدُّدَهُ فِي شَرْطِ الْإِتِّصَالِ لَا يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْخَفَاءِ عَلَيْهِ أَصْلًا: فَسَبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ]

ومما يقوي القول ببطلان كون عطاء المذكور في أثر البخاري هو عطاء بن أبي رباح، ويؤكد الحكم ببطلان الأثر وانقطاعه، وأن ابن عباس بريء من عهده، الأمور الإضافية التالية:

(1) - نكارة الجملة: (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ) وعدم ملائمتها لدقة ابن عباس وفصاحته، وحفظ عطاء بن أبي رباح وإتقانه؛ وكان الأولى أن تكون، مثلاً: (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ كَانُوا قَبْلَ نُوحٍ) أو (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا قَبْلَ نُوحٍ) كما هي في طريق أخرى لنفس الحديث، وإن كانت ضعيفة أو باطلة، سنستعرضها بعد قليل. وكذلك فإن كل القصص والروايات المشابهة الأخرى تتكلم عن: (رجال أو أصنام بعد آدم، أو من ولد آدم)، أو: (رجال أو أصنام قبل نوح). وقد استشكل ذلك القدماء والمحدثون على حد سواء، فقد استشكل الشيخ محمد بن عثيمين، (المتوفي في 15 شوال 1421 هـ، الموافق 11 يناير 2001)، ذلك في شرحه لكشف الشبهات (ص 25) هذا قائلاً: [وهذا التفسير فيه إشكال؛ حيث يقول رضي الله عنه (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح)، وظاهر القرآن أنها قبل نوح]؛ ثم ذكر الآية، وقال: [فظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم، وأنه نهاهم عن ذلك. فسياق الآية يدل على ما ذكره ابن عباس إلا أن ظاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام. والله أعلم]؛

والردود على هذا الاستشكال سقيمة في العادة، مفادها الهروب من الحقيقة إلى المجاز لأنه يجوز أن يقال في الرجل أو الرجال من قوم فلان، وإن كانوا قبله، كما زعمه المدعو (أبو عمر السمرقندي) رداً على استشكال المدعو (أبي الوليد) في أرشيف ملتقى أهل الحديث [1 (18/48)]: [ليس ثَمَّةُ إِشْكَالٍ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - بَيْنَ الْآيَةِ وَالْأَثَرِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ أَوْ الرِّجَالُ مِنْ قَوْمِ فُلَانٍ، وَإِنْ كَانُوا قَبْلَهُ. فَالْأَثَرُ كَمَا نَقَلْتَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ". ففِي الْأَثَرِ قَالَ: (مِنْ قَوْمِ نُوحٍ)، وَلَمْ يَقُلْ (قَبْلَ نُوحٍ)]. والغريب أن (أبا الوليد) نفسه أشار إلى انقطاع الحديث، فقال هناك: [ملحوظة: هذا الأثر معلول بالانقطاع بين عطاء وابن عباس؛ لأن عطاء المذكور هو الخراساني على

الصحيح، وكذلك ابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني، وإنما أخذه من ابن عطاء وهو عثمان، وقد تكلف ابن حجر، رحمه الله تعالى، في دفع هذه العلة بما لا يوافق عليه. أنظر فتح الباري 8/(كتاب التفسير، باب: (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق))، فأحسن وأجاد؛ وقال بعدها، رداً على من تساءل عن إخراج البخاري للأثر بالرغم من انقطاعه: [الأخ محمد الأمين، وفقه الله: تقول: ((لماذا أخرجه البخاري في صحيحه إن كان منقطعاً وقد كان يكفيه التعليق؟)). أقول: أخرجه البخاري لأنه يرى صحته!! وتقول: ((لكن الإشكال في الأثر هو هل أخذه ابن عباس من الإسرائيليات أم لا؟ فهذا لا يمكننا الجزم به والله أعلم)). أقول: ربما تعني أن هذا الأثر مروى عن محمد بن كعب بنحوه كما ذكره السيوطي في الدر المنثور؛ فإن كان كذلك، فقد يكون محمد هو الذي أخذ من ابن عباس، وهذا الاحتمال أقوى - وإن كنت قلت هذا لأمر غيره فأفصح عنه بارك الله فيك - وما رأيك في ما نقله ابن حجر عن ابن المدني ويحيى القطان؛ تحت هذا الحديث؟؟]، فأساء إلى نفسه إساءة بالغة؛ فالحديث لا يثبت أصلاً عن ابن عباس، بل قد يكون مكذوباً عليه، ومع ذلك فكون محمد بن كعب القرظي هو الذي أخذه من ابن عباس، هو (الاحتمال الأقوى): وطبعاً لم يجب المدعو (محمد الأمين) على تساؤل (أبي الوليد) الأخير، ولم يثبت غيره إلى الميدان؛ ثم تحول القوم لمناقشة (متى يكون دعاء الاستخارة)، إذا صح ترتيب الأرشيف في المكتبة الشاملة!!!

حقاً: إن رجالات الفرقة الوهابية قد أحوالوا عقولهم على التقاعد برفضهم الفكر والتدبر، ونسبتهم القداسة والعصمة لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، فهم بحق: (روافض السنة)!

(2) - رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: [قوله: (لا تَذَرَنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرَنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: (هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح)]، فقط لا غير ولم يزد، كما جاء في تفسير الطبري جامع البيان [ت شاكر (639/23)]: [حدثني علي، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، به]؛ وهو في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (4/540): [أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس،... إلخ]. وجمهور الأئمة على تحسين هذا الإسناد، بالرغم من انقطاعه، لأن علي بن أبي طلحة، وإن لم يسمع من ابن عباس، فهو إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن محمد عنه؛ كما هو في جامع التحصيل (ص: 240/ت542): [قال دحيم لم يسمع التفسير من بن عباس وقال أبو حاتم علي بن أبي طلحة عن بن عباس مرسل إنما يروي عن مجاهد والقاسم بن محمد. وذكر شيخنا المزي في التهذيب أنه روى عن كعب بن مالك وأن ذلك أيضاً مرسل]. فعدم رواية علي بن أبي طلحة لقصة الرجال الصالحين من قوم نوح (أو: قبل نوح)، واقتصراره على جملة: (هذه أصنام كانت تُعبد في زمان نوح) فقط في تفسيره الكبير، قرينة قوية على ما أسلفنا من بطلان كون عطاء المذكور في أثر البخاري هو عطاء بن أبي رباح، ويؤكد الحكم ببطلان الأثر وانقطاعه، وأن ابن عباس بريء من عهده؛

(3) - ما قلناه عن رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ينطبق حرفاً بحرف على روايات الضحاك بن مزاحم، وهو معروف بأخذ التفسير من ابن عباس إما مباشرة أو من سعيد بن جبير عندما جاء الري، وهي: (هذه أصنام، وكانت تُعبد في زمان نوح)، وقوله: (هي آلهة كانت تكون باليمن)، كما هي في تفسير الطبري جامع البيان [ت شاكر (639/23)]:

(4) - وجاء في إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر لأبي اليمن ابن عساكر (ص: 67): [أخبرنا الحسن بن محمد قراءة رحمه الله، حدثنا أبو طاهر الحافظ، أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز، أخبرنا محمد بن علي بن عمرو، أخبرنا محمد بن يعقوب بن إسحاق، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا العباس بن عبد الله، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قول الله عز وجل: {ولا تذرنا وداً ولا سواهاً ولا يغوث ويعوق ونسراً}، قال: هذه أسماء رجال صالحين من أصحاب الأنبياء كانوا قبل نوح. قال: فلما أن هلكوا؛ أوحى الشياطين إلى أوليائهم: انصبوا في مجالسهم أنصاباً وسموها بأسمائهم تذكرونهم بها. قال: ففعلوا، فلم تعبد حتى هلك أولئك، فلما هلك أولئك ودرس العلم، عبدت. قال: فأما ((ود)) فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما ((سواع)) فكانت لهذيل، وأما ((يغوث)) فكانت لمراء، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما ((يعوق)) فكانت لهمدان، وأما ((نسر)) فكانت لحمير، ثم لآل ذي كلاع]

إسماعيل بن عياش ثقة في الشاميين (وكذلك في الكوفيين على الأرجح)، ولكن حديثه عن الحجازيين - وهذا منها - مضطرب لا تقوم به حجة. ولكن الظاهر ها هنا أنه قد حفظها هنا جيداً: فالمتن مطابق لمتن البخاري، إلا أنه جعل فقرة البخاري الثانية (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ... إلخ) هي الأولى، وجعل الأولى ثانية، وحذف جملة: (صَارَتِ الْاَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ) إذ لم تعد لها حاجة أصلاً؛ واستبدل (الشَّيْطَانُ) بـ(الشياطين)، ولا فرق في المعنى مطلقاً؛ واستبدل (قَوْمُهُمْ) بـ(أوليائهم)، وهذه أولى وأدق؛ واستبدل (لِحَمِيرٍ لِّآلِ ذِي الْكَلَاعِ) بـ(لحمير، ثم لآل ذي كلاع)، وهذه أيضاً أولى وأدق لأن الصنم كان لحمير من أقدم العصور ثم توارثوه حتى انتهت سدانته إلى آل ذي الكلاع، وهم بطن قريب من حمير؛ واستبدل (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ) بـ(أسماء رجال صالحين من أصحاب الأنبياء كانوا قبل نوح)، وهذه أيضاً أحسن وأدق، وبها تزول تماماً إشكالية المتن المذكورة آنفاً: فهذا المتن، في الجملة أجود وأدق، من متن البخاري بمراحل.

ولكن ابن جريج، وهو من الأئمة الثقات الحفاظ الأعلام، لم يلق عكرمة، ولم يسمع منه شيئاً كما هو في جامع التحصيل (ج1/ص229/ت472): [ذكر بن المديني أنه لم يلق أحداً من الصحابة وقال أيضاً لم يسمع بن جريج من المطلب بن عبد الله بن حنطب كان يأخذ أحاديثه من بن أبي يحيى عنه وذكر بن المديني أيضاً أصحاب بن عباس ثم قال ولم يلق يعني بن جريج منهم جابر بن زيد ولا عكرمة ولا سعيد بن جبير وقال بن الجنيد سألت يحيى بن معين سمع بن جريج من مجاهد قال في حرف أو حرفين في القراءة لم يسمع غير ذلك وكذلك قال البرديجي وغيره... إلخ]؛ وهو، أي ابن جريج، مدلس، قبيح

التدليس، كما قال الإمام الدارقطني: (شر التدليس تدليس بن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلّس الا فيما سمعه من مجروح)، فلا بد من القطع بأن ابن جريج أخذه من رجل (مجهول مجروح). وعليه فالراجح جداً أن يكون حديث البخاري إنما هو عن عطاء الخراساني، الذي أخذه من ذلك (المجهول المجروح) نفسه، ووثق به، فصدقه، وأرسله عن ابن عباس، أو هو من أفاعيل عثمان بن عطاء الخراساني الذي أدرجه في كتاب أبيه.

هذا إذا سلم إسناد أبي اليمن ابن عساكر إلى إسماعيل بن عياش، وهو لا يسلم لأن محمد بن يعقوب بن إسحاق هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الخصيب، المترجم له في تاريخ بغداد (ج3/ص391/1509): [(محمد بن يعقوب بن إسحاق الخصيب): حدث عن أخيه احمد وعن احمد بن محمد بن عمر اليمامي روى عنه أبو حفص بن شاهين]، معروف بالرواية عن احمد بن محمد بن عمر بن يونس الحنفي اليمامي، نزيل بغداد: وهذا له مناكير وعجائب، وهو متهم بوضع الحديث وسرقته، كما هو في تاريخ بغداد (ج5/ص65/2438)؛ وفي طبقات أصفهان (ج3/ص75/258)؛ وفي لسان الميزان (ج1/ص282/838)؛ وفي الكشف الحثيث (ج1/ص59/102): فليس من المستبعد أن يكون قد سرق متن البخاري وركب عليه هذا الإسناد، و(حسن) المتن، ومع ذلك لم يجرؤ على إلصاقه بعطاء بن أبي رباح، فجعله عن عكرمة، فلم يزد الخبر إلا بطلاناً وسقوطاً، ولا عجب فقد قال الذي هو على كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علماً، جل جلاله، وسما مقامه: { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }، (الحجر: 9).

ومهما يكن الأمر فلا عيب على الإمام البخاري، وهو من هو: هو بحق جبل الحفظ، وإمام الدنيا؛ لا عيب عليه أن يخطئ ويهم لأته ليس بالمعصوم، فله عشرات الأوهام في كتاب التاريخ الكبير، أوردها الإمام الخطيب البغدادي في كتابه [موضح أوهام الجمع والتفريق (1/12)]، حيث رد على بعض السفهاء من أدعياء العلم الذين ينكرون مثل هذه الأبحاث والتحقيقات بكلام متين، نسوقه لنفاسته:

\* قَالَ الْخَطِيبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: [في كتاب التاريخ الذي صنّفه أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ نَظَائِرُ كَثِيرَةٍ لَمَّا ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْهُ مِنْ جَعْلِهِ الْإِثْنَيْنِ وَاحِدًا وَالْوَاحِدَ اثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مِنْهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا وَضَحَ قَاصِدُهُ وَقَرَّبَ مِنَّا عَلَى تَصْدِيقِ دَعْوَانَا فِي ذَلِكَ شَاهِدُهُ وَمَتَّبِعُوهُ بِمَا يَشَاكِلُهُ مِنْ أَوْهَامِ الْأُئِمَّةِ سِوَى الْبُخَارِيِّ فِي هَذَا النَّوعِ وَنَذْكُرُ فِيهِ مَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ وَأَيُّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ فِيمَا يَدْعِيهِ ثُمَّ نَشْرَعُ فِيمَا لَهُ رِسْمُنَا هَذَا الْكِتَابَ وَنَجْعَلُهُ مُلْخَصًا عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ الْحُرُوفِ الْمُرْتَبَةِ وَالْأَبْوَابِ. وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَنْظُرُ فِيمَا سَطَرْنَاهُ وَيَقِفُ عَلَى مَا لِكِتَابِنَا هَذَا ضَمْنَاهُ يُلْحَقُ سَيِّئَ الظَّنِّ بِنَا وَيَرَى أَنَا عَمَدُنَا لِلطَّغْنِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمْنَا وَإِظْهَارِ الْعَيْبِ لِكِبْرَاءِ شَيْوُخِنَا وَعِلْمَاءِ سَلَفِنَا وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَبِهِمْ ذِكْرُنَا وَبِشِعَاعِ ضِيَائِهِمْ تَبَصَّرْنَا وَبِاقْتِفَائِنَا وَاضِحَ رِسْمِهِمْ تَمِيزُنَا وَبِسُلُوكِ سَبِيلِهِمْ عَنِ الْهَمَجِ تَحِيزُنَا وَمَا مِثْلَهُمْ وَمِثْلُنَا إِلَّا مَا ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ فِيمَا أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو الْمُقَرِّي أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي هَاشِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ



الْعَبَّاسُ الْيَزِيدِي حَدَّثَنَا الرِّيشِي عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو مَا نَحْنُ فِيمَنْ مَضَى إِلَّا كَبَقْلٍ فِي أَصُولٍ نَخْلٍ طَوَالٍ. وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ أَعْلَامًا وَنَصَبَ لِكُلِّ قَوْمٍ إِمَامًا لَزِمَ الْمُهْتَدِينَ بِمَبِينِ أَنْوَارِهِمُ وَالْقَائِمِينَ بِالْحَقِّ فِي اقْتِفَاءِ أَثَارِهِمْ مِمَّنْ رَزَقَ الْبَحْثَ وَالْفَهْمَ وَإِنْعَامَ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ بَيَانَ مَا أَهْمَلُوا وَتَسْدِيدَ مَا أَغْفَلُوا إِذْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ مِنَ الزَّلَلِ وَلَا آمِنِينَ مِنْ مَقَارِفَةِ الْخَطَا وَالْخَطَلِ وَذَلِكَ حَقُّ الْعَالَمِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ وَوَاجِبٌ عَلَى التَّالِيِ لِلْمُتَقَدِّمِ وَعَسَى أَنْ يَضْحَكَ الْعَذْرُ لَنَا عِنْدَ مَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِنَا الْمُصَنَّفِ فِي تَارِيخِ مَدِينَةِ السَّلَامِ وَأَخْبَارِ مُحَدِّثِهَا وَذَكَرِ قَطَانِهَا الْعُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا وَوَارِدِيهَا فَإِنَّا قَدْ أوردنا فِيهِ مِنْ مَنَاقِبِ الْبُخَارِيِّ وَفَضَائِلِهِ مَا يَنْفِي عَنَّا الظَّنَّ فِي بَابِهِ وَالتَّهْمَةَ فِي إِصْلَاحِنَا بَعْضَ سَقَطَاتِ كِتَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى]

**والمفروض أن يتوقف البحث ها هنا وأن يضرب بهذه المنقطعات والمراسيل عرض الحائط،** ولكننا لبيان فساد أدمغة رجالات الفرقة الوهابية، وإفلاسهم الفكري، الذي أدى إلى ضلالهم العقدي، فالغلو في الدين والمروق منه، ثم الخروج بالسيف على أهل الإسلام، نفترض، جدلاً، ثبوت هذا عن ابن عباس، بل نفترض ثبوته عنه بنقل التواتر.

فنقول: حتى في هذه الحالة لا تقوم به حجة. لأن الصحابي ليس معصوماً في رأيه، ولا قوله، ولا عمله؛ لا فرق بين التفسير وغيره؛ ولا معنى لقول القائل: قوله في التفسير في حكم المرفوع إذا لم يعارضه صحابي آخر؛ فنقول: هذه أقوال مجردة، ومزاعم مرسلة: **{هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}**. وفي هذه القصة بالذات جاءت روايات أخرى موافقة لهذا في بعض الجزئيات، ومخالفة في أخرى، وفي بعضها زوائد كثيرة عن نفر من علماء التابعين مثل عروة بن الزبير، محمد بن قيس، وعبيد بن عمير، وعكرمة، والضحاك، ومحمد الباقر، وقتادة، ثم ابن إسحاق، وغيرهم، سقنا طرفاً منها، وسيأتي المزيد قريباً. فهذا، ونحوه، يرجح أن الناس كانوا يتداولون تلك المرويات التي أخذت من أخباري العرب أو أخبار أهل الكتاب أو قصاص النبط، فسمع بها ابن عباس من مصادر متعددة متباينة، ولما طال الزمن ظن أن لها أصلاً صحيحاً هو ما انتخبه من تلك الروايات، وصاغه بأحسن عبارة وأدقها، كما يفعل المؤرخ المدقق، ولا عجب فهو الحبر البحر، والعلامة العبقري، ثم صرح بذلك في آخر عمره وقد ذهب كبار الصحابة وعلمائهم، وأمّهات المؤمنين، وكبار المخضرمين، ولم يبق إلا أمثال: عبد الله بن عمر، أنس بن مالك، وليسوا من أئمة التفسير، فلم يعترض أحد.

فحتى لو سلمنا بقول الجمهور، وهو أن تلك كانت أسماء آلهة لقوم نوح، أي قبل ما يزيد على أربعة آلاف عام قبل البعثة المحمدية، أو ربما أكثر من ذلك بكثير. وتوارثها العرب، وغيرهم من الشعوب السامية، حتى انتهت إلى القبائل المذكورة، وأكثرها قبائل يمانية، في أثر ابن عباس، وربما إلى غيرها، كما هو معلوم من نص القرآن، وصحاح الحديث والسير، وبالضرورة من علوم التاريخ والآثار. ولكن كيف نشأت تلك المعتقدات في ذلك الزمن السحيق؟ هذا محال أن يعرف إلا بالنقل الصحيح، وما ثمة نقل صحيح، أو يعرف بالوحي، وما ثمة وحي، وأثر ابن عباس ليس بمرفوع حتى يقال أنه من الوحي، وما هي إلا

إسرائيليات، أو أساطير عربية، أو خرافات نبطية شعبية، ونحوها. وأقد أحسن الإمام قتادة بأن ذكر هذا، ولم يزد عليه حرفاً؛ أي أنه اكتفي بمضمون الفقرة الأولى من حديث ابن عباس: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ أَمَّا وَدَّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سَوَاعُ كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَا، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمَذَانُ، وَأَمَّا نَسْرُ فَكَانَتْ لِحَمِيرَ لَالِ ذِي الْكَلَاعِ»؛ وكذلك فعل الضحاك، وابن زيد، وعلي بن طلحة في روايته عن ابن عباس.

**والمفروض أن يتوقف البحث ها هنا أيضاً، وأن يضرب بهذه الإسرائيليات، والأساطير**

**والخرافات، عرض الحائط،** ولكننا لمزيد بيان افساد أدمغة رجالات الفرقة الوهابية، وإفلاسها الفكري، الذي أدى إلى ضلالها العقدي، فالغلو في الدين والمروق منه، ثم الخروج بالسيف على أهل الإسلام: نفترض، **جدلاً**، مجيء هذا من الوحي المنزل المعصوم، ونتعامل معه كأنه نص قرآن منزل، أو لفظ حديث نبوي منقول بالتواتر. أعني بذلك الفقرة الثانية من حديث ابن عباس التي ضرب عنها الإمام قتادة صفحاً، وهي: «أَسْمَاءُ رَجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمُوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ؛ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ: عُبِدَتْ»؛ أو بلفظها (المحسن): [هذه أسماء رجال صالحين من أصحاب الأنبياء كانوا قبل نوح. قال: فلما أن هلكوا؛ أوحى الشياطين إلى أوليائهم: انصبوا في مجالسهم أنصَاباً وسموها بأسمائهم تذكرونهم بها. قال: ففعلوا، فلم تعبد حتى هلك أولئك، فلما هلك أولئك ودرس العلم، عبت].

وهذا يقتضي أن نزع، ظناً ورجماً بالغيب، أن ابن عباس سمع قصة (الرجال الصالحين) بالفاظ متباينة، في مناسبات مختلفة، من النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوعى جوهرها، وعبر عنه بأدق عبارة وأخصرها، وأضاف إليها ما هو مشاهد بالحس، ومعلوم بالتواتر من أماكن عبادة تلك الأصنام، والقبائل المعظمة لها؛ ثم تورع من نسبتها إليه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنها ليست هكذا من لفظه: فإن جوزنا لأنفسنا هذه الجرأة الجامحة فلا بد من ملاحظة الروايات الأخرى المشابهة، والأخذ بما جاء فيها من زيادات شارحة، ولو على وجه الاستئناس، وإليك طرفاً مما لم يسبق ذكره:

\* فقد جاء في تفسير ابن أبي حاتم [محققاً (10/3375/18997)]: [حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنصُورٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ عَنْ أَبِي الْمُطَهَّرِ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَزِيدُ بْنُ الْمَهَلَبِ قَالَ: فَلَمَّا انْقَلَبَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: ذَكَرْتُمْ يَزِيدُ بْنُ الْمَهَلَبِ أَمَا إِنَّهُ قُتِلَ فِي أَوَّلِ أَرْضٍ عُبِدَ فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ وَدًّا - قَالَ: وَكَانَ وَدٌّ رَجُلًا مُسْلِمًا وَكَانَ مُحَبَّبًا فِي قَوْمِهِ، فَلَمَّا مَاتَ عَسَكُرُوا حَوْلَ قَبْرِهِ فِي أَرْضِ بَابِلَ وَجَزَعُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ جَزَعَهُمْ عَلَيْهِ تَشَبَّهَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أَرَى جَزَعَكُمْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ أَصَوِّرَ لَكُمْ مِثْلَهُ فَيَكُونُ فِي نَادِيكُمْ فَتَذْكُرُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَصَوَّرَ لَهُمْ مِثْلَهُ، قَالَ: وَوَضَعُوهُ فِي نَادِيهِمْ وَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ قَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَجْعَلَ فِي مَنَزِلٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ تِمَثَالًا مِثْلَهُ، فَيَكُونُ لَهُ فِي بَيْتِهِ فَتَذْكُرُونَهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَمَثَّلَ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ تِمَثَالًا مِثْلَهُ، فَأَقْبَلُوا فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ بِهِ، قَالَ: وَأَذْرَكَ أَبْنَاؤُهُمْ فَجَعَلُوا يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَ بِهِ وَتَنَاسَلُوا وَدَرَسَ أَمْرُ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِمْ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا عُبِدَ غَيْرَ اللَّهِ: الضم

الَّذِي سَمَّوْهُ وَدًّا]؛ وهو في «تفسير ابن كثير»، (ج: 4 ص: 427 وما بعدها): [وقال ابن أبي حاتم: ... فساقه بعينه]؛ وهو بنحوه في «الدر المنثور»، (ج: 8 ص: 294): [وأخرج عبد بن حميد عن أبي مطهر قاله بنحوه]؛

قلت: وهذه أسطورة مختلفة عن سابقتها، نعم فيها: [عسكروا حول قبره، (أو: اعتكفوا حول قبره)]، في أرض بابل وجزعوا عليه]، وذلك في أول الأمر فقط حال جزعهم، ولم يترتب على ذلك أي تغير في معتقدات القوم أو عبادتهم، فلا علاقة لها بموضوع «اتخاذ القبور مساجد»، أو «العكوف على القبور»، الذي هو (ببيع) الفرقة الوهابية الرهيب، وإنما هي تتعلق باتخاذ الصور لأولئك المعظمين المحبوبين، وكانت الصور في ناديم، ثم في بيت كل رجل منهم، وليس على قبورهم، التي اندرست وذهبت.

\* وجاء في تفسير البغوي [إحياء التراث (5/157)]: [قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ، فَلَمَّا مَاتُوا كَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ وَيَأْخُذُونَ بَعْدَهُمْ مَأْخُذُهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فَجَاءَهُمْ إِبْلِيسُ وَقَالَ لَهُمْ: لَوْ صَوَّرْتُمْ صُورَهُمْ كَانَ أَنْشَطَ لَكُمْ وَأَشْوَقَ إِلَى الْعِبَادَةِ، فَفَعَلُوا ثُمَّ نَشَأَ قَوْمٌ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فَعَبَدُوهُمْ]؛

\* وجاء في «الدر المنثور»، (ج: 8 ص: 293): [وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن كعب رضي الله عنه في قوله: {ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا}، قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح، فنشأ قوم بعدهم يأخذون كأخذهم في العبادة فقال لهم ابليس: لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم، فصوروا ثم ماتوا فنشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس: إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدوها]؛

\* وفي «الدر المنثور»، (ج: 8 ص: 293): [وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن محمد بن كعب القرظي قال: كان لآدم خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان فقال: حزنتم على صاحبكم هذا؟ قالوا: (نعم)، قال: هل لكم أن أصور لكم مثله في قبلتكم إذا نظرتم إليه ذكرتموه؟ قالوا: (لا، نكره أن تجعل لنا في قبلتنا شيئا نصلي إليه)، فأجعله في مؤخر المسجد؟ قالوا: (نعم)، فصوره لهم حتى مات خمستهم فصور صورهم في مؤخر المسجد، وأخرج الأشياء، حتى تركوا عبادة الله وعبدوا هؤلاء فبعث الله نوحا]؛ قلت: عبارة: (وأخرج الأشياء): لا معنى لها، وهي تحريف أو تصحيف، مع حذف، ولا بد. ولعل أصلها: وأدرك الأبناء وتناسلوا؛ كما هو بنحو هذا في الروايات الأخرى.

وهاتان قصتان مختلفتان عن محمد بن كعب القرظي، وفي الثانية تفاصيل كأنها من رواية شاهد عيان كان في ذلك المجلس عندما جاءهم إبليس زائراً(!!؟). ولا علاقة لهذه «الأسطورة» الخرافية بموضوع «اتخاذ القبور مساجد»، أو «العكوف على القبور»، وإنما هي تتعلق باتخاذ الصور لأولئك المعظمين المحبوبين، وكانت الصور في مؤخرة مساجدهم، لأن القوم كرهوا اتخاذ شيء في القبلة المزعومة، التي لم يتحفظوا الراوية — سامحه الله — بمزيد علم عنها: هل كانت مكة، أو بيت المقدس، أو نحو الشرق، أو القطب الشمالي؟!

\* وجاء في «الدر المنثور»، (ج: 8 ص: 293): [وأخرج الفاكهي عن عبيد الله بن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم فجزع عليه فجعل لا يصبر عنه فاتخذ مثالا على صورته، فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات ففعل به كما فعل، ثم تتابعوا على ذلك فمات الآباء فقال الأبناء: ما اتخذ هذه آبائنا إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها]؛ قلت: وهذه محاولة مختلفة لتفسير نشوء الوثنية، ولا علاقة لها بموضوع «اتخاذ القبور مساجد»، أو «العكوف على القبور»، وإنما هي تتعلق باتخاذ الصور للأسلاف، كما هي عادة أهل الصين اليوم، وكانت الصور على الأرجح في بيوتهم، وليس هناك ما يدل أنها كانت على قبورهم، ولا في مساجدهم أو معابدهم، فلا علاقة لهذا أصلاً بموضوع: «اتخاذ القبور مساجد»، أو «العكوف على القبور»، الذي تروى هذه الأساطير أثناء مناقشته.

\* وقد سبق ذكر ما جاء في «تفسير الطبري»، جامع البيان [ت شاكر (23/639)]: [حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس (وَيَعُوقُ وَنَسْرًا) قال: كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر: فعبدوهم]؛

قلت: هذه أهون شيئاً ما، فما ثمة تحديد أجيال، ولا زعم بأنهم من ولد آدم صليبة مباشرة، ولا ذكر لـ«زيارة» إبليس في صورة آدمي، وإنما هي مجرد «وسوسة» منه!! ولا ذكر في القصة للقبور أصلاً، وإن كانت الصور والتماثيل جوهريّة في الموضوع، ولكن بوصفها وسيلة فقط، مع أنه لم يرد في القصة أين كانت تلك الصور، وإن كان السياق يشير إلى أنها في البيوت. والمصيبة هنا هي في تغير (الاعتقاد): (إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر)، وليست في الصور ذاتها، ومن باب أولى ليست في القبور.

\* وجاءت أقل الروايات تخريفاً في الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (المتوفى: 634هـ)، (1/64): [وذكر الواقدي بإسناد له عن أبي هريرة أن أول ما عبدت الأصنام في زمن نوح عليه السلام، وأن ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا كانوا رجالا صالحين من قوم نوح، أهل عبادة وفضل، فماتوا، فوجد عليهم أهلهم وتوحش الناس لفقدهم، فقال لهم رجل: ألا أصورهم لكم صورا من خشب فتتنظرون إليهم وتسكنون إلى رؤيتهم؟ قالوا: بلى إن قدرت، قال: أنا أقدر على تصويرهم، ولا أقدر أن أنفخ الروح فيهم. فجاء بالصور كهيتهم أحياء، فأخذ أهل كل بيت صورة صاحبهم فوضعوها في منزلهم ينظرون إليها، فأذهب ذلك بعض حزنهم. فكانوا على ذلك ما شاء الله، حتى هلك ذلك القرن، ثم خلف قرن آخر ثم ثالث بعده فكانوا على ما كان عليه القرن الأول حتى هلكوا. ثم خلف القرن الرابع، فقالوا: لو أنا عبدنا هؤلاء لقربونا إلى الله وشفعوا لنا عنده، ولا يزيدونا إلا خيرا إنما نريد ما يقربنا منه،

فعبدها حتى هلكوا، وعبدها من بعدهم. فلما غرقت الأرض زمن نوح عليه السلام، غرقت تلك الأصنام، فمكثت ما شاء الله أن تمكث، ثم استخرجها عمرو بن لحي ففرقها في القبائل]

### **فبناءً على سبق من النصوص نلاحظ:**

**أن أول الأمر:** تعظيم ومحبة للصالحين والأسلاف، فاغتنم الشيطان الفرصة ليوسوس للخلف أن ينصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً (لعلها تماثيل على صورهم)، ووقع القوم في المصيدة وفعلوا ذلك؛ ولكنهم لم يعبدوها. وهذا يعني عندنا، وفق تعريفنا الصحيح للعبادة: أنهم لم ينسبوا إليها شيئاً من الألوهية (ومنها الربوبية) أصلاً؛ ولا نبالي أكانوا يركعون أو يسجدون أو يتمسحون بهم، أو لا؛ ويعني عند الفرقة الوهابية أنهم ما كانوا يركعون أو يسجدون أو يتمسحون بهم، فلعل ذلك كان مستساغاً في شريعتهم؛ فلعلهم كانوا فقط يخاطبون تلك الأنصاب قائلين: (السلام عليك أيها الرجل الصالح)، ونحو ذلك؛

**وثانياً: (تنسخ العلم) أو (درس العلم):** و(العلم) المقصود هنا هو (العلم) بحقيقة تلك الأنصاب، وليس هو (علم الفرائض)، ولا (علم تربية الدواجن): فها هنا جهل تام مطبق بحقيقة تلك الأنصاب (أو التماثيل والتصاوير) فلم يعد يدرى ما هي أصلاً، وهو ما تنص عليه صراحة الرواية عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر: **(ودرس أمر ذكرهم إياه)**، وإنما يعرفها الناس فقط بأسمائها كأسماء أعلام مجردة، ولعل الأسماء كانت منقوشة على قواعد النصب، على فرض أن البشرية كانت تعرف الكتابة آنذاك؛

**ثم ثالثاً: (عبدت):** وهذا يعني عندنا، وفق تعريفنا الصحيح للعبادة: أنهم اعتقدوا فيها شيئاً من الألوهية (ومنها الربوبية من دون الله؛ أو الندية لله)، **كاعتقاد أن الله، أو (بعض) الله، قد حل فيهم أو اتحد، أو أنهم يتصرفون في الكون على وجه الاستقلال، أو أنه بهم يستسقى المطر:** وهذا كفر، وهو شرك اعتقادي مكفر. ثم يكون صرف الشعائر التعبدية لهم قليل الأهمية بذاته، وإن كان زيادة في الكفر، **فما هو إلا مظهر عملي لذلك الاعتقاد الكفري، وليس هو أمراً يمكن تصويره مستقلاً عن الاعتقاد المسبق الذي بني عليه**، كما هو مصرح به في رواية عبيد الله بن عبيد بن عمير: (ما اتخذ هذه آبائنا إلا أنها كانت ألهمتهم فعبدها): فهذا اعتقاد ترتب عليه عبادة.

وهذا يعني عند الفرقة الوهابية: أنهم بدأوا يركعون أو يسجدون أو يوقدون الشموع، أو يطلقوا الجامر بالبخور، أو يتمسحون بهم، وما شاكل ذلك؛ كل ذلك لأنصاب لا يدرى ما هي، وإنما تعرف بأسماء أعلام، لا تدرى ما حقيقة مسمياتها، وبالقطع لا علاقة لها برجال صالحين من السلف أصلاً؛ لأن هذا درس ونسي ولم يعد أحد يذكره؟! وحسبك بهذا برهاناً على فساد أدمغة رجالات الفرقة الوهابية!

فليس في النصوص، ولا حرف واحد، تستنبط منه مزاعم الإمام ابن تيمية الجامعة كما هي في مجموع الفتاوى (1/167): [وَهَذَا كَانَ أَوَّلَ أَسْبَابِ الشُّرْكِ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فِي النَّاسِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمَّ ظَهَرَ الشُّرْكَ بِسَبَبِ تَعْظِيمِ قُبُورِ صَالِحِيهِمْ]؛ وأيضاً في مجموع الفتاوى (1/321): [قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: هَؤُلَاءِ كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا مَاتُوا عَكَّفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ عَبْدُوهُمْ].

ونسارع فنقول: معاذ الله أن يكون الشيخ الإمام ابن تيمية قد تعمد هذا، لأنه كذب محض، وإفك مجرد؛ وإنما هو عمى البصيرة، الذي أسلفنا الإشارة إليه مراراً وتكراراً، الذي جعله يقرأ النصوص منكسة: فيرى فيها، ما ليس منها، ويغمض العين عما هو فيها؛ ثم تبعته الفرقة الوهابية اتباع الدواب لقائدها.

#### وإليك مزيد من القصص الخرافية المكذوبة المتناقضة:

\* حيث جاء في تفسير ابن كثير [ت سلامة (8/235)]: [وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجَمَةِ شَيْثٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي جُوَيْرٌ وَمُقَاتِلٌ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: وَلَدَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَرْبَعُونَ وَلَدًا، عَشْرُونَ غُلَامًا وَعَشْرُونَ جَارِيَةً، فَكَانَ مِمَّنْ عَاشَ مِنْهُمْ: هَابِيلُ، وَقَابِيلُ، وَصَالِحٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ - وَالَّذِي كَانَ سَمَاهُ عَبْدُ الْحَارِثِ - وَوَدٌّ، وَكَانَ وَدٌّ يُقَالُ لَهُ "شَيْثٌ" وَيُقَالُ لَهُ: "هَبَةُ اللَّهِ" وَكَانَ إِخْوَتُهُ قَدْ سَوَّدُوهُ، وَوُلِدَ لَهُ سَوَاعٌ وَيَعُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرٌ]

قلت: ما شاء الله كان: يختلف الرواة في أسماء أبناء النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهل الطاهر هو نفسه الطيب، وهل هما مجرد لقبان لعبد الله، أو غير ذلك؟! ولكننا «نعلم» أن ود هو شيت ويقال له هبة الله؛ وسواع ويعوث ويعوق ونسر أبناء لـ«ود»، ومن عاش منهم، ومن مات في صغره؟!

\* وجاء في تفسير ابن كثير [ت سلامة (8/235)]: [وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الدَّوْرِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْمُؤَدَّبُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ هُرْمَزٍ عَنْ أَبِي حَزْرَةَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: اشْتَكَى آدَمُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعِنْدَهُ بَنُوهُ: وَدٌّ، وَيَعُوثُ، وَيَعُوقُ وَسَوَاعٌ، وَنَسْرٌ - قَالَ وَكَانَ وَدٌّ أَكْبَرَهُمْ وَأَبَرَّهُمْ بِهِ]؛ وهي كذلك في «الدر المنثور»؛ وها هنا أصبح سواع ويعوث ويعوق ونسر أخوة لـ«ود»، هكذا بقدرة قادر، وليسوا أبناءه!

وقد تطورت هذه الخرافات إلى قصص مطولة، تصلح للإخراج السينمائي، لا سيما في مرويّات الشيعة، وما كان في مستواها من كتب أهل الأسفار والطرائف والأغاني، وإليك نموذج واحد من ذلك (للمتعة الأدبية والتسلية فقط، أو للإنتاج السينمائي!):

\* جاء في «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك

**العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ)، (1/35، بترقيم الشاملة آليا):** [وقد روينا عن محمد بن موسى المتوكل، عن عبد الله بن جعفر، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن النعمان الأحول، عن يزيد بن معاوية، قال: سمعت أبا جعفر يقول في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم: إن إبليس اللعين أول ما صور صورة على مثال آدم ليفتن به الناس ويضلهم عن عبادة الله تعالى، وكان ود في ولد قابيل، وكان خليفة قابيل على ولده وعلى من بحضرتهم في سفح الجبل يعظمونه ويسودونه، فلما أن مات، جزع عليه إخوته وخلف عليهم أنبأنا يقال له سواع، فلم يغن غناء أبيه منهم، فأتاهم إبليس في صورة شيخ، فقال: قد بلغني ما أصبتم به من موت ود عظيمكم، فهل لكم أن أصور لكم على مثال ود صورة تستريحون إليها وتأنسون بها؟ فقالوا: افعل، فعمد الخبيث إلى الآتك، فأذابه حتى صار مثل الماء، ثم صور لهم صورة مثل ود في بيته، فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون إليها. وأحب سواع أن يكون التعظيم والسجود له، فوثب على صورة ود، فحكها حتى لم يدع منها شيئاً، وهموا بقتل سواع فوعظهم، وقال: أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ود، وأنا ابنه، فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس، فمالوا إلى سواع بالتعظيم والطاعة، ثم لم يلبث سواع أن مات، وخلف أنبأنا يقال له: يغوث، فجزعوا على سواع، فأتاهم إبليس، وقال: أنا الذي صورت لكم صورة ود، فهل لكم أن أجعل لكم مثل سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيره؟ قالوا: فافعل، فعمد إلى عود من شجر الخلاف، فنجره ونصبه لهم في منزل سواع، وإنما سمي ذلك العود خلافاً؛ لأن إبليس عمل منه صورة سواع على خلافة صورة ود، فسجدوا له وعظموه، وقالوا ليغوث: ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ود، فوضعوا على البيت حراساً وحجاباً، ثم كانوا يأتون الصنم في يوم واحد، ويعظمونه أشد مما كانوا يعظمون سواعاً، فلما رأى ذلك يغوث، قتل الحراس والحجاب ليلاً، وجعل الصنم رميماً، فلما بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه، فتوارى منهم، فطلبوه، ورأسوه، وعظموه ثم مات وخلف أنبأنا يقال له: يعوق، فأتاهم إبليس فقال: قد بلغني موت يغوث، وأنا جاعل لكم مثاله في شيء لا يقدر أحد أن يغيره، قالوا: فافعل، فعمد الخبيث إلى حجر جزع أبيض، فنقره بالحديد حتى صور لهم مثال يغوث، فعظموه أشد مما مضى، وبنوا عليه بيتاً من الحجر، وتبايعوا ألا يفتحوا باب ذلك البيت إلا في رأس كل سنة وسميت البيعة حينئذ: لأنهم تبايعوا وتعاقدوا عليه؛ فاشتد ذلك على يعوق، فعمد إلى ربطة وحلفاء، فألقاها في الحائط بالنار ليلاً فأصبح القوم وقد احترق البيت والصنم والحرس وارفص الصنم ملقى، فجزعوا، وهموا بقتل يعوق، فقال لهم: إن قتلتم رئيسكم، فسدت أموركم، فلم يلبث أن مات يعوق، وخلف أنبأنا يقال له: نسر، فأتاهم إبليس فقال لهم: بلغني موت عظيمكم، فأنا جاعل لكم مثال يعوق في شيء لا يبلى، فقالوا: افعل، فعمد إلى الذهب وأوقد عليه النار حتى صار كالماء، وعمل مثلاً من الطين على صورة يعوق، ثم أفرغ الذهب فيه، ثم نصبه لهم في ديرهم، واشتد ذلك على نسر، ولم يقدر على دخول ذلك الدير، فانحاز عنهم في قرية قريبة من إخوته يعبدون نسراً والآخرين يعبدون الصنم، حتى مات نسر، وظهرت نبوة إدريس — عليه السلام — فبلغه حال القوم، وأنهم يعبدون صنماً على مثال يعوق، وأن نسراً كان يعبد من دون الله، فسار إليهم بمن معه حتى نزل مدينة نسر وهم فيها، وهزمهم وقتل من قتل وهرب من هرب،

فتفرقوا في البلاد، وأمر بالصنم فحمل وألقى في البحر، فاتخذت كل فرقة منهم صنماً، وسموها بأسمائها، فلم يزالوا بعد ذلك قرناً بعد قرن لا يعرفون إلا تلك الأسماء.

ثم ظهرت نبوة نوح — عليه السلام — فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام، فقال بعضهم: {لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}. فعلى هذا كانت — بسبب أولاد قابيل، لعنه الله — عبادة الأصنام.

وفي العلل: أن أصل عبادة النيران قابيل — لعنه الله — فإنه لما لم يتقبل الله منه قربانه، أتاه إبليس، وقال له: إنما قبلت النار قربان أخيك؛ لأنه يعبدها، فقال: وأنا أعبد ناراً أخرى، فبنى بيوت النار، ولم يرث منه ولده إلا عبادة النيران. وهو أول من بنى للنار البيوت: انتهى النص المنقول.

هذه القصص المتناقضة، والخرافات المتباينة، والخيالات الشاطحة، تظهر لك حقيقة هذه الأقوال، وأنها مجرد أساطير شعبية، وخرافات عربية أو نبطية أو سريانية أو إسرائيلية. وقد تنزه عنها نفر من المفسرين من أمثال قتادة، والضحاك، وابن زيد؛ وهو القول الصحيح عن ابن عباس، الذي لا يحل الجزم بغيره أصلاً.

وطبعاً لم يهدأ للأخباريين بال حتى وجدوا قصصاً تفسر كيف انتقلت هذه الأوثان إلى العرب: \* حيث جاء في (المنمق في أخبار قريش)، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (المتوفى: 245 هـ)، (ص 94): [قال: وكان عمرو بن ربيعة وهو خزاعة كاهناً له رئي من الجن، وكان عمرو يكنى أبا ثمامة، فأتاه رئيه فقال: فقال: أجب أبا ثمامة، فقال: لبيك من تهامة، فقال له: ارحل بلا ملالة (أو: عجل بالمسير والظعن من تهامة)، بالسعد والسلامة، قال له: جير ولا إقامة، قال: (أئت صف جدة، تجد فيها أصناماً معدة، فأورد بها تهامة، ولا تهب، ثم ادع العرب قاطبة إلى عبادتها تُجب). فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وهي الأصنام التي عبدت على عهد إدريس ونوح عليهما السلام، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فواراها، واستثارها عمرو وحملها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا العرب إلى عبادتها فأجابوه. فأخذ عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن كلب وداً، فنصبه بدومة الجندل، وكان لقضاة؛ وأخذ الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة سواعا، فكان برهاط، تعبدته مضر؛ وأخذ أنعم بن عمرو المرادي يغوث، فكان بأكمة من اليمن يقال لها مذحج، تعبدته مذحج ومن والها؛ وأخذ مالك بن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان، تعبدته همدان ومن والها؛ وأخذ معد يكرب أحد حمير وأحد ذي رعين نسرا، فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع، تعبدته حمير ومن والها].



\* وجاء في أخبار مكة للفاكهي (5/139/68): [عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: كَانَ لَعَمْرُو بْنِ رَبِيعَةَ رُئِيَ مِنَ الْجَنِّ فَاتَّاهُ فَقَالَ أَجِبْ أَبَا ثُمَامَةَ وَادْخُلْ بِلَا مَلَامَةٍ ثُمَّ أَتَتْ سَيْفَ جَدَّةٍ تَجِدُ بِهَا أَصْنَامًا مَعْدَةً ثُمَّ أَوْرَدَهَا تَهَامَةً وَلَا تَهَبُ ثُمَّ ادَّعَى الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا تَجِبُ. قَالَ فَاتَى عَمْرُو سَاحِلِ جَدَّةٍ فَوَجَدَ بِهَا وَدًا وَسَوَاعًا وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَهِيَ الْأَصْنَامُ الَّتِي عَبَدَتْ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَإِدْرِيسَ ثُمَّ إِنَّ الطُّوفَانَ طَرَحَهَا هُنَاكَ فَسَقَى عَلَيْهَا الرَّمْلَ فَاسْتَثَارَهَا عَمْرُو وَخَرَجَ بِهَا إِلَى تَهَامَةٍ وَحَضَرَ الْمَوْسِمَ فَدَعَا إِلَى عِبَادَتِهَا فَأُجِيبَ؛ أَقُولُ: عَمْرُو بْنُ رَبِيعَةَ هُوَ عَمْرُو بْنُ لَحِي؛

\* ولكن جاء في تفسير السراج المنير (ص: 4907): [وروي عن ابن عباس أن نوحاً عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وإنما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به، فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكان للعرب أصنام أخرى، فآلات كانت لقديد وإساف ونائلة، وهبل كانت لأهل مكة، وكان إساف حيال الحجر الأسود، ونائلة حيال الركن اليماني، وكان هبل في جوف الكعبة].

ولك أن تختار ما شئت من الأساطير والخرافات. وطبعاً بني هذا، وغيره، على مقدمات باطلة، منها: أن الطوفان أغرق الدنيا كلها، فلم يبق أحد يتوارث الأصنام توارثاً طبيعياً، فاحتاج الأمر إلى (شياطين الجن) لحفز أوليائهم من الكهان من (شياطين الإنس) للحفر عن الأصنام المدفونة، ودعوة الناس إلى عبادتها. وهناك غير هذا من الخرافات والأساطير التي لا نهاية لها، ولا خطام ولا زمام: فالله أعلم بذلك كله، وحسبك من شر سماعه: وإليك حل سقيم آخر لهذه الإشكالية الموهومة:

\* فقد جاء في تفسير القاسمي [محاسن التأويل (9/325)]: [الأول — قال الرازي: في انتقالها عن قوم نوح إلى العرب. إشكال، لأن الدنيا قد خربت في زمان الطوفان، فكيف بقيت تلك الأصنام، وكيف انتقلت إلى العرب. ولا يمكن أن يقال إن نوحاً عليه السلام وضعها في السفينة وأمسكها، لأنه عليه السلام إنما جاء لنفيها وكسرها، فكيف يمكن أن يقال إنه وضعها في السفينة سعياً منه في حفظها؟ انتهى كلامه. ونحن نقول: إن جوابه بديهي، وهو أن انتقالها إلى العرب بواسطة نقل أحوال قوم نوح وأبنائهم وعوائلهم، على ألسنة الرحل والسّمار، لأن سيرة القرن المتقدم في العصر المتأخر، وسنة الخالف أن يؤرخ السالف. وجلي أن النفس أميل إلى الجهل منها إلى العلم، لا سيما إذ زين له المنكر بصفة تميل إليها، فتكون ألصق به. وهكذا كان بعد انقراض العلم وحملته، أن حدث ما حدث من عبادتها، كما أشارت إليه رواية ابن عباس عند البخاري: حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم، عبدت. وعجيب من الرازي أن لا يجد مخرجاً من سؤاله، وهو على طرف الثّمَام.

الثاني — قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): حكى الواقدي قال: كان (ود) على صورة رجل،

و(سواع) على صورة امرأة و(يغوث) على صورة أسد، و(يعوق) على صورة فرس، و(نسر) على صورة طائر. وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها. انتهى.

**الثالث** — قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) أول ما كاد به الشيطان عبادة الأصنام، من جهة العكوف على القبور، وتصاوير أهلها، ليتذكروهم بها، كما قص الله سبحانه قصصهم في كتابه فقال: وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ.. الآية. ثم قال: وتلاعب الشيطان بالمشركون في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، ولهذا لعن النبي، صلى الله عليه وسلم، المتخذين على القبور المساجد السرج، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وحدثنا يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً]

\* وجاء في تفسير السراج المنير (ص: 4907): [وقال الماوردي: أما ودّ فهو أول صنم معبود فسمي ودّاً لودّهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء، وأمّا سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم. وقال الرازي: وسواع لهمدان. وأمّا يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ في قول قتادة. وقال المهدي: لمراد ثم لغطفان. وقال أبو عثمان النهدي: رأيت يغوث وكان من رصاص، وكانوا يحملونه على جمل أجرد ويسيرونه معهم ولا ينيخونه حتى يبرك بنفسه فإذا برك نزلوا، وقالوا: قد رضي لكم المنزل، وأمّا يعوق فكان لهمدان، وقيل: لمراد، وأمّا نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل. وقال الواقدي: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير. **قال البقاعي:** (ولا يعارض هذا أنهم صور لناس صالحين، لأنّ تصويرهم لهم يمكن أن يكون منتزعا من معانيهم، فكان ودّ للكامل في الرجولية، وكان سواع امرأة كاملة في العبادة، وكان يغوث شجاعاً، وكان يعوق سابقاً قوياً، وكان نسر عظيماً طويل العمر)، ١هـ].

\* وجاء في التحرير والتنوير (ص: 4578): [قال أبو عثمان النهدي: (رأيت يغوث (صنما) من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أحرد (بالحاء المهملة أي يخطب بيديه إذا مشى) ويسرون معه ولا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل، فيضربون عليه بناء ينزلون حوله). وكان يغوث على صورة أسد. وكان لهمدان صنم اسمه (يعوق) وهو على صورة فرس؛ وكان لكهلان من سبأ ثم توارثه بنوه حتى صار إلى همدان. وكان لحمير ولذي الكلاع منهم صنم اسمه (نسر) على صورة النسر من الطير]؛

— وجاء تخريج كلام أبي عثمان النهدي في الدر المنثور (8/293): [وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن أبي عثمان قال: رأيت يغوث صنما من رصاص يحمل على جمل أجرد فإذا برك قالوا:

قد رضي ربكم هذا المنزل]؛

— وهو في معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/1869/4705): [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، عَنْ زَكْرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ عَاصِمٍ (هو: الْأَحْوَلُ)، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: رَأَيْتُ يَغُوثَ صَنَمًا مِنْ رِصَاصٍ، يُحْمَلُ عَلَى جَمَلٍ أَجْرَدَ، فَإِذَا بَرَكَ الْجَمَلُ، قَالُوا: قَدْ رَضِيَ لَكُمْ رَبُّكُمْ هَذَا الْمَنْزِلَ]؛

— وهو في معجم الصحابة للبغوي (4/494/1951): [حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري حدثنا يحيى بن زكريا عن عاصم عن أبي عثمان، قال: رأيت يغوث صنما من رصاص يحمل على جمل أجرد فإذا بلغ واديا فبرك فنزل فيه قالوا: قد رضي لكم ربكم هذا الوادي]

— وأيضاً في تاريخ دمشق لابن عساكر (35/471): [قال (يعني: عيسى بن علي؛ وصدر الإسناد: أخبرناه عالياً أبو القاسم بن السمرقندي أخبرنا أبو الحسين بن النقوم أخبرنا عيسى بن علي) وأخبرنا عبد الله بن محمد (هو: البغوي) حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري حدثنا يحيى بن زكريا عن عاصم عن أبي عثمان النهدي قال رأيت يغوث صنما من رصاص يحمل على جمل أجرد فإذا بلغ واديا فبرك فيه قالوا قد رضي لكم ربكم هذا الوادي]

\* ولكن جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (35/472): [قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر عن أبي عثمان الصابوني أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد السليطي أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ حدثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن إبراهيم قالوا: أخبرنا حفص حدثني إبراهيم عن عاصم الأحول عن أبي عثمان أنه قال أسلمت في حياة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد حجبت بيغوث وكان صنما من رصاص لقضاعة، تمثال امرأة، وعبدت ذا الخلصة، ودورت الأدورة: ثم اتتفت الإسلام]

قلت: فيغوث إذاً هو الصنم الذي على صورة امرأة، فلعل سواع هو الذي كان على صورة الأسد، وانقلب الأمر على الواقدي، أو على من رواه عنه؛ ووقوع مثل هذا الانقلاب كثير حتى في صحاح الأخبار، وهو لا يوجب رد الخبر أو تكذيبه بجملة؛ بل إن مجموع الخبرين يكاد يوجب القطع بأن أصنام ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر كانت على صور: رجل، أو امرأة، أو أسد، أو فرس، أو نسر (على صورة الطير المعروف)، بهذا الترتيب أو غيره.

قلت: كلام البقاعي له وجاهته، فلا يجوز رفضه بالكلية؛ فالتشبيه بالحيوانات، والرمز للمعاني بصور الحيوانات، أمر معروف في أدبيات كافة الأمم والشعوب؛ فكون الأصنام المذكورة على تلك الصفة، أو غيرها بترتيب آخر، لا يمنع من كونها في الأصل لرجال صالحين في الأزمنة السحيقة، تماماً كأنه لا يمنع أن تكون للعقول الموجودة في أفلاك سماوية، أو لأرواح علوية ملائكية، أو لبعض المعاني والروحانيات المجردة، أو لغير ذلك.

ومن ناحية أخرى: فتباين الصور: ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير (وقد روي ترتيب غير ذلك: يغوث على صورة امرأة)، **يؤكد بطلان القول** بأن أصل تلك الأصنام (أو بلفظ أدق: الآلهة التي تمثلها تلك الأصنام) كانوا في الأصل رجالاً صالحين من بني آدم، حتى مع تعدد المعاني، لأن المعروف عند الساميين والمصريين القدامى، أنهم في العادة إذا أرادوا إبراز معنى من المعاني كالشجاعة والملك وشدة البطش والصولة لأحد من البشر، أو الآلهة، هو تمثيل ذلك بصنم بعضه أسد وبعضه بشر: الرأس رأس إنسان، والبدن بدن أسد (كتمثال أبي الهول في مصر الذي هو في الأرجح تمثال للملك خوفو، صاحب الهرم الأكبر).

على أن الحفريات والآثار والنقوش الحميرية دلت مؤخراً على أن حمير كانت تعرف (وداً) كذلك، وترتبط بينه وبين إله القمر! فهذه الآلهة، في أزمانها المتأخرة، أكثر ارتباطاً بالكواكب والأفلاك منها برجال صالحين. وإذا ثبت أن نوحاً، عليه الصلاة والسلام كان في شمال العراق (وهو أمر راجح، ولكنه لم يتيقن بعد) فأهل العراق القديم كانوا عبدة نجوم وأفلاك وأرواح علوية، والله أعلم. وهناك قول آخر، مفاده أن نوحاً إنما ارسل إلى شعب يقطن على الساحل الجنوبي من البحر الأسود أيام كان بحيرة عذبة، معزولة عن بحار العالم، قبل نحو خمسة آلاف عام من البعثة النبوية الشريفة. ومن ناحية أخرى فإن الأساطير والخرافات تتطور وتنقح عبر التاريخ، وخاصة إذا اقتبسها شعب من شعب آخر فيتم الجمع والتنسيق بين المقولات بما يوافق البيئة الجديدة، وفي الغالب يتم (تحريف) الأسماء بما يتناسب مع صوتيات وقواعد اللغة الجديدة: فالقضية كلها غارقة في ظلمات التاريخ القديم الدامس، ومطويات الغيب البعيد.

ولكن جاء اعتراض ملفت للنظر في فتح الباري لابن حجر (669/8): [مُحَصَّلُ مَا قِيلَ فِي هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهَا كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَالثَّانِي أَنَّهَا كَانَتْ أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ قُلْتُ بَلْ مَرَجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ وَقِصَّةُ الصَّالِحِينَ كَانَتْ مُبْتَدَأَ عِبَادَةِ قَوْمِ نُوحٍ هَذِهِ الْأَصْنَامُ ثُمَّ تَبِعَهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ كَذَا لَهُمْ وَلَأَبِي ذَرٍّ وَالْكُشْمِيهَنِّي وَنَسَخَ الْعِلْمُ أَيَّ عِلْمٍ تِلْكَ الصُّورِ بِخُصُوصِهَا وَأَخْرَجَ الْفَاكِهِيُّ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ أَوَّلُ مَا حَدَّثَتْ الْأَصْنَامُ عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَكَانَتْ الْأَبْنَاءُ تَبْرُّ الْأَبَاءَ فَمَاتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَزَعَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ لَا يَصْبِرُ عَنْهُ فَاتَّخَذَ مِثْلًا عَلَى صُورَتِهِ فَكَلَّمَا اشْتَاقَ إِلَيْهِ نَظَرَهُ ثُمَّ مَاتَ فَفَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى ذَلِكَ فَمَاتَ الْأَبَاءُ فَقَالَ الْأَبْنَاءُ مَا اتَّخَذَ آبَاؤُنَا هَذِهِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ آلِهَتَهُمْ فَعَبَدُوهَا. وَحَكَى الْوَاقِدِيُّ قَالَ: (كَانَ وَدٌّ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ وَسُوعٌ عَلَى صُورَةِ امْرَأَةٍ وَيَعُوقٌ عَلَى صُورَةِ فَرَسٍ وَنَسْرٌ عَلَى صُورَةِ طَائِرٍ)؛ وَهَذَا شَاذٌ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ وَهُوَ مُقْتَضَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآثَارِ فِي سَبَبِ عِبَادَتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ]

فنقول: أما هذا الاعتراض من الحافظ **فلا مكان له من الإعراب** لأن الواقدي إنما ذكر ما علمه من

**أشكال** تلك الأصنام، سواء كان ذلك من مشاهدته هو: وهو معروف بسعة الرحلة، والوقوف بنفسه على المعالم والآثار، وقراءة النقوش والوثائق التاريخية الأصلية، أو مما وصله رواية ممن شاهدها عياناً من أهل الجاهلية، كأبي عثمان النهدي، مثلاً؛ والعهد قريب: فإن بين الواقدي ومن شهد الجاهلية جيلين أو ثلاثة فقط، كما أنه لا دافع له ولا مصلحة في الكذب، إن كان كذاباً وقد أعاده الله من ذلك، في هذه الجزئية التاريخية الأثرية (الميتة)، عديمة الأهمية سياسياً ودينياً؛ فلا يجوز أن تعارض هذه الرواية **المعتبرة بـ(مقتضى)** روايات خرافية متناقضة منقطعة عن أحداث يزعم أنها وقعت قبل آلاف السنين.

**فالمقطوع به هو إذاً فقط، لا غير:** أن ودأً، وسواعاً، ويغوث ويعوق ونسر كانت آلهة لبعض قبائل العرب؛ وأنها كانت موجودة على عهد النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، معبودة من تلك القبائل التي سمّاها أهل الأخبار؛

**وكل ما عدا ذلك:** ما هي إلا وساوس وأساطير وخرافات، لا يثبت بها شيء، ولا تقوم بها حجة. فمن اعتمد شيئاً من ذلك، وبنى عليه دينه فلا يلومن إلا نفسه؛ وإليك النموذج التالي:

\* يقول عبد القادر بن حبيب الله السندي، وهو **(قزم)** من أقزام الفرقة الوهابية، يعمل مدرساً بمعهد الحرم المكي، في مقاله المعنون: (الضوء القرآني على كتابة العلوي حول النبّهاني)، وهو منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (484/12)، بترقيم الشاملة آلياً)، وأيضاً في أرشيف ملتقى أهل الحديث - 3 (36/475): [قلت: الآية التي ساقها النبّهاني من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نزلت بمكة تصف حال المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وهي اللات، والعزى، والهبل، وغيرها من الأصنام، والآية تحكي قصة حال المشركين، وعن سفاهة عقولهم، وفساد فطرتهم إذ كانوا يدعون من دون الله تعالى هذه الأصنام، وإن كانت عبادتهم، ودعاؤهم **لم تكن مقصودة لها، لأنهم اتخذوها علامات، وشعائر لأصحابها، لكي يتصوروا وجودهم عن طريق هذه الأجسام الحجرية عند الدعاء والاستغاثة بهم،** ولقد أخرج الإمام البخاري في الصحيح، وكذا ابن المنذر وابن مردويه في تفسيرهما عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سواع فكانت لهذيل، وأمّا يغوث فكانت لمراء، ثم لبني عطيف بالجرف عند سبأ، وأمّا يعوق فكانت لهمدان، وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت". قلت فهذه الرواية الصحيحة تزيل **شبهة قوية** تمسك بها النبّهاني، ومن سار على منهجه من **الأقزام** بأن قريشاً كانت تعبد الأصنام الحجرية معتقدة فيها الخير والشر، والأمر ليس كذلك، **وإنما كانت تعبد مسمياتها** كما تشير إليه هذه الرواية. ولقد شرح هذه الرواية الحافظ في الفتح شرحاً مفصلاً، وردّ على الواقدي في زعمه إذ قال: (كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد،

ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة طائر)، ثم قال الحافظ: (وهذا شاذ والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها والله أعلم). قلت: الذي حكم عليه بالشذوذ فهو منكر؛ لأن الواقدي متهم بالكذب فلا عبرة بروايته، وأما أصنام قريش فمنها: اللات، والعزى، والهبل، وأساف، ونائلة، فهي أيضا أسماء لرجال صالحين. قال الإمام ابن الأثير في النهاية: (وفي حديث مجاهد في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ} {كان رجل يلت السويق لهم})، يريد أن أصله (اللات) بالتشديد؛ لأن الصنم سمي باسم الذي كان يلت السويق عند الأصنام، أي يخلطه فحُفِّفَ، وجعل اسما للصنم). وقد أخرج البخاري في الصحيح بإسناد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: {اللات وَالْعُزَّىٰ}؛ (كان اللات رجلا يلت السويق للحاج)، وقال الحافظ في الفتح: (وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس: - ولفظه فيه زيادة - (كان يلت السويق على الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه)، واختلف في اسم هذا الرجل، فروى الفاكهي من طريق مجاهد قال: (كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف، وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيسا، ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبده)، ثم قال الحافظ: (فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس: (أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدوها، وبنوا عليها بيتا)، وقد تقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام). قلت: وهكذا سائر الأصنام التي عبدت من دون الله تعالى كانت هي علامات وشعائر فقط، وإنما العبادة كانت لمسمياتها: كما روى لك حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقد عرف الإمام ابن الأثير - وهو إمام في اللغة - الصنم بقوله: (قد تكرر فيه الصنم والأصنام: وهو ما اتخذ إلها من دون الله تعالى، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن)؛ انتهى النص المنقول بأحرفه، إلا من علامات الترقيم فهي من اجتهادنا.

وأسارع بالقول أولاً بأن وصفنا لهذا الرجل بـ(القزم) إنما هو معاقبة له بمثل ما اعتدى به على خصومه لما وصفهم بـ(الأقزام)؛ ونقول ثانياً: رأيت فساد الدماغ الذي تسببت فيه المقولات المتناقضة المخبولة للفرقة الوهابية، واعتمادها الخرافات والأساطير؟!

فهو ينقل عن الإمام ابن الأثير نصاً: (لأن الصنم سمي باسم الذي كان يلت السويق عند الأصنام)؛ فالقوم إذاً مشركون هالكون، عبدة وثن، الرجل إذاً سادن وثن، مشرك كافر، ولكن القزم العبقري عبد القادر بن حبيب الله السندي ما زال مصرّاً على أنه: (رجل صالح): أنعم بهذا الصلاح وأكرم! وهبنا أنا عذرناه في موضوع (اللات) لأنه اغتر بصحة برواية ابن عباس المختصرة، فصدقها واكتفى بها، وأغلق عينه عما سواها، حتى ضمرت عينه وأصبحت عضواً أثرياً(!!)؛ فمن أين أتى بأن: (العزى، والهبل، وأساف، ونائلة، فهي أيضا أسماء لرجال صالحين):

- (1) - فالعزى، ونائلة، إناث قطعها، فلا يمكن أن تكونا (أسماء لرجال صالحين)؛ لا بأس: فلنضرب عن هذا صفحاً، فلعله إنما أراد: (أسماء لرجال صالحين، ونساء صالحات)، فجاء بالكلام مختصراً؛
- (2) - لم ترد رواية إسلامية عن (هبل) أصلاً؛ ما هو، ومن أين أتى، وإن كانت النقوش في أطلال وحفريات البتراء (Petra) - جنوب الأردن - تشير إلى كونه زوج (مناة)؛ وهناك زعم آخر أنه إله القمر؛ وأما (أساف، ونائلة) فالرواية الأخبارية الخرافية المشهورة المتداولة أنهما عاشقان زنيا في الكعبة، فمسخهما الله تماثيل حجارة: أنعم بهذا الصلاح وأكرم!

وهو مع كل هذا التخبط لا يجد مناصاً من أن يقترب شيئاً ما من الحق يقوله: (وهكذا سائر الأصنام التي عبدت من دون الله تعالى كانت هي علامات وشعائر فقط، وإنما العبادة كانت لمسمياتها)؛ على في هذا التعبير من ركافة لأن الأصنام ليست مجرد (علامات وشعائر)، بل هي أكثر من ذلك، فهي نائبة عن (مسماهها)، أي عن الكائن الإلهي الذي تحمل اسمه مرتبطة به ارتباطاً متيناً كما هو مفصل في صلب البحث.

#### | فصل: نص فتوى ابن باز: (حكم الإسلام في إحياء الآثار)

##### حكم الإسلام في إحياء الآثار

##### إملاء سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه، وبعد:

فقد نشرت بعض الصحف مقالات حول إحياء الآثار والاهتمام بها لبعض الكتاب، ومنهم الأستاذ صالح محمد جمال، وقد رد عليه سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد فأجاد وأفاد وأحسن، أجزل الله مثوبته، ولكن الأستاذ أنور أبا الجدايل هداه الله وألهمه رشده لم يقتنع بهذا الرد أو لم يطلع عليه، فكتب مقالاً في الموضوع نشرته جريدة المدينة بعددها الصادر برقم (5448) وتاريخ 1402/4/22 هـ بعنوان (طريق الهجرتين) قال فيه: (والكلمة المنشورة بجريدة المدينة بالعدد (5433) وتاريخ 1402/4/7 هـ للأستاذ الباحثة عبد القدوس الأنصاري عطفاً على ما قام به الأديب الباحث الأستاذ عبد العزيز الرفاعي من تحقيق للمواقع التي نزل بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الطريق الذي سلكه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، تدفعنا إلى استنهاض همة المسؤولين إلى وضع شواخص تدل عليها، كمثلي خيمتين أدنى ما تكونان إلى خيمتي أم معبد، مع ما يلائم بقية المواقع من ذلك بعد اتخاذ الحيطة اللازمة لمنع أي تجاوز يعطيها صفة التقديس أو التبرك أو الانحراف عن مقتضيات الشرع؛ لأن المقصود هو إيقاف الطلبة والدارسين ومن يشاء من السائحين على ما يريدونه من التعرف على هذا الطريق ومواقعه، هذه لمعرفة ما عاناه الرسول، صلى الله عليه وسلم، في رحلته

السرية المتكتمة هذه من متاعب، وذلك لمجرد أخذ العبرة وحمل النفوس على تحمل مشاق الدعوة إلى الله تأسيساً بما تحمله في ذلك عليه والسلام، على أن تعمل لها طرق فرعية معبدة تخرج من الطريق العام، وتقام بها نزل واستراحات للسائحين، وأن يعنى أيضاً بتسهيل الصعود إلى أماكن تواجده، صلى الله عليه وسلم، بدءاً بغار حراء، ثم ثور، والكراع حيث تعقبه سراقه بن مالك حتى الوصول إلى قباء، وما سبق ذلك من مواقع في مكة المكرمة كدار الأرقم بن أبي الأرقم، والشعب الذي قوطع هو وأهله فيه، وطريق دخوله في فتح مكة، ثم نزوله بالأبطح، وكذا في الحديبية وحنين وبدر، وكذلك مواقعه في المدينة المنورة، ومواقع غزواته، وتواجده في أريافها، ثم طريقه، صلى الله عليه وسلم، إلى خيبر وإلى تبوك، وتواجده فيهما لإعطاء المزيد من الإحاطة والإلمام بجهاد الفد في نشر الدعوة الإسلامية والعمل على التآسي به في ذلك) أ هـ.

كما دعا الدكتور فاروق أخضر في مقاله المنشور في جريدة الجزيرة بعددها رقم (3354) وتاريخ 1402/1/13 هـ إلى تطوير الأماكن الأثرية في المملكة لزيارتها من قبل المسلمين بصفة مستمرة لضمان الدخل بزعمه بعد نفاذ البترول، ومما استدل به: (أن السياحة الدينية في المسيحية في الفاتيكان تعتبر أحد الدخول الرئيسية للاقتصاد الإيطالي، وأن إسرائيل قد قامت ببيع زجاجات فارغة على اليهود في أمريكا على اعتبار أن هذه الزجاجات مليئة بهواء القدس)، كما أشار إلى أنها ستؤدي من الفوائد أيضاً: (في تثبيت العلم بالإسلام عند الأطفال المسلمين... الخ).

ونظراً لما يؤدي إليه إحياء الآثار المتعلقة بالدين من مخاطر تمس العقيدة أحببت إيضاح الحق وتأييد ما كتبه أهل العلم في ذلك، والتعاون معهم على البر والتقوى، والنصح لله ولعباده، وكشف الشبهة وإيضاح الحجة، فأقول:

إن العناية بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقة أو مزعومة بلا حجة يتضح له كيف يتمسح الجهلة بترابها، وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها ويدعو من نسبت إليه، ظناً منهم أن ذلك قربة إلى الله سبحانه، ولحصول الشفاعة وكشف الكربة، ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم، والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتها لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالباً من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط، بل الغالب العكس، ويشاهد العاقل ذلك واضحاً في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء، فكيف إذا قيل لهم: إن هذه آثار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما أن الشيطان لا يفتر في تحين الأوقات المناسبة لإضلال الناس، قال الله تعالى عن الشيطان إنه قال: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ [1]، وقال أيضاً سبحانه عن عدو الله الشيطان: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ



مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [2]، وقد أغوى آدم فأخرجه من الجنة مع أن الله سبحانه وتعالى حذره منه وبين له أنه عدوه؛ كما قال تعالى في سورة طه: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى [3]، ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع السامري حينما وضع لهم من حليهم عجلًا ليعبدوه من دون الله فزين لهم الشيطان عبادته مع ظهور بطلانها، وثبت في جامع الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال، صلى الله عليه وسلم، الله: ((أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم))، شبه قولهم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، بقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فدل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ،

ولعظم جريمة الشرك وخطره في إحباط العمل نرى الخليل عليه السلام يدعو الله له ولبنيه السلامة منه، قال الله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ.. [4] الآية، فإذا خافه الأنبياء والرسل — وهم أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأتقاهم له — فغيرهم أولى وأحرى بأن يخاف عليه ذلك، ويجب تحذيره منه، كما يجب سد الذرائع الموصلة إليه، ومهما عمل أهل الحق من احتياط أو تحفظ فلن يحول ذلك بين الجاهل وبين المفسد المترتبة على تعظيم الآثار؛ لأن الناس يختلفون من حيث الفهم والتأثر والبحث عن الحق اختلافًا كثيرًا، ولذلك عبد قوم نوح عليه السلام وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً مع أن الأصل في تصويرهم هو التذكير بأعمالهم الصالحة للتأسي والاعتداء بهم، لا للغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، ولكن الشيطان أنسى من جاء بعد من صورهم هذا المقصد وزين لهم عبادتهم من دون الله وكان ذلك هو سبب الشرك في بني آدم، روى ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [5].

قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت).

أما التمثيل بما فعله اليهود والنصارى فإن الله جل وعلا أمر بالحدز من طريقهم؛ لأنه طريق ضلال وهلاك، ولا يجوز التشبه بهم في أعمالهم المخالفة لشرعنا، وهم معروفون بالضلال وإتباع الهوى والتحريف لما جاء به أنبيائهم، فلهذا ولغيره من أعمالهم الضالة نهينا عن التشبه بهم وسلوك طريقهم. والحاصل أن المفسد التي ستنشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محققة ولا يحصى كميتها وأنواعها وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها وسد الذرائع إلى ذلك، ومعلوم أن أصحاب النبي، صلى الله

عليه وسلم، ورضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله، وأحب الناس لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأكملهم نصحاً لله ولعباده، ولم يحياوا هذه الآثار، ولم يعظموها، ولم يدعوا إلى إحيائها، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويح النبي، صلى الله عليه وسلم، تحتها أمر بقطعها خوفاً على الناس من الغلو فيها والشرك بها، فشكر له المسلمون ذلك وعدوه من مناقبه رضي الله عنه.

ولو كان إحيائها أو زيارتها أمراً مشروعاً لفعله النبي، صلى الله عليه وسلم، في مكة، وبعد الهجرة، أو أمر بذلك أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه، وسبق أنهم أعلم الناس بشريعة الله وأحبهم لرسوله، صلى الله عليه وسلم، وأنصحهم لله ولعباده، ولم يحفظ عنه، صلى الله عليه وسلم، ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة، أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضاً حين عمرة القضاء ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع، ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة، فعلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر، ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل الشرك نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك، ولعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأخبر عمن يفعل ذلك أنهم شرار الخلق، وقال فيما ثبت عنه في صحيح مسلم رحمه الله عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك))، وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه) زاد الترمذي بإسناد صحيح: (وأن يكتب عليه)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية، واحتج العلماء على ذلك بأدلة لا تحصى كثرة، وذكر منها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه [إعلام الموقعين] تسعة وتسعين دليلاً كلها تدل على وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي، وذكر منها قول الله تعالى: وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ.. [6] الآية، وقوله، صلى الله عليه وسلم: ((لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس))، سداً لذريعة عبادة الشمس من دون الله.

ومنعاً للتشبه بمن فعل ذلك، كما ذكر منها أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شد الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً، والإشراك بها، وحرّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سداً للذريعة.

فالواجب على علماء المسلمين وعلى ولاة أمرهم أن يسلكوا مسلك نبي الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم في هذا الباب وغيره، وأن ينهوا عما نهى عنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن يسدوا الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك والمعاصي والغلو في الأنبياء والأولياء حماية لجناب التوحيد، وسداً لطرق الشرك ووسائله.

والله المستؤل أن يصلح أحوال المسلمين وأن يفقههم في الدين، وأن يوفق علماءهم وولاة أمرهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وأن يوفق قادة المسلمين لتحكيم شريعة الله والحكم بها في كل شئونهم، وأن يسلك بالجميع صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

المصدر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

<http://www.binbaz.org.sa/mat/8584>



إملاءات الشيخ



إملاءات الشيخ

## حكم الإسلام في إحياء الآثار

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، وبعد:

فقد نشرت بعض الصحف مقالات حول إحياء الآثار والاهتمام بها لبعض الكتاب، ومنهم الأستاذ صالح محمد جمال، وقد رد عليه سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد فأجاد وأفاد وأحسن، أجزل الله مثوبته، ولكن الأستاذ أنور أبا الجدايل هداه الله وألهمه رشده لم يقتنع بهذا الرد أو لم يطلع عليه، فكتب مقالاً في الموضوع نشرته جريدة المدينة بعدها الصادر برقم (5448) وتاريخ 22 / 4 / 1402 هـ بعنوان (طريق الهجرتين) قال فيه: (والكلمة المنشورة بجريدة المدينة بالعدد (5433) وتاريخ 7 / 4 / 1402 هـ للأستاذ الباحثة عبد القدوس الأنصاري عطفاً على ما قام به الأديب الباحث الأستاذ عبد العزيز الرفاعي من تحقيق للمواقع التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق الذي سلكه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، تدفعنا إلى استنهاض همة المسؤولين إلى وضع شواخص تدل عليها، كمثال خيمتين أدنى ما تكونان إلى خيمتي أم معبد، مع ما يلائم بقية المواقع من ذلك بعد اتخاذ الحيطة اللازمة لمنع أي تجاوز يعطيها صفة التقديس أو التبرك أو الانحراف عن مقتضيات الشرع؛ لأن المقصود هو إيقاف الطلبة والدارسين ومن يشاء من السائحين على ما يريدونه من التعرف على هذا الطريق ومواقعه، هذه لمعرفة ما عاناه الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلته السرية المتكتمة هذه من متاعب، وذلك لمجرد أخذ العبرة وحمل النفوس على تحمل مشاق الدعوة إلى الله تأسيساً بما تحمله في ذلك عليه والسلام، على أن تعمل لها طرق فرعية معبدة تخرج من الطريق العام، وتقام بها نزل واستراحات للسائحين، وأن يعنى أيضاً بتسهيل الصعود إلى أماكن تواجده صلى الله عليه وسلم بدءً بغار حراء، ثم ثور، والكراع حيث تعقبه سراقة بن مالك حتى الوصول إلى قباء، وما سبق

ذلك من مواقع في مكة المكرمة كدار الأرقم بن أبي الأرقم، والشعب الذي قوطع هو وأهله فيه، وطريق دخوله في فتح مكة، ثم نزوله بالأبطح، وكذا في الحديبية وحنين وبدر، وكذلك مواقعه في المدينة المنورة، ومواقع غزواته، وتواجده في أريافها، ثم طريقه صلى الله عليه وسلم إلى خيبر

الرئيسية  
فتاوى  
صوتيات  
إملاءات  
نور على الدرب  
شجرة التصنيفات  
كتب  
بطاقات  
مسيرة عطاء

جديد الموقع  
بسم الله الرحمن الرحيم

السبت 26 ربيع الثاني  
1434

إحصائيات المواد  
فتاوى ( 4983 )  
الصوتيات ( 257 )  
الإملاءات ( 636 )  
نور على ( 12312 )  
الدرب

المتواجدون الآن ( 323 )

وإلى نبوت، ونواجهه تيهما لإعطاء المزيد من الإحاطة والإيمان بجهاذه القد في سر الدعوة الإسلامية والعمل على التأسى به في ذلك) أ هـ.

كما دعا الدكتور فاروق أخضر في مقاله المنشور في جريدة الجزيرة بعددها رقم (3354) وتاريخ 13 / 1 / 1402 هـ إلى تطوير الأماكن الأثرية في المملكة لزيارتها من قبل المسلمين بصفة مستمرة لضمان الدخل بزعمه بعد نفاذ البترول، ومما استدل به: (أن السياحة الدينية في المسيحية في الفاتيكان تعتبر أحد الدخول الرئيسية للاقتصاد الإيطالي، وأن إسرائيل قد قامت ببيع زجاجات فارغة على اليهود في أمريكا على اعتبار أن هذه الزجاجات مليئة بهواء القدس)، كما أشار إلى أنها ستؤدي من الفوائد أيضاً: (في تثبيت العلم بالإسلام عند الأطفال المسلمين... الخ).

ونظراً لما يؤدي إليه إحياء الآثار المتعلقة بالدين من مخاطر تمس العقيدة أحببت إيضاح الحق وتأييد ما كتبه أهل العلم في ذلك، والتعاون معهم على البر والتقوى، والنصح لله ولعباده، وكشف الشبهة وإيضاح الحجة، فأقول:

إن العناية بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقة أو مزعومة بلا حجة يتضح له كيف يتمسح الجهلة بتربها، وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها ويدعو من نسبت إليه، ظناً منهم أن ذلك قرية إلى الله سبحانه، ولحصول الشفاعة وكشف الكربة، ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم، والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتها لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالباً من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط، بل الغالب العكس، ويشاهد العاقل ذلك واضحاً في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء، فكيف إذا قيل لهم: إن هذه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن الشيطان لا يفتري في تحين الأوقات المناسبة لإضلال الناس، قال الله تعالى عن الشيطان إنه قال: **قَالَ فَبِعَرَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [1]**، وقال أيضاً سبحانه عن عدو الله الشيطان: **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [2]**، وقد أغوى آدم فأخرجه من الجنة مع أن الله سبحانه وتعالى حذره منه وبين له أنه عدوه؛ كما قال تعالى في سورة طه: **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى \* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى [3]**، ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع السامري حينما وضع لهم من حليهم عاجلاً ليعبدوه من دون الله فزين لهم الشيطان عبادته مع ظهور بطلانها، وثبت في جامع الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: **(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات**

أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال صلى الله عليه وسلم الله: ((أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم))، شبه قولهم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، بقول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، فدل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ، ولعظم جريمة الشرك وخطره في إحباط العمل نرى الخليل عليه السلام يدعو الله له ولبنيه السلامة منه، قال الله تعالى: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ..[4]** الآية، فإذا خافه الأنبياء والرسل - وهم أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأتقاهم له - فغيرهم أولى وأحرى بأن يخاف عليه ذلك، ويجب تحذيره منه، كما يجب سد الذرائع الموصلة إليه، ومهما عمل أهل الحق من احتياط أو تحفظ فلن يحول ذلك بين الجاهل وبين المفساد المترتبة على تعظيم الآثار؛ لأن الناس يختلفون من حيث الفهم والتأثر والبحث عن الحق اختلافاً كثيراً، ولذلك عبد قوم نوح عليه السلام وداً وسوعاً ويغوث ويعوق ونسراً مع أن الأصل في تصويرهم هو التذكير بأعمالهم الصالحة للناسي والاعتداء بهم، لا للغلو فيهم وعبادتهم من دون الله، ولكن الشيطان أنسى من جاء بعد من صورهم هذا المقصد وزين لهم عبادتهم من دون الله وكان ذلك هو سبب الشرك في بني آدم، روى ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[5]**.

قال: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبادت).

أما التمثيل بما فعله اليهود والنصارى فإن الله جل وعلا أمر بالحرز من طريقهم؛ لأنه طريق

ضلال وهلاك، ولا يجوز التشبه بهم في أعمالهم المخالفة لشرعنا، وهم معروفون بالضلال وإتباع الهوى والتحريف لما جاء به أنبيائهم، فهذا ولغيره من أعمالهم الضالة نهينا عن التشبه بهم وسلوك طريقهم. والحاصل أن المفساد التي سنتشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محققة ولا يحصى كميتها وأنواعها وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها وسد الذرائع إلى ذلك، ومعلوم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله، وأحب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكملهم نصحاً لله ولعباده، ولم يحيوا هذه الآثار، ولم يعظموها، ولم يدعوا إلى إحيائها، بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويح النبي صلى الله عليه وسلم تحتها أمر بقطعها خوفاً على الناس من الغلو فيها والشرك بها، فشكر له المسلمون ذلك وعدوه من مناقبه رضي الله عنه.

ولو كان إحيائها أو زيارتها أمراً مشروعاً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وبعد الهجرة،

أو أمر بذلك أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه، وسبق أنهم أعلم الناس بشريعة الله وأحبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأنصحهم لله ولعباده، ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة، أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضاً حين عمرة القضاء ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع، ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة، فلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر، ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل الشرك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، ولعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، وأخبر عمن يفعل ذلك أنهم شرار الخلق، وقال فيما ثبت عنه في صحيح مسلم رحمه الله عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك))**، وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: **(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه)** زاد الترمذي بإسناد صحيح: **(وأن يكتب عليه)**، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية، واحتج العلماء على ذلك بأدلة لا تحصى كثرة، وذكر منها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه [إعلام الموقعين] تسعة وتسعين دليلاً كلها تدل على وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي، وذكر منها قول الله تعالى: **وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ** [6] الآية،

وقوله صلى الله عليه وسلم: **((لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس))**، سداً لذريعة عبادة الشمس من دون الله.

ومنعاً للتشبه بمن فعل ذلك، كما ذكر منها أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شد الرحال إليها؛ لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً، والإشراك بها، وحرّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سداً للذريعة.

فالواجب على علماء المسلمين وعلى ولاة أمرهم أن يسلكوا مسلك نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في هذا الباب وغيره، وأن ينهوا عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يسدوا الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك والمعاصي والغلو في الأنبياء والأولياء حماية لجناح التوحيد، وسداً لطرق الشرك ووسائله.

والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين وأن يفقههم في الدين، وأن يوفق علماءهم وولاة أمرهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وأن يوفق قادة المسلمين لتحكيم شريعة الله والحكم بها

في كل شئوهم، وأن يسلك بالجميع صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، صلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

[1] سورة ص الآيتان 82،83.

[2] سورة الأعراف الآيتان 16،17.

[3] سورة طه الآيتان 121،122.

[4] سورة إبراهيم الآيتان 35،36.

[5] سورة نوح الآية 23.

[6] سورة الأنعام الآية 180.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## نهي عن أكل المدينة أن تهدم

(النبي ينهى عن هدم الآثار الجاهلية، وآل سلول يهدمون الآثار الإسلامية)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُهُ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبُهُ:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، (آل عمران؛ 3: 102)؛  
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، (النساء؛ 4: 1)؛  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}، (الأحزاب؛ 33: 70)؛  
«إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

والصلاة والسلام والتبريكات التامة الكاملة على نبينا وإمامنا وحبیب قلوبنا وشفیعنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المخلصين المجاهدين، وهو الأسوة الحسنة، نعم الأسوة، ونعم القدوة.

أَمَّا بَعْدُ: فقد احتدم النقاش، وكثر الجدل مؤخراً حول ما أصاب الآثار الإسلامية من هدم وتخریب، بل وامتھان وتحقیر عندما سوي بعضها بالأرض وأنشأ مكانه مراحض للمسجد الحرام؛ وھا هو نظام آل سعود، الكفري الخبيث، يسعى لإزالة القبة الخضراء المبنية على البيت النبوي الشريف، وطمس بئر ذي طوى، وغيرها؛ مدعوماً بـ(جوقة) من رجالات الفرقة الوهابية، الغلاة المارقين، الذين كانوا، وما زالوا يفتنون بحرمة صيانة وإحياء الآثار الإسلامية.

والحق هو أن الحكم الصحيح بالنسبة للآثار، وبخاصة الإسلامية منها، هو استحباب، بل وجوب، المحافظة عليها، وصيانتها، وإحيائها: كل نوع بحسبه، كما سنبرهن عليه بالأدلة الشرعية التفصيلية في بحثنا هذا: (نهي عن أكل المدينة أن تهدم).

وأهمية هذا البحث لا تقتصر فقط على بيان الحكم الشرعي الصحيح فحسب، وهو أمر مهم خطير؛ بل هو كذلك ضروري لدحر الفتاوى الوهابية، وإظهارها على حقيقتها: تخاليط ووساوس ما هي إلا تعبير عن الإسقاطات والأمراض النفسية، والهوس القبوري الذي تميز به (قراء) الفرقة الوهابية: فليس فيها أثارة من علم، ولا مظهر من تحقيق أو بحث وتدقيق؛ وهذا من البراهين القاطعة ليس فقط على إفلاس الدعوة الوهابية الفكري، بل وعلى ضلالها العقدي؛ ويكشف عن حقيقة هديهم: (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، و(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم)، (يعبدون ويدأبون: يعجبون الناس، وتعجبهم أنفسهم)، فتكون النتيجة الحتمية لرفضهم التدبر والفكر، وعجبهم بالنفس وتزكيتها أنهم: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، و(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)، لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة)؛ وهم الذي الذين أفتى أكابرهم بتكفير من قال أن الأرض تدور حول نفسها، وأن الشمس لا تدور حولها، ناسباً تلك السوأة والفضيحة إلى كتاب الله: (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء)؛ نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الستر والعافية في الدنيا والآخرة.

### **| فصل: (نهى عن آطام المدينة أن تهدم)**

\* أخرج الإمام البيهقي في معرفة السنن والآثار (7/440/10615): [أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ مِينَا قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ هَدْمِ آطَامِ الْمَدِينَةِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا زِينَةُ الْمَدِينَةِ»]

— عبد الرحمن بن أبي الزناد المدني، ثقة، روى عنه الأئمة، ومنهم من هو أسن منه كابن جريج، وأبو خيثمة زهير بن معاوية الجعفي، وموسى بن عقبة، وجمع غفير من المشاهير، أثنى عليه الإمام مالك فقال: (عليك بابن أبي الزناد) عندما سأله موسى بن سلمة عندما قدم المدينة طالباً للعلم: (إني قدمت لأسمع العلم واسمع ممن تأمرني به)، ولكن تغير حفظه عندما نزل بغداد تغيراً كبيراً حتى ذكره بعضهم في الضعفاء. والصحيح ما قلناه أن من سمع منه في المدينة جيد، وهو من أثبت الناس في هشام بن عروة؛ ولخص الحافظ حاله تلخيصاً متوازناً، فقال في التقريب (ج1/ص340/ت3861): [عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني مولى قریش صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيها من السابعة ولي خراج المدينة فحُمد مات سنة أربع وسبعين وله أربع وسبعون سنة (خت م 4)]

— عيسى بن مينا، أبو موسى المدني المقرئ، الشهير بلقب (قالون)، إمام في القراءة، وهو الراوية الأول

والمقدم لإمام القراء نافع المدني، ليس بكثير الحديث، وهو صدوق بلا شك ولا ريب، إذ لم يرد فيه جرح معتبر مطلقاً على شهرته، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه جمع، منهم: الأئمة محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو زرعة الرازي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وحسبك بهم، وموسى بن إسحاق الأنصاري وعلى بن الحسن الهسنجاني، كما هو في الثقات (ج8/ص493/ت14619)؛ وفي الجرح والتعديل (ج6/ص290/ت1609). وأما ما جاء في لسان الميزان (ج4/ص407/ت1246): [عيسى بن مينا قالون المدني المقري صاحب نافع اما في القراءة فثبت واما في الحديث فيكتب حديثه في الجملة سئل احمد بن صالح المصري عن حديثه **فضحك** وقال: (**تكتبون عن كل أحد!**). قلت: روى عن محمد بن جعفر بن أبي كثير وعبد الرحمن بن أبي الزناد وعنه إسماعيل القاضي وأبو زرعة وطائفة؛ **ومات سنة عشرين ومائتين**. انتهى. وذكره ابن حبان في الثقات وقال كنيته أبو موسى روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري وإسماعيل القاضي وقال بن أبي حاتم سمعت علي بن الحسن الهسنجاني يقول كان قالون أصم شديد الصمم وكان ينظر الى شفتي القاري فيرد عليه اللحن والخطاء]، انتهى كلام الحافظ. فاعتبار الذهبي لكلام الإمام الحافظ احمد بن صالح المصري جرحاً فهم خاطئ، فيما أحسب، والله أعلم، وإنما هو تعجب من ذلك الجيل من طلبة الحديث، الملحين، الذين يسألون الناس عن الحديث إلحافاً، فلم يفلت أحد منهم. وأقول: الحمد لله الذي حفظ بهم الذكر، وجزاهم الله خيراً على إلحاحهم وتقصيصهم، وحسبك بأن يكون البخاري، جبل الحفظ وإمام الدنيا، منهم. وقالون مدني مرابط، لا أظنه رأى بغداد أصلاً، فسماعه من عبد الرحمن بن أبي الزناد مدني قديم قطعاً.

— إسماعيل بن إسحاق القاضي، هو: إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، الأزدي الجهضمي، مولا هم، قاضي بغداد، ثقة ثبت، كما جاء في الجرح والتعديل (ج2/ص158/ت531): [إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي روى عن عبد الله بن مسلمة القعنبي وإسماعيل بن أبي أويس وعمرو بن مرزوق وحجاج بن المنهال وعبد الله بن محمد بن أسماء بن أخي جويرية وعيسى بن مينا قالون وسليمان بن حرب كتب إلينا ببعض حديثه وهو ثقة صدوق]؛ وفي الثقات (ج8/ص105/ت12448): [إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم كان على قضاء بغداد يروى عن الأنصاري عن سليمان التيمي روى عنه أهل العراق والغرباء مات آخر سنة ثنتين أو أول سنة ثلاث وثمانين ومائتين]

— موسى بن إسماعيل بن إسحاق القاضي، وربما قال الحاكم: موسى بن إسماعيل بن القاضي، هو: موسى بن إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، أبو عمرو الأزدي الجهضمي، مولا هم؛ قليل الحديث، فلم يشتهر، فهو قطعاً ليس في مرتبة أبيه، آنف الذكر؛ ولا ابن عمه الثقة الثبت العابد إبراهيم بن حماد بن إسحاق، شيخ الطبراني. وصاحبنا هذا من شيوخ الإمام الحاكم، وقد أخرج له في المستدرک مما يدل على وثاقته عنده. والإمام الحاكم، وإن كان فيه بعض تساهل، إلا أنه من أئمة الجرح والتعديل، وهو أدري بشيوخه؛ وقد كانت الرواية أيام الحاكم رواية كتب وأجزاء مكتوبة، وكانوا يتشددون في الاطلاع على أصول الشيوخ المكتوبة، والتأكد من صحتها وقدمها وأصالتها. وروى عنه

جماعة، منهم من الأئمة والنبلاء الكبار: الحافظ الحجة محمد بن أحمد بن محمد بن فارس بن سهل، أبو الفتح بن أبي الفوارس؛ وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الأبهري الفقيه المالكي، رأس المالكية وإمامهم في زمانه؛ وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطبري المقرئ، ثقة، من أعيان الناس ونبلائهم، شيخ الشهود ومتقدمهم، أمّ بالناس في المسجد الحرام أيام الموسم وما تقدم فيه من ليس بقرشي غيره؛ والقاضي الشريف المعدل أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي (وهو من ولد: عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس) صاحب (فوائد العيسوي)، وهو من ثقات شيوخ البيهقي والخطيب وأبي الفوارس؛ وطراد بن محمد بن علي الهاشمي العباسي الزينبي؛ وآخرون. فصاحبنا موسى بن إسماعيل بن القاضي إذا **ثقة**، إن شاء الله تعالى.

فالحديث بهذا الإسناد وحده من الحسن الجيد، الذي يصلح للاحتجاج، وتقوم به الحجة، إن شاء الله تعالى. وهو صحيح قطعاً بالمتابعات الآتية:

**\* المتابعة الأولى:** ما جاء في شرح معاني الآثار (4/194/6324): [حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَهْدِمُوا الْأَطَامَ، فَإِنَّهَا زِينَةُ الْمَدِينَةِ»]

— وطريق ثانية في شرح معاني الآثار (4/194/6325): [حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْفَرَجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُصْعَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ، فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ، مِثْلَهُ]

— أبو خالد يزيد بن سنان بن يزيد القزاز البصري، نزيل مصر؛ وحافظ مصر الشهير أبو محمد سعيد بن أبي مريم الحكم بن محمد بن سالم الجمحي، مولاهم، المصري؛ وأبو الزنباع رَوْحُ بْنُ الْفَرَجِ القطان المصري؛ وقاضي المدينة أبو مصعب أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري الفقيه، كلهم ثقات مشاهير مجمع عليهم، من رجال التقريب؛ ونافع مولى ابن عمر أشهر من أن يسأل عن مثله؛

— عبد العزيز بن محمد بن عبيد (أو: بن أبي عبيد) الدراوردي، الجهني (أو: القضاعي) مولاهم، أحد الأعلام المشاهير، من فقهاء أهل المدينة وساداتهم مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، قيل كان ربما قرأ من كتب الناس فيخطئ؛ احتج به مسلم، وأخرج له البخاري مقروناً وتعليقاً، واحتج به الجمهور.

— فام يبق إلا عبد الله بن نافع، ولد نافع مولى ابن عمر، وهو علة هذا الإسناد بحق، وهو كالمجمع على ضعفه، استنكر له الأئمة بضعة أحاديث، وليس هو بالمترك الساقط، فقد قال يحيى بن معين مرة: (ضعيف)، وقال مرة أخرى: (يكتب حديثه)؛ وقال أبو أحمد بن عدي بعد استعراض جملة من حديثه الكامل في الضعفاء (ج4/ص165/ت984): (وهو ممن يكتب حديثه وإن كان غيره يخالفه فيه)؛ وقد أفادنا أبو أحمد بن عدي بطريق ثالثة للحديث هي:

— قال أبو أحمد بن عدي الكامل في الضعفاء (ج4/ص165/ت984): [حَدَّثَنَا بَنِي مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُصْعَبٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم، نهى عن هدم الأطام وقال إنها من زينة المدينة]

— وهناك طريق رابعة للحديث نجدها الضعفاء الكبير للعقيلي (2/311): [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ أَبِي مَسْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ هَدْمِ أَطَامِ الْمَدِينَةِ، فَإِنَّهَا مِنْ زِينَةِ الْمَدِينَةِ]؛ ثم قال العقيلي على عادته القبيحة في المجازفة: (وَلَا يَتَابَعُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ مِثْلُهُ)؛ فهذه المتابعة الأولى، على ما في إسناده من مقال، متابعة تامة للحديث الرئيس، حديث أبي هريرة، الذي أصبح بذلك مقطوعاً بصحته. ويزداد الحديث قوة، وتزداد صحته ثبوتاً، بالمتابعة الجزئية التالية:

\* المتابعة الثانية: كما هي في مسند البزار [البحر الزخار (12/230/5951)]: [حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ]؛ ولهذه المتابعة طرق كثيرة نسوقها تباعاً:

— وهي في شرح معاني الآثار (4/194/6322): [حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنِ الْعُمَرِيِّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ.

— وفي شرح معاني الآثار (4/194/6323): [حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفُرَوِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ، فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ مِثْلَهُ]

— وفي حديث أبي الفضل الزهري (ص: 441/444): [أَخْبَرَكُم أَبُو الْفَضْلِ الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ شَجَاعٍ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ»]

— وفي تاريخ أصبهان [أخبار أصبهان (1/186)]: [حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْبُدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِصَامٍ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ»]

— وفي سير أعلام النبلاء [ط الحديث (6/397)]: [أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْمِيُّ، أَنْبَأَنَا يُونُسُ بْنُ خَلِيلٍ، أَنْبَأَنَا مَسْعُودُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ الْجَمَّالُ (ح) وَأَنْبَأَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَلَامَةَ عَنْ مَسْعُودٍ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَدَّادُ، أَنْبَأَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ السَّمْسَارُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِصَامٍ، حَدَّثَنَا، وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ)؛ وزعم محقق الطبعة: (موضوع: فيه أحمد بن جعفر السمسار، مشهور بالوضع. وأحمد بن عصام ضعيف والأطم بالضم: بناء مرتفع جمعه أطام)؛ **والناشر**: دار الحديث - القاهرة.

— وفي طبعة أخرى لسير أعلام النبلاء [ط الرسالة (6/307)]: [وقال في الهامش: (خبر باطل، آفته: أحمد بن جعفر السمسار)؛ والطبعة بتحقيق: (مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط)؛ **والناشر**: مؤسسة الرسالة.



— وجاء في تذكرة الحفاظ (ج3/ص1092/ت993) خلال ترجمة أبي نعيم الأصبهاني: [أخبرنا أحمد بن سلامة في كتابه عن مسعود بن أبي منصور (ح) وقرأت على أحمد بن محمد المؤدب أخبرنا بن خليل أخبرنا مسعود أخبرنا أبو علي المقرئ أخبرنا أبو نعيم الحافظ حدثنا أحمد بن جعفر السمسار حدثنا أحمد بن عصام حدثنا وهب بن جرير حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن بن عمر أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نهى عن أطام المدينة أن تهدم]، ثم قال الذهبي: (غريب).

فأقول: أولاً: ما جاء في سير أعلام النبلاء: (عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ) خطأ، بلا ريب، إذ أن وهب بن جرير ما أدرك عبيد الله أصلاً، وكما تشهد الطرق الأخرى؛ وإنما هو: (عبد الله بن عُمَرَ)، وهو الذي يقال له (العمرى)، وهو، هكذا، على الصحيح (عبد الله بن عُمَرَ) في تذكرة الحفاظ.

وثانياً: كلام المحقق لطبعة دار الحديث خطأ مركب، فليس أبو يحيى أحمد بن عصام بن عبد المجيد بن كثير بن أبي عمرة الأنصاري، نزيل أصفهان، المتوفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين، الذي يروي عن وهب بن جرير ومعاذ بن هشام ومؤمل بن إسماعيل وأبي أحمد الزبيري وأبي داود وطبقتهم، ليس من الضعفاء حتى يلج الجمل في سم الخياط، [انظر طبقات أصفهان (ج3/ص40/ت248)]: [وإنما الضعيف هو أحمد بن عصام الموصلي، يروي عن مالك كما هو في لسان الميزان (ج1/ص220/ت686): [أحمد بن عصام الموصلي عن مالك وعنه يوسف بن يعقوب بن زياد الواسطي قال الدارقطني ضعيف] انتهى. وأخرج له في غرائب مالك في ترجمة نافع عن بن عمر رفعه ذكاة الجنين ذكاة أمه وقال تفرد برفعه هذا الشيخ وهو في الموطأ موقوف]؛

وثالثاً: أبو جعفر أحمد بن جعفر السمسار الذي يروي هنا عن أحمد بن عصام الأصبهاني هو الذي جاء في طبقات أصفهان (ج4/ص286/ت671): [أحمد بن جعفر بن معبد، شيخ ثقة، عنده عن أحمد بن عصام وأحمد بن مهدي والأصبهانيين.... إلخ]؛ فالمحقق التبس عليه هذا الثقة، وهو من شيوخ أبي نعيم الثقات الذين أكثر عنهم؛ التبس هذا على محقق الكتاب بأبي الفرج أحمد بن جعفر النسائي، شيخ آخر لأبي نعيم الأصبهاني، مجهول الحال، كما هو في لسان الميزان (ج1/ص144/ت457 - 458)، وقال ابن الفرات، أبو الحسن محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات البغدادي الحافظ: (ليس بثقة)، كما هو في ميزان الاعتدال (1/87)؛ وليس هو أحمد بن جعفر بن عبد الله، الذي اتهمه أبو الحسن علي بن الفضل بن طاهر بن نصر البلخي الحافظ بالوضع، وليس هو أحمد بن جعفر بن عبد الله بن يونس بن عبيد الذي اتهمه أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ بالوضع، فهذان قديمان جداً، ما أدركهما أبو نعيم، (أو هذا، إن كانا نفس الرجل)، والله أعلم.

وقد صرح الإمام أبو نعيم باسم شيخه هكذا: (أحمد بن جعفر بن معبد) في ما ينوف على ستين موضع من (حلية الأولياء)؛ وأما الإمام الخطيب البغدادي، على عادته الحميدة، فقل أن يذكره إلا باسمه ولقبه كاملاً: (أحمد بن جعفر بن معبد السمسار). وأما أحمد بن جعفر النسائي فما أخرج له أبو نعيم إلا باسمه ولقبه هكذا: (أحمد بن جعفر النسائي)، وربما مع الكنية هكذا: (أبو الفرج أحمد بن جعفر النسائي)، مقرونا بغيره في الغالب الأعم.

**رابعاً:** تم تصحيح الخطأ الأول في طبعة دار الرسالة، فلا ذكر هنا لأحمد بن عصام، ولكن الخطأ الثاني بخصوص أحمد بن جعفر السمسار بقي كما هو، وهذا لا يليق بـ(مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)!

وعلى كل حال فمدار الطرق الكثيرة على عبد الله بن عمر العمري، وهو الآفة، إن كانت هناك آفة. والحق أن الفقرة: («نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ») قد ثبتت ثبوتاً لا شك فيه من طرق أخرى، فليس ثمة آفة أو علة هنا، ومتابعة العمري تزيد الخبر قوة ومتانة.

**والحق أيضاً:** أن أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب المدني ليس بالضعيف الساقط، فقد أخرج له مسلم والأربعة، وهو بدون شك أقوى بكثير من عبد الله بن نافع، ولكن أضر به أن أخاه الأكبر عبيد الله في القمة من الاتقان والتثبت، فإذا قورن به عبد الله سقط، وهذا ليس من العدل في شيء: فالواجب هو تقييم الرواة ومقارنتهم بالجيد المتوسط منهم، وليس بالنوادر من أمثال عبيد الله الذين لا يوجد منهم إلا بضعة نفر في العصر الواحد. وقد روى عن عبد الله بن عمر بن حفص الجمهور، ولم يتركه أحد، إلا الإمام يحيى بن سعيد القطان، وتبنى موقفه البخاري، وابن حبان فلم يذكروا غير موقف يحيى بن سعيد القطان. وإليك جملة من أقوال الأئمة كما هي في تهذيب التهذيب (ج5/ص286/ت564): [قال أبو طلحة عن أحمد: (لا بأس به قد روى عنه ولكن ليس مثل أخيه عبيد الله)؛ وقال أبو زرعة الدمشقي عن أحمد: (كان يزيد في الأسانيد ويخالف وكان رجلاً صالحاً)؛ وقال أبو حاتم رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه]؛...؛ [وقال عثمان الدارمي عن بن معين: (صويلح)، وقال بن أبي مريم عن بن معين: (ليس به بأس يكتب حديثه) وقال عبد الله بن علي بن المديني عن أبيه: (ضعيف)؛ وقال عمرو بن علي: (كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه؛ وكان عبد الرحمن يحدث عنه)؛ وقال يعقوب بن شيبة: (ثقة صدوق في حديثه اضطراب)؛ وقال صالح جزرة: (لين مختلط الحديث)؛ وقال النسائي: (ضعيف الحديث)؛ وقال بن عدي: (لا بأس به في رواياته صدوق)؛...؛ [وقال أبو حاتم: (وهو أحب إلي من عبد الله بن نافع يكتب حديثه ولا يحتج به)؛ وقال العجلي: (لا بأس به)؛ وقال بن حبان على عادته السيئة في المبالغة: (كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن الضبط فاستحق الترك، مات سنة 173)؛ وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري: (ذاهب لا أروي عنه شيئاً)؛ وقال البخاري في التاريخ: (كان يحيى بن سعيد يضعفه)؛ وقال أبو أحمد الحاكم: (ليس بالقوي عندهم)؛ وقال يعقوب بن سفيان عن أحمد بن يونس: (لو رأيت هيئته لعرفت أنه ثقة)؛ وقال المروزي: (ذكره أحمد فلم يرضه)؛ وقال بن عمار الموصلي: (لم يتركه أحد إلا يحيى بن سعيد وزعموا أنه أخذ كتب عبيد الله فرواها)؛ وأورد له يعقوب بن شيبة في مسنده حديثاً فقال: (هذا حديث حسن الإسناد مدني)، وقال في موضع آخر: (هو رجل صالح مذكور بالعلم والصلاح وفي حديثه بعض الضعف والاضطراب ويزيد في الأسانيد كثيراً)؛ وقال الخليلي: (ثقة غير أن الحفاظ لم يرضوا حفظه)؛ وقول بن معين فيه أنه صويلح إنما حكاه عنه إسحاق الكوسج وأما عثمان الدارمي فقال عن بن معين: (صالح ثقة)؛

والخلاصة أن يحيى بن سعيد القطان هو فقط الذي تركه، وتبعه علي بن المديني، ثم البخاري، وأما النسائي فهو من المتشددین على كل حال، وابن حبان متساهل في التوثيق والجرح على حد سواء لا يعتمد عليه؛ وانحاز الحافظ إليهم فقال في تقريب التهذيب (ج1/ص314/ت3489): [عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العمري المدني ضعيف عابد من السابعة مات سنة إحدى وسبعين وقيل بعدها (م4)]:

أما أنا فاستخير الله وأقول: (صدوق عابد، في حديثه بعض لين واضطراب، يكتب حديثه ولا يحتج به إذا انفرد)؛ والله أعلم وأحكم.

ومهما يكن من أمر فإن حديثنا الرئيس، حديث أبي هريرة، حسن لذاته، صحيح قطعاً بمجموع متابعاته وطرقه.

وحتى الألباني، الذي لم يطلع على حديث أبي هريرة الرئيس، أقر بأن الفقرة الأولى، وهي: («نَهَى عَنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُهْدَمَ») قابلة للتحسين، عندما قال نصاً: [وأما شطره الأول؛ فمن الممكن تحسينه بمجموع الطريقين الضعيفين عن نافع، ولعل هذا هو وجه سكوت الحافظ على الحديث في "الفتح" (71/4) وتحسينه إياه فيما تقدم؛ وإلا فإني استبعد جداً أن يحسن إسناداً تفرد به العمري الذي جزم هو نفسه بتضعيفه كما تقدم، فضلاً عن غيره! والله أعلم]، وذلك عند دراسته لحديث نافع في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (10/458/4859): [(لا تهدموا الآطام؛ فإنها زينة المدينة): منكر]

والواجب الآن، على كل حال، هو نقل الحديث من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة، والحمد لله رب العالمين.

والآطام: جمع «أطم»: وهي قلاع وحصون كانت بالمدينة في العصر الجاهلي، وهي كثيرة. وكانت هناك آطام ليهور بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريضة بقيت - والله أعلم - مهجورة خالية بعد جلاء أصحابه، كما كان حال بني قينقاع، وبني النضير، أو إبادتهم كبني قريضة؛ ولعل هذه الآطام المهجورة هي المقصود الأولي في الحديث لتبقى أثراً وشاهداً حسيّاً للتاريخ.

وأما قوله: (إِنَّهَا زِينَةُ الْمَدِينَةِ) فليس هو من باب تعليل الحكم بحيث يدور الحكم معه وجوداً وعدماً، وإنما هو من باب ذكر المقصد أو الحكمة، أو بعض الحكمة، من الحكم؛ وهو ما يساعد على إحسان فهم الحكم، وإحسان تطبيقه.

كما ينبغي أن يلاحظ أن الزينة المقصودة ليست بالضرورة فقط جمال الشكل أو الصورة للناظرين؛ بل قد تكون "زينة" معنوية كأطلال قصر دمره عدو غازي بالنار: المنظر قبيح، تنفر منه النفوس، ولكن (الأثر) يشد إليه الرحال لاستحضار الواقعة التاريخية في الذهن، واستنباط العبر والدروس منها. فالأثر



قبيح في ذاته للناظر، ولكنه "زينة" للبلدة التي يقع فيها لأنها تصبح محط الرحال ومقصد المؤرخين والسياح لمشاهدة الأثر، ودراسة تاريخه.

### **| فصل: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ}**

وقد أمر الله، جل جلاله، وسما مقامه، بالسير في الأرض ليرى الإنسان ما أصاب القرون الخالية من الدمار والزوال لتكذيبهم ومعصيتهم:

\* فقال، جل جلاله، وسما مقامه: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، (الأنعام؛ 6: 11)؛

\* وقال، جل جلاله، وتقدست أسماؤه: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، (يوسف؛ 12: 109)؛

\* وقال، تعالى ذكره: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}، (النحل؛ 16: 36)؛

\* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}، (النمل؛ 27: 69)؛

\* وقال، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، (الروم 30: 9)؛

\* وقال، تعالى ذكره: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}، (الروم 30: 42)؛

\* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}، (فاطر 35: 44)؛

\* وقال، تعالى ذكره: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ}، (غافر 40: 21)؛

\* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، (غافر 40: 82)؛

**كل ذلك في القرآن المكي، وأيضاً في المدني:**

\* فقد قال، جل جلاله، وسما مقامه: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}، (الحج: 22: 46)؛  
 \* وقال، تعالى ذكره: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}، (محمد 47: 10)؛  
 \* وقال، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ}، (آل عمران 3: 137)؛

ومن المحال الممتنع أن يأمر الله بالسير في الأرض والاعتبار بمصارع الأمم إلا:  
**أولاً:** إذا كانت لهم أطلال يحافظ عليها، وآثار تدرس؛  
**وثانياً:** إذا كانت الآثار والأطلال حجة تاريخية قاطعة، لا يمكن الطعن فيها؛

وهذه المعاني تؤكد آيات بينات، مرفوعات مطهرات، من كتاب الله العزيز، من مثل:  
 \* وقال، تعالى ذكره: {وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ}، (إبراهيم 14: 45)؛  
 \* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى}، (طه 20: 128)؛  
 \* وقال، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ}، (السجدة 32: 26)؛  
 \* وقال، تعالى ذكره: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}، (القصص 28: 58)؛  
 \* وقال، جل جلاله، وسما مقامه: {وَعَادًا وَثُمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}، (العنكبوت 29: 38)؛  
 \* وقال، تعالى ذكره: {تَدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}، (الأحقاف 46: 25)؛

ولا يمكن أن تبقى هذه موجودة صالحة للاعتبار إلا إذا تمت المحافظة عليها، وأقل مراتب المحافظة هو تركها وشأنها: أما الهدم والإزالة فلا، وألف لا!

### **| فصل: (التبرك بآثار الأنبياء)**

الحديث الشريف آنف الذكر، وهو صحيح ثابت بدون أدنى شبهة، ينبغي أن يتخذ أصلاً في العناية بالآثار عامة، والآثار الإسلامية وآثار الأنبياء خاصة، والمحافظة عليها، لا سيما إذا أضيف إلى حديث

عتبان بن مالك الشهير لأن الصحيح أن أي مكان يصلي فيه خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يستحق أن يتخذ مسجداً كما جاء بيانه جلياً في حديث عتبان، المشهور، الصحيح؛ وإليك الحديث بطوله، لما فيه من الأحكام والحكم:

\* كما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج1/ص164/ح415): [حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي، وَأَنَا أَصْلِي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَأَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ» قَالَ: فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفْنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ، قَالَ: فَأَبَى فِي الْبَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّحَيْشِ (أَوْ ابْنُ الدُّحَشَنِ)؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»؛ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ الْحَصِينَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ - وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ - وَهُوَ مِنْ سَرَاتِهِمْ، عَنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ: «فَصَدَّقَهُ بِذَلِكَ»؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ج1/ص237/ح636، ج5/ص2063/ح5086؛ ومسلم في صحيحه ج1/ص456/ح33؛ والنسائي في سننه ج2/ص80/ح788، ج3/ص65/ح1327؛ وابن حبان في صحيحه ج1/ص460/ح223، ج4/ص492/ح1612، ج5/ص432/ح2075؛ وابن خزيمة في صحيحه ج3/ص78/ح1653، ج3/ص87/ح1673؛ وابن ماجه في سننه ج1/ص249/ح754؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج4/ص43/ح16527، ج4/ص44/ح16528، ج4/ص44/ح16529، ج5/ص450/ح23823؛ ومالك في الموطأ ج1/ص172/ح415؛ والطبراني في معجمه الكبير ج18/ص29/ح49، ج18/ص30/ح50، ج18/ص31/ح52؛ والنسائي في سننه الكبرى ج1/ص282/ح863؛ وابن أبي عاصم عمرو الشيباني في الأحاد والمثاني ج3/ص472/ح1931؛ والبيهقي في سننه الكبرى ج3/ص53/ح4704، ج3/ص71/ح4804، ج3/ص87/ح4893، ج3/ص88/ح4895، ج10/ص124/ح20179؛ والشافعي في مسنده ج1/ص53؛ وغيرهم؛

— وقد سمعه أنس بن مالك من محمود بن الربيع الأنصاري فأعجبه، ثم لقي عتبان بن مالك حياً فسمعه منه، ولم يكتف بالسماع والحفظ وهو والله الحافظ الثقة، بل أمر ولده بكتابته؛ كما أخرجه

## نفس عن أظام المدينة أن تعدم

الإمام مسلم في صحيحه (ج1/ص62/ح33): [حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا سليمان يعني بن المغيرة قال حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت حديث بلغني عنك قال أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأأخذته مصلي)؛ قال فأتى النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن شاء الله من أصحابه فدخل، وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم ثم أسندوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دحشم قالوا ودوا أنه دعا عليه فهلك وودوا أنه أصابه شر فقضى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الصلاة وقال أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قالوا إنه يقول ذلك وما هو في قلبه قال لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه قال أنس فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج3/ص135/ح12407؛ والطبراني في معجمه الكبير ج18/ص26/ح43، ج18/ص26/ح44؛ وأبو يعلى في مسنده ج3/ص75/ح1505، ج3/ص76/ح1506، ج3/ص78/ح1507؛ وغيرهم.

فالحديث، حديث عتبان، صحيح ثابت بلا شبهة، بل هو قطعي الثبوت، ملحق باليقيني المتواتر؛ وهذا يثبت أن مقولة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضوان الله وسلامه عليه، المنقولة عنه بأصح الأسانيد: (إِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَسْبَابِهِ هَذِهِ يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهَا كُنَائِسَ وَبَيَعًا)، إنما هي خطأ محض، ووهم مجرد، ومذهب شاذ انفرد به عن جمهور الصحابة (كما برهنا عليه في موضع آخر): زلة شنعاء من زلات العلماء، التي كان هو نفسه، أعني: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضوان الله وسلامه عليه، يتخوفها عندما قال: (إنما يهدم الإسلام: زلة العالم، وجدل المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين)!

والمذهب الصحيح في آثار الأنبياء بخلاف ذلك كما حرره الإمام الحجة أبو محمد علي بن حزم حيث قال في المحلى بالآثار (6/265): [قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَأَمَّا مَنْ نَذَرَ الْمَشْيَ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَوْ إِلَى مَكَانٍ سَمَّاهُ مِنَ الْحَرَمِ، أَوْ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ، فَإِنَّهُ إِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ رُكُوبًا، أَوْ نُهْوضًا إِلَى مَكَّةَ، أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْحَرَمِ لَزِمَهُ؛ لِأَنَّهُ نَذَرُ طَاعَةٍ، وَالْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي "كِتَابِ الْحَجِّ" فَأَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ. وَكَذَلِكَ إِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ رُكُوبًا، أَوْ نُهْوضًا، أَوْ رُكُوبًا إِلَى الْمَدِينَةِ، لَزِمَهُ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ إِلَى أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فَإِنْ نَذَرَ مَشْيًا، أَوْ رُكُوبًا، أَوْ اعْتِكَافًا، أَوْ نُهْوضًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَزِمَهُ. فَإِنْ نَذَرَ صَلَاةً فِيهِ كَانَ مُخَيَّرًا بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا - وَهُوَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَى مَكَّةَ فَيُصَلِّيَ فِيهَا وَيُجْزِيَهُ. وَالثَّانِي - أَنْ يَنْهَضَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ]

\* وأيضاً قال أبو محمد علي بن حزم في المحلى (ج4/ص44 — 45/م399): [مسألة: ولا تجزئ الصلاة في مسجد أحدث مباحة أو ضاراً على مسجد آخر، إذا كان أهله يسمعون نداء المسجد الأول ولا حرج

عليهم في قصده، والواجب هدمه، وهدم كل مسجد أحدث لينفرد فيه الناس كالرهبان، أو يقصدها أهل الجهل طلبا لفضلها، وليست عندها آثار لنبي من الانبياء عليهم السلام]

\* وأيضاً قال، جل جلاله، وسما مقامه: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ، وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ } (البقرة: 2: 248)؛ وقصة التابوت وتبركهم به، استنصارهم به في الحروب معروفة مشهورة فقد جاء في تفسير الطبري [جامع البيان ط هجر (4/459)]: [وَهُوَ التَّابُوتُ الَّذِي كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا لَقُوا عَدُوًّا لَهُمْ قَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ وَزَحَفُوا مَعَهُ، فَلَا يَقُومُ لَهُمْ مَعَهُ عَدُوٌّ وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ نَّوَاهُمْ، حَتَّى مَنَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَكَثُرَ اخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ، حَتَّى سَلَبَهُمْ آخِرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَنْ يُرَدَّ إِلَيْهِمْ آخِرَ الْأَبَدِ. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي سَبَبِ مَجِيءِ التَّابُوتِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ مَجِيئَهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَةً لِّصِدْقِ نَبِيِّهِمْ شَمُوِيلَ عَلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا } (البقرة: 247) وَهَلْ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ سَلَبُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَرَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِينَ جَعَلَ مَجِيئَهُ آيَةً لِّمَلِكِ طَالُوتَ، أَوْ لَمْ يَكُونُوا سَلَبُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ ابْتَدَأَهُمْ بِهِ ابْتِدَاءً؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ عَهْدِ مُوسَى، وَهَارُونَ يَتَوَارَثُونَهُ حَتَّى سَلَبَهُمْ إِيَّاهُ مُلُوكٌ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ، ثُمَّ رَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً لِّمَلِكِ طَالُوتَ وَقَالَ فِي سَبَبِ رَدِّهِ عَلَيْهِمْ مَا أَنَا ذَاكِرُهُ... إلخ]، ثم أفاض، رحمه الله، في تفاصيل لا تعيننا ها هنا. ولا نشك أن أفعالهم تلك (إِذَا لَقُوا عَدُوًّا لَهُمْ قَدَّمُوهُ أَمَامَهُمْ وَزَحَفُوا مَعَهُ) كانت وفق شريعة منسوخة ولا بد، إلا إذا ثبت استثنائها كلياً أو جزئياً في شرعنا، وقد ثبت بعض ذلك كما سلف؛ وإنما العبرة في خبر الله الصادق بارتباط البركة باحتوائه للبقية الباقية {مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ }، والأخبار لا تنسخ: فهذا يصلح للاستئناس، في أقل تقدير؛

### إفصل: ما جاء في (مَعَالِيقِ الْكُفْبَةِ وَقَرْنِي الْكَبْشِ)

\* جاء في أخبار مكة للأزرقي (1/223): [(في مَعَالِيقِ الْكُفْبَةِ وَقَرْنِي الْكَبْشِ وَمَنْ عَلَّقَ تِلْكَ الْمَعَالِيقَ): حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَجَبِيِّ، عَنْ خَالِهِ مُسَافِعِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، أَنَّ امْرَأَةً، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَلَدَتْ عَامَّتَهُمْ قَالَتْ لِعُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ: لِمَ دَعَاكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَيْتِ؟ قَالَ: قَالَ لِي: «إِنِّي رَأَيْتُ قَرْنِي الْكَبْشِ فِي الْبَيْتِ، فَانْسَيْتُ أَنْ أَمُرَكَ أَنْ تَحْمَرَّهَا، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ يَشْغَلُ مُصَلِّيًا». قَالَ عُثْمَانُ: وَهُوَ الْكَبْشُ الَّذِي فُدي بِهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)؛

\* وجاء في أخبار مكة للأزرقي (1/224): [(في مَعَالِيقِ الْكُفْبَةِ وَقَرْنِي الْكَبْشِ وَمَنْ عَلَّقَ تِلْكَ الْمَعَالِيقَ): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَأَلْتُهُ: هَلْ كَانَ فِي الْكُفْبَةِ قَرْنَا كَبْشٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، كَانَ فِيهَا. قُلْتُ: رَأَيْتَهُمَا؟ قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: أَبِي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَأَاهُمَا) وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَجُوزٍ قَالَتْ: (رَأَيْتُهُمَا وَبِهِمَا مَغْرَةٌ)؛



\* وجاء في أخبار مكة للأزرقي (1/224): [(في معاليق الكعبة وقزني الكبش ومن علق تلك المعاليق): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (كَانَ قَرْنَا الْكَبْشِ فِي الْكُعْبَةِ، فَلَمَّا هَدَمَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَكَشَفَهَا، وَجَدُوهُمَا فِي جِدَارِ الْكُعْبَةِ مَطْلِيَيْنِ بِمَشْقٍ. قَالَ: فَتَنَاوَلَهُمَا، فَلَمَّا مَسَّهُمَا هَمَدَا مِنَ الْأَيْدِي)]

قلت: وروي أيضاً أنهما (أي: قرني الكبش) احترقا في حريق الكعبة عندما ضربها الملعون المجرم الحجاج بن يوسف الثقفي بالمنجنيق أيام عبد الله بن الزبير. وعلى كل حال: فهذه عناية فائقة بقرني الكبش، وهو من آثار الأنبياء؛

\* وجاء في أخبار مكة للأزرقي (1/224): [(في معاليق الكعبة وقزني الكبش ومن علق تلك المعاليق): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، عَنْ أَشْيَاخِهِ، قَالَ: (لَمَّا فَتَحَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدَائِنَ كِسْرَى، كَانَ مِمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ هِلَالَانِ، فَبَعَثَ بِهِمَا فَعَلَّقَهُمَا فِي الْكُعْبَةِ. وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بِالشَّمْسَتَيْنِ وَقَدَحَيْنِ مِنْ قَوَارِيرَ، وَضَرَبَ عَلَى الْأُسْطُوَانَةِ الْوُسْطَى الذَّهَبَ مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا صَفَائِحَ، وَبَعَثَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِقَدَحَيْنِ، وَبَعَثَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بِالسَّرِيرِ الزَّيْنِيِّ وَبِهَلَالَيْنِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمَا اسْمَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَةٍ. قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ: أَخْبَرَنِي إِسْحَاقُ بْنُ سَلَمَةَ الصَّائِغُ أَنَّهُ قَرَأَ حِينَ خُلِقَ الْكُعْبَةُ. وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحَبِيبَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَبَعَثَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالصَّحْفَةِ الْخَضْرَاءِ، وَبَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ بِالْقَارُورَةِ الْفَرَعُونِيَّةِ، كُلُّ هَذَا مُعْلَقٌ فِي الْبَيْتِ، وَكَانَ هَارُونُ الرَّشِيدُ قَدْ وَضَعَ فِي الْكُعْبَةِ قَصَبَتَيْنِ عَلَّقَهُمَا مَعَ الْمَعَالِيقِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ، وَفِيهِمَا بَيْعَةُ مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْهِ، وَمَا عَقَدَ لَهُمَا وَمَا أَخَذَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْعُهُودِ، وَبَعَثَ الْأَمَامُونَ بِالْيَاقُوتَةِ الَّتِي تَعْلَقُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي وَجْهِ الْكُعْبَةِ فِي الْمَوْسِمِ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَبَعَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ بِشَمْسَةٍ عَمِلَهَا مِنْ ذَهَبٍ، مُكَلَّلَةً بِالذَّرِّ الْفَاخِرِ وَالْيَاقُوتِ الرَّفِيعِ وَالزَّبَرْجَدِ، بِسِلْسِلَةٍ مِنْ ذَهَبٍ تَعْلَقُ فِي وَجْهِ الْكُعْبَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ)؛

\* وجاء في أخبار مكة للأزرقي (1/225): [(في معاليق الكعبة وقزني الكبش ومن علق تلك المعاليق): حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ، قَالَ: (أَسْلَمَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ التُّبَّتِ، وَكَانَ لَهُ صَنْمٌ مِنْ ذَهَبٍ يَعْبُدُهُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الصَّنَمِ تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ مُكَلَّلٌ بِخَرَزِ الْجَوْهَرِ وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ وَالزَّبَرْجَدِ، وَكَانَ عَلَى سَرِيرٍ مُرَبَّعٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى قَوَائِمَ، وَالسَّرِيرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَكَانَ عَلَى السَّرِيرِ فَرْشُهُ الدِّبَاجُ، وَعَلَى أَطْرَافِ الْفَرْشِ أَرْزَارٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ مُرَخَّاةٍ، وَالْأَرْزَارُ عَلَى قَدْرِ الْكَرَّيْنِ فِي وَجْهِ السَّرِيرِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ ذَلِكَ الْمَلِكُ، أَهْدَى السَّرِيرَ وَالصَّنَمَ إِلَى الْكُعْبَةِ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَمَامُونَ هَدِيَّةً لِلْكُعْبَةِ، وَالْمَامُونَ يَوْمئِذٍ بِمَرَوْ مِنْ خُرَاسَانَ، فَبَعَثَ بِهِ الْأَمَامُونَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ بِوَاسِطٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْعَثَ بِهِ إِلَى الْكُعْبَةِ)، فَبَعَثَ بِهِ مَعَ نَصِيرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَعْجَمِيِّ - رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ مِنَ الْقَوَادِ - فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ، وَحَجَّ بِالنَّاسِ تِلْكَ السَّنَةَ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ

مُوسَى، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ مِنْ مَنَى نَصَبَ نَصِيرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّرِيرَ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْفَرْشَةِ وَالصَّنَمِ، فِي وَسْطِ رَحْبَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَنْصُوبًا، وَمَعَهُمْ لَوْحٌ مِنْ فِضَّةٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا سَرِيرُ فُلَانٍ بْنِ فُلَانٍ مَلِكِ التُّبَّتِ أَسْلَمَ وَبَعَثَ بِهَذَا السَّرِيرِ هَدِيَّةً إِلَى الْكُغْبَةِ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي هَدَاهُ لِلْإِسْلَامِ. وَكَانَ يَقِفُ عَلَى السَّرِيرِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ أُخْتِ نَصِيرِ الْأَعْجَمِيِّ، فَيَقْرَأُ عَلَى النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، وَيَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي هَدَى مَلِكَ التُّبَّتِ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى الْحَجَّةِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِقَبْضِهِ، فَجَعَلُوهُ فِي خِرَانَةِ الْكُغْبَةِ، فِي دَارِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ، حَتَّى اسْتَخْلَفَ حَمْدُونُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ يَزِيدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْظَلَةَ الْمُخْزُومِيِّ عَلَى مَكَّةَ، وَخَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ فَخَالَفَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيِّ إِلَى مَكَّةَ مُقْبِلًا مِنَ الْيَمَنِ، فَسَمِعَ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَخَنَدَقَ عَلَى مَكَّةَ وَسَكَّهَا بِالْبُنْيَانِ مِنْ أَنْقَابِهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى الْحَجَّةِ، فَأَخَذَ السَّرِيرَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، فَاسْتَعَانَ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ، وَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُخْلِفُهُ لَهَا، وَضَرَبَهُ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ. وَذَلِكَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمِائَتَيْنِ، فَبَقِيَ التَّاجُ وَاللَّوْحُ فِي الْكُغْبَةِ إِلَى الْيَوْمِ)]

\* وجاء في أخبار مكة للأزرقي (1/227): [نُسَخَةُ مَا فِي اللَّوْحِ الَّذِي فِي جَوْفِ الْكُغْبَةِ الَّذِي كَانَ مَعَ السَّرِيرِ]: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمَأْمُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ ذَا الرِّيَاسَتَيْنِ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ بِالْبُعْثَةِ بِهَذَا السَّرِيرِ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ وَهُوَ سَرِيرُ الْأَصْبَهْدِ كَابُلُ شَاهٍ بَعْدَ مَهْرَابِ بَنِي دُومِي كَابُلُ شَاهٍ، الْمَحْمُولُ تَاجُهُ إِلَى مَكَّةَ الْمَخْزُونِ سَرِيرُهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، بِالْمَشْرِقِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَمِنْ نَبَأِ أَمْرِ الْأَصْبَهْدِ، أَنَّهُ أَضْعَفَ عَلَيْهِ الْخَرَجَ وَالْفِدْيَةَ عَنْ بِلَادِ كَابُلٍ وَالْقَنْدَهَارِ، وَنُصِبَتِ الْمَنَابِرُ وَبُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِلَّهِ مُسْتَسْلِمًا، وَخَرَجَ الْأَصْبَهْدُ كَابُلُ شَاهٍ مُسْتَسْلِمًا حَتَّى حَاوَلَ حُدُودَ كَابُلٍ وَأَرْضَ الطَّخَارِسْتَانَ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ صَاحِبِ جَبَلِ خُرَاسَانَ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ عَلَى مَا سَمَّاهُ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ مِنْ خُطَّةِ الذِّلِّ لِلدِّينِ وَالْإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَقَامَ الْبَرِيدُ مِنَ الْقَنْدَهَارِ إِلَى الْبَامِيَانِ وَأَضَافَ بِلَادَ كَابُلٍ وَالْقَنْدَهَارِ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ، وَأَذْعَنَ لِلْوَالِي مَعَ الْجُنُودِ مُقِيمًا حُدُودَ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ عَامِلًا بِأَحْكَامِهِ فِيهِ وَفِي مَنْ اخْتَارَ الْإِسْلَامَ مَعَهُ، وَأَقَامَ عَلَى الْعَهْدِ فِي مَمْلَكَتِهِ، وَسَيَّرَ الْإِمَامُ أَكْرَمَهُ اللَّهُ الرِّيَاسَاتِ الْخَضِرَ عَلَى يَدَيْ ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ إِلَى الْقَشْمِيرِ، وَفِي نَاحِيَةِ التُّبَّتِ مَا سَيَّرَهَا، فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى بُوْخَانَ وَرَاوَرَ بِلَادِ بَلُورِ صَاحِبِ جَبَلِ خَاقَانَ وَجَبَلِ التُّبَّتِ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ فُرْسَانَ التُّبَّتِ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرِيرِ مَا طَلَبَ عَلَى بَارَابٍ وَشَاوَعَرَ وَزَاوَلَ وَبِلَادِ أَطْرَانَ، وَقَتَلَ قَائِدَ الثُّغْرِ وَسَبَى أَوْلَادَ جَبْغُويِهِ الْحَزَلَجِيِّ مَعَ خَاتُونَاتِهِ، بَعْدَ إِحْجَارِهِ إِيَّاهُ بِبِلَادِ كِيْمَاكِ، وَبَعْدَ غَلَبِ مَا غَلَبَ عَلَى مَدِينَةِ كَاسَانَ وَبَعَثَ بِمِفَاتِيحِ فُرْغَانَةِ إِلَى الْعَرَبِ، فَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّطُورَ فَلْيُعِنْ عَلَى تَعْزِيزِ الْإِسْلَامِ وَتَذْلِيلِ الشُّرْكِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَإِنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ تَعْزِيزُ الدِّينِ إِذَا قَامَتْ بِهِ الْأَيْمَةُ، وَمَنْ أَرَادَ الزُّهْدَ وَالْجِهَادَ وَأَبْوَابَ الْبِرِّ وَالْمَعَاوَنَةِ عَلَى مَا يُكْسِبُ الْإِسْلَامَ كَهَذَا الْعَزِّ وَهَذِهِ الْمَفَاحِرِ، وَقَدْ نَسَخْنَا مَا كَانَ حِفْرَ عَلَى صَفِيحَةِ تَاجِ مَهْرَبِ بَنِي دُومِي كَابُلُ شَاهٍ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً عَلَى هَذَا اللَّوْحِ وَمَنْ نَصَرَ دِينَ اللَّهِ نَصَرَهُ اللَّهُ، لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج: 40] وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ صَنُو ذِي الرِّيَاسَتَيْنِ فِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ]

قلت: سبحان الله: (صنم) يهدى إلى الكعبة، ويعرض على الحجيج، بين الصفا والمروة، ثلاثة أيام: يراه الخواص والعوام، ولا ينكر أحد. سيقول الوهابيون: (لأن الغباوة والبلادة قد أصابت الجميع من أمير المؤمنين، مروراً بوزرائه، فعلماء المسلمين في الحرمين، وعامتهم؛ أما نحن - معشر الوهابيين - فنحن الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، أهل العقيدة الصحيحة، والعقول السليمة: وغيرنا مشرك كافر، أو على التقدير البعيد: مبتدع هالك)!!!

### **الفصل: فعل نبي الله الخاتم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بمدائن صالح، ومدين**

والمحافظة على الآثار هو ما فعله نبي الله الخاتم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بمدائن صالح، فحتى لما وجد بعض أصحابه سبق إلى بئر ثمود المشؤومة الملعونة وقد استقوا من ماءها، وعجنوا عجينة منها، أمرهم بإهراق الماء، وطرح العجين، أو إطعامه الدواب (وهذا دليل على أن خبثها معنوي، وليس هو ضرر حسي؛ وربما كان ذلك لحكمة المحافظة على البئر فلا تنضب لتبقى أثراً تاريخياً)؛ **وما أمر قط بتغيير**

### **البئر، ولا بهدمها:**

\* فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه (ج3/ص1236/ح3198): [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْكِينٍ أَبُو الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ بْنِ حَيَّانَ أَبُو زَكْرِيَاءَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بَيْرِهَا، وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا»، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ، وَيَهْرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ»؛ ثم قال الإمام البخاري: (وَيُرْوَى عَنْ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبِدٍ، وَأَبِي الشُّمُوسِ: أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ بِالْقَاءِ الطَّعَامِ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اعْتَجَنَ بِمَائِهِ»).

— وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه (ج3/ص1237/ح3199): [حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَرْضَ ثَمُودَ، الْحِجْرَ، فَاسْتَقُوا مِنْ بَيْرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بَيْرِهَا، وَأَنْ يَغْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ»؛ ثم قال الإمام البخاري: (تَابَعَهُ أُسَامَةُ، عَنْ نَافِعٍ)؛ وأخرجه الإمام البيهقي في سننه الكبرى (ج1/ص235/ح1050): [وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثني أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ حدثنا إبراهيم بن أبي طالب حدثنا أبو موسى إسحاق بن موسى الأنصاري وهارون بن موسى الفروي قالا حدثنا أنس بن عياض حدثني عبيد الله عن نافع أن بن عمر أخبره بعينه]؛ ثم قال الإمام البيهقي: (رواه مسلم في الصحيح عن إسحاق بن موسى الأنصاري ورواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر عن أنس بن عياض؛ وهذا الماء وإن لم يكن نجسا فحين كان ممنوعا منه استعماله أمر بإراقتة وأمر بإطعام ما عجن به الإبل وكذلك ما يكون ممنوعا منه لنجاسته)؛



— وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (ج4/ص2286/ح2981): [حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَخْبَرَهُ، أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى الْحِجْرِ - أَرْضِ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَبُوا بِهِ الْعَجِينَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ؛ وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَاسْتَقَوْا مِنْ بَنَارِهَا وَاعْتَجَبُوا بِهِ»؛ وابن حبان في صحيحه (ج14/ص83/ح6202): [أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم قال حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال حدثنا شعيب بن إسحاق به]؛ وهو في دلائل النبوة للبيهقي محققا (5/234): [وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْحِجَرَ أَرْضِ ثَمُودَ فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَبُوا بِهِ الْعَجِينَ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ]، ثم قال الإمام البيهقي: (رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مُوسَى)؛

— وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج2/ص117/ح5984): [حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ جَوَيْرِيَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالنَّاسِ عَامَ تَبُوكَ نَزَلَ بِهِمُ الْحِجَرَ عِنْدَ بَيْوتِ ثَمُودَ، فَاسْتَسْقَى النَّاسُ مِنَ الْأَبَارِ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودُ، فَعَجَبُوا مِنْهَا، وَنَصَبُوا الْقُدُورَ بِاللَّحْمِ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَهْرَاقُوا الْقُدُورَ، وَعَلَفُوا الْعَجِينَ الْإِبِلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ بِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ عَلَى الْبَيْرِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا النَّاقَةُ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عَذَّبُوا قَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ»؛ وابن حبان في صحيحه (ج14/ص84/ح6203): [أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا صخر بن جويرية به]؛ وابن الجعد في مسنده (ج1/ص447/ح3043): [حدثنا بن زنجويه حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا صخر بن جويرية به]

— وهو في السير لأبي إسحاق الفزاري (ص: 105/8): [الْفَزَارِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: نَزَلَ أَنَسُ بْنُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَيْتِ ثَمُودَ، فَاسْتَقَوْا وَاعْتَجَبُوا مِنْهَا فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَهْرِيقُوا مَا فِي أَسْقِيَتِهِمْ، وَيَعْلِفُوا عَجِينَهِمْ الْإِبِلَ، وَيَنْزِلُوا عَلَى بَيْتِ صَالِحٍ، فَيَسْتَقُوا مِنْهَا]؛ وجاء في مجموع فيه ثلاثة أجزاء حديثية - جرار (ص: 116/247): [حدثنا الحسين بن السَّمِيدِ: حدثنا أبو صالح الفراء محبوب بن موسى: حدثنا أبو إسحاق الفَزَارِيُّ: حدثنا أبو إِسْمَاعِيلَ، به]

— وجاء في مسند البزار [البحر الزخار (12/145/5734)]: [حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسَافَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ أَبُو مَالِكٍ الْجَنْبِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم، في الحجرِ فَاعْتَجَنُوا مِنْ بئرِ ثَمُودَ وَاسْتَقَوْا فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنْ يُهْرِيقُوا الْمَاءَ وَأَنْ يُطْعِمُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَقَالَ: اسْتَقُوا مِنْ بئرِ صَالِحٍ، ثم قال الإمام البزار: (وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ وَعَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ)؛ قلت: ورواه أيضاً غيرهما كما سبق؛ وهو في حديث أبي الفضل الزهري (ص: 461/452): [أَخْبَرَكُم أَبُو الْفَضْلِ الزُّهْرِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَضَّاحِ اللَّؤْلُؤِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ الْجَنْبِيُّ، بَعِينَهُ]

— وهو في الكامل في ضعفاء الرجال (6/244/1305): [حَدَّثَنَا ابْنُ صَاعِدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَضَّاحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَالِكٍ عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ الْجَنْبِيُّ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا بِالْحَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فَاعْتَجَنُوا مِنْ بئرِ ثَمُودَ وَاسْتَقَوْا فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنْ يُهْرِيقُوا الْمَاءَ وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ بِالْعَجِينَ وَقَالَ اسْتَقُوا مِنْ بئرِ صَالِحٍ؛ ثم قال الإمام بن عدي: (وَهَذَا لَا أَعْلَمُ يَرْوِيهِ عَنْ عُبيدِ اللَّهِ بِهِذَا الْإِسْنَادِ غَيْرُ أَبِي مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ)؛ قلت: رحمك الله، وقد سبق سياق رواية جماعة لهذا!

\* وأخرج الإمام الحاكم في مستدركه (ج2/ص617/ح4068): [حدثنا أبو زكريا العنبري حدثنا أبو عبد الله البوشنجي حدثنا يعقوب بن كعب الحلبي حدثنا حرمة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة حدثني أبي عن أبيه عن جده قال نزلنا الحجر في غزوة تبوك فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، من كان عمل من هذا الماء طعاما فليلقه قال فمنهم من عجن العجين ومنهم من حاس الحيس فألقوه]، ثم قال الإمام الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث جويرية بن أسماء عن نافع عن بن عمر أن الناس نزلوا مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حجر ثمود بغير هذه الألفاظ)؛ وأيضاً الحاكم في مستدركه (ج4/ص139/ح7154): [حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا حرمة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة الجهنني حدثني أبي عبد العزيز بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قاله]، ثم قال الإمام الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)؛ والطبراني في معجمه الكبير (ج7/ص116/ح6550): [حدثنا خلف بن عمرو العكبري حدثنا الحميدي حدثنا حرمة بن عبد العزيز حدثني أبي عن جدي قاله]

— وفي تعليق التعليق (4/19): [أما حَدِيثُ سُبْرَةَ عَنْ مَعْبِدٍ فَقَرَأْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْجَا عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَمْرَةَ أَنَّ الضيَاءَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَافِظَ أَخْبَرَهُمْ: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الْحَدَّادَ أَخْبَرَهُمْ أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ نُفَيْلٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ سُبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، لِأَصْحَابِهِ حِينَ رَاحَ مِنَ الْحَجْرِ مَنْ كَانَ عَجَنَ مِنْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَاءِ عَجِينًا أَوْ حَاسَ بِهِ حَيْسًا فَلْيُلْقِهِ؛ وَبِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَتْهُمْ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ عَمْرٍو الْعُكْبَرِيُّ حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ حَدَّثَنَا حَرَمَلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي بِهِ؛ وَبِهِ إِلَى سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْخَلَالُ حَدَّثَنَا

يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا سُبْرَةُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ نَحْوَهُ؛  
وَبِهِ إِلَى الضَّيَاءِ أَخْبَرَنَا أَبُو رَوْحٍ أَنَّ تَمِيمَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ أَخْبَرَهُمْ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَنَا أَبُو  
أَحْمَدَ الْحَاكِمُ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَزِيمٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا سُبْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ  
سَبْرَةَ بْنِ مَعْبِدٍ بِهِ]

\* وأخرج الإمام الطبراني في معجمه الأوسط (ج3/ص361/ح3404) بإسناد جيد: [حدثنا الحسن بن  
جرير حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا عبد الرحمن بن بشير عن محمد بن إسحاق **حدثني** محمد  
بن طلحة بن يزيد بن ركانة عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال نزل رسول الله، صلى الله  
عليه وسلم، بالحجر واستسقى الناس من بئرها ثم راح منها فلما استقل أمر الناس أن لا يشربوا من  
مائها ولا يتوضؤوا منها وما كان من عجين عجن من مائها أن يعلف ففعل الناس]

\* وجاء في الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم (5/72/2612): [حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَبُو مُحَمَّدٍ  
الْعُثْمَانِيُّ، (شَيْخٌ صَدُوقٌ) حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ مَطِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي أَبُو الشُّمُوسِ  
الْبَلَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَزَلْنَا عَلَى بَيْرٍ ثَمُودَ أَوْ بَيْرٍ حُجْرٍ وَقَدْ اسْتَقَيْنَا وَعُجْنَا فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَهْرِيقَ الْمِيَاهُ وَنَطْرَحَ الْعَجِينَ وَنَنْفِرَ وَكُنْتُ حَسَيْتُ حَسِيَةً لِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْقِمَهَا  
رَاحِلَتِي؟ قَالَ: «أَلْقِمَهَا إِيَّاهَا» فَأَهْرَقْنَا الْمِيَاهُ وَطَرَحْنَا الْعَجِينَ وَنَفَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى بَيْرٍ صَالِحٍ]

— وهو في معرفة الصحابة لأبي نعيم (5/2930/6856): [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ  
بْنُ أَبِي عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْعُثْمَانِيُّ، ح، وَحَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو  
الْخَلَّالُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ كَاسِبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ مَطِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي  
أَبُو الشُّمُوسِ الْبَلَوِيُّ، قَالَ: " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ،  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَزَلْنَا عَلَى بَيْرٍ ثَمُودَ، أَوْ بَيْرٍ حُجْرٍ، وَقَدْ اسْتَقَيْنَا وَعُجْنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَهْرِيقَ الْمِيَاهُ وَنَطْرَحَ الْعَجِينَ، وَنَنْفِرَ، وَكُنْتُ حَسَيْتُ حَسِيَةً لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
أَلْقِمَهَا رَاحِلَتِي؟ قَالَ: «أَلْقِمَهَا إِيَّاهَا»، فَأَهْرَقْنَا الْمِيَاهُ، وَطَرَحْنَا الْعَجِينَ، وَنَفَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى بَيْرٍ صَالِحٍ،  
ثم قال الإمام أبو نعيم: (لَفْظُ بَكْرٍ)

— وهو في معرفة الصحابة لابن منده (ص: 913): [أخبرنا أبو عمر بن حكيم، حدثنا أبو حاتم الرازي،  
حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا زياد بن نصر من أهل وادي القرى، حدثنا رجل من أهل بلادنا يقال له  
سليم بن مطير، عن أبيه، عن أبي الشُّمُوسِ الْبَلَوِيِّ، قاله]

— وهو في تعليق التعليق (4/20): [وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي الشُّمُوسِ فَقَرَأْنَا عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ الشَّيْخِ أَبِي  
إِسْحَاقَ بْنِ سُلْطَانَ الْبَعْلَبَكِيِّ أَخْبَرَكَمُ الْقَاسِمُ بْنُ مَظْفَرٍ بْنُ عَسَاكِرَ إِجَازَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا عَنْ مَحْمُودِ  
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُمْ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا أَبِي]

أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ نَصْرِ مِنْ أَهْلِ وَاْدِي الْقُرَى حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بِلَادِنَا يُقَالُ لَهُ سُلَيْمٌ بْنُ مُطَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الشُّمُوسِ الْبَلَوِيِّ قَالَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَزَلْنَا عَلَى بَيْتِ ثَمُودَ فَعَجَنَّا وَاسْتَقَيْنَا؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْكُنَى الْمُفْرَدِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ نَصْرِ مِنْ أَهْلِ وَاْدِي الْقُرَى نَحْوَهُ (ح) وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي كِتَابِهِ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَاعِدٍ أَنَّ يُونُسَ بْنَ خَلِيلٍ الْحَافِظَ أَخْبَرَهُمْ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ أَخْبَرَنَا مَحْمُودُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ فَادُشَاهُ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْخَلَالُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ (ح) قَالَ سُلَيْمَانُ وَحَدَّثَنَا (ح) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ أَبُو جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ قَالَا حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ نَصْرِ عَنْ سُلَيْمٍ بْنُ مُطَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الشُّمُوسِ الْبَلَوِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى أَصْحَابَهُ يَوْمَ الْحَجَرِ عَنْ بَيْتِهِمْ فَأَلْقَى ذُو الْعَجِينِ عَجِينَهُ وَذُو الْحَيْسِ حَيْسَهُ؛ وَأَنْبَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ بْنُ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ عَنْ أَبِي نَصْرِ بْنِ الشَّيْزَانِيِّ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَزَرِيِّ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ مَحْمُودٍ الثَّقَفِيُّ أَخْبَرَنَا مَحْمُودُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَاذَانَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَبَابِ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ نَصْرِ حَدَّثَنَا سُلَيْمٌ بْنُ مُطَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الشُّمُوسِ الْبَلَوِيُّ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ نَزَلْنَا عَلَى بَيْتِ ثَمُودَ أَوْ بَيْتِ حِجْرٍ وَقَدْ اسْتَقَيْنَا وَعَجَنَّا فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نُهْرِيقَ الْمَاءَ وَنَطْرَحَ الْعَجِينَ وَنَنْفِرَ وَكُنْتُ قَدْ حَسَيْتُ حَيْسَهُ لِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْقَمَهَا رَاِحِلَتِي قَالَ أَلْقَمَهَا إِيَّاهَا فَأَهْرَقْنَا الْمِيَاهَ وَطَرَحْنَا الْعَجِينَ وَنَفَرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى بَيْتِ صَالِحٍ]

\* وجاء حديث آخر عن أبي ذر الغفاري، رضوان الله وسلامه عليه، نجده في مسند البزار [البحر الزخار (3971/385/9)]: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ: سَلْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قُدَّامَةَ بْنِ صَخْرٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَلَقِيْتُهُ عَلَى بَابِ دَارِ الْإِمَارَةِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: رَعِمَ أَبُو ذَرٍّ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَأَتَوْا عَلَى وَادٍ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ بِوَادٍ مَلْعُونٍ فَأَسْرِعُوا فَرَكِبَ فَرَسَهُ فَدَفَعَ وَدَفَعَ النَّاسُ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ اعْتَجَنَ عَجِينَهُ أَوْ مَنْ كَانَ طَبَخَ قَدْرًا فَلْيَكْبِهَا ثُمَّ سَرْنَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ الْيَوْمَ نَفْسًا مَنفُوسَةً يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ فَيَعْبَأُ اللَّهُ بِهَا شَيْئًا»]، ثم قال البزار: (وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ)؛ وهو بعينه في كشف الأستار عن زوائد البزار (2/355/1843)؛ وفي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (6/193/10323) متنه فقط، على عادة الهيثمي.

— وهو في تغليق التعليق (4/21): [وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ (هُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ) حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ لِي الْحَسَنُ سَلْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قُدَّامَةَ بْنِ صَخْرٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَلَقِيْتُهُ عَلَى بَابِ دَارِ الْإِمَارَةِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ رَعِمَ أَبُو ذَرٍّ أَنَّهُمْ

كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَاتَّوَا عَلَى وَادٍ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّكُمْ بِوَادٍ مَلْعُونٍ فَأَسْرِعُوا فَرَكَبَ فَرَسَهُ فَدَفَعَ وَدَفَعَ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ مَنْ اعْتَجَنَ عَجِينَةً أَوْ مَنْ كَانَ طَبَخَ قَدْرًا يَغْنِي فَلْيَكْبَهَا ثُمَّ سَرْنَا ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ الْيَوْمَ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ فَيَعْبَأُ اللَّهُ بِهَا شَيْئًا؛ قَالَ (يعني البزار): لَا نَعْلَمُهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ؛ أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ مُشَافَهَةً عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَغْدَادِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الْحَافِظِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعِيدِ الْحَبَّالَ الْحَافِظَ أَخْبَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْبَارِيِّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عُتْبَةَ الرَّازِيِّ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَزَارِيُّ بِهِ] قلت: وهذا إسناد حسن بذاته، والخبر صحيح بشواهده، إلا أن قوله: (لَيْسَ الْيَوْمَ نَفْسًا مَنفُوسَةً يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ فَيَعْبَأُ اللَّهُ بِهَا شَيْئًا) وهم أو سوء فهم من بعض الرواة، والصحيح ينبغي أن يكون: (لا تبقى نفس منفوسة على رأس مائة سنة من اليوم)، أو ما شاكل ذلك، كما هو في صحاح الأخبار.

\* وجاء في دلائل النبوة للبيهقي [محققا (240/5)]: [أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بَكْرٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، أَوْ عَنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - (يقول البيهقي: الشك مني): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ مَرَّ بِالْحَجْرِ وَنَزَلَهَا اسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بَيْرِهَا، فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلنَّاسِ: لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَأَعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَفَعَلَ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ: خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَةٍ وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ، فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ خَنَقَ عَلَى مَذْهَبِهِ، وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فَاحْتَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلِي طِيءٍ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَشَفِي، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: (وَقَدْ سَمَى لِيَ الْعَبَّاسُ الرَّجُلَيْنِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَوْدَعَنِي إِيَّاهُمَا)؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: (فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يُسَمِّيَهُمَا لَنَا)؛

قلت: حتى لو كان عن الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، فحكمه الاتصال، ولا بد، فهو عن أبيه، أو غيره من كبار الصحابة الذين شهدوا تبوك لأن الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ [ولد في عهد عمر وقتل عثمان رحمه الله والعباس بن سهل بن خمس عشرة سنة وقد روى عنه (يعني عثمان) وكان بعد ذلك منقطعاً إلى عبد الله بن الزبير وخرج معه. وروى عن أبي حميد الساعدي؛ وكان ثقة، وليس بكثير]

**الحديث:** أخبرنا معن بن عيسى قال أخبرنا بن أبي ذئب عن العباس بن سهل بن سعد قال: (كان في زمن عثمان، وأنا بن خمس عشرة سنة، والناس يضعون أيديهم على الثياب في السجود من البرد والحر)؛ قال



محمد بن عمر وغيره: (توفي العباس بن سهل بالمدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك)، كذا هو بأحرفه في طبقات ابن سعد (ج5/ص271).

— وهو في دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ص: 453/523)، بعدة أسانيد مرسله، في غاية الجودة: [وَحَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَرْوَزِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: فَذَكَرَ لَنَا الزُّهْرِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا قَالُوا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ مَرَّ بِالْحَجْرِ نَزَلَهَا وَاسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بَيْرِهَا فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلنَّاسِ: (لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا وَلَا تَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا. وَقَالَ: لَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ. قَالَ: فَفَعَلَ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَتِهِ وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَخَبِقَ عَلَى مَذْهِبِهِ وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فَاحْتَمَلَتْهُ الرِّيحُ وَطَرَحَتْهُ بِجَبَلٍ طَبِئٍ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَمْ أَنُحْكَمْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ؟ ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهِبِهِ فَشَفِيَّ وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي وَقَعَ بِجَبَلٍ طَبِئٍ فَإِنَّ طَبِئًا أَهْدَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهِبِهِ فَشَفِيَّ، وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي وَقَعَ بِجَبَلٍ طَبِئٍ فَإِنَّ طَبِئًا أَهْدَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ]

\* وجمع زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682 هـ)، رحمه الله، الروايات جمعاً حسناً في [آثار البلاد وأخبار العباد — (ص: 90)]: [(الحجر): ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: هي قرية من وادي القرى على يوم بين جبال، بها كانت منازل ثمود الذين قال الله تعالى فيهم: {وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين}]. قال: رأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في جبال تسمى الأثالث، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظننها متصلة، فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها رمل لا يكاد يرتقى ذروتها. بها بئر ثمود التي كان شربها بين القوم وبين الناقة، ولما سار رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى تبوك أتى على منازل ثمود، وأرى أصحابه الفج الذي كانت الناقة منه ترد الماء، وأراهم ملتقى الفصيل في الجبل، وقال، عليه السلام، لأصحابه: لا يدخلن أحدكم القرية ولا يشربن من مائها ولا يتوضأ منه، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج الليلة أحد إلا مع صاحبه. ففعل الناس ذلك إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لطلب بعير له والآخر لقضاء حاجته، فالذي خرج لحاجته أصابه جنون، والذي خرج لطلب البعير احتملته الريح، فأخبر بهما رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: أَلَمْ أَنُحْكَمْ أَنْ يَخْرُجَ أَحَدٌ إِلَّا مَعَ صَاحِبِهِ؟ فدعا لمن أصابه جنون فشفي، وأما الذي احتملته الريح فأهدته طيء إلى رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد عودته إلى المدينة. فأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم، فشكوا إلى رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا الله تعالى فأرسل سحابة فأمطرت حتى روي الناس]

قلت: إن صحت الجمل: (ولما سار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى تبوك أتى على منازل ثمود، **وأرى أصحابه الفج الذي كانت الناقة منه ترد الماء، وأراهم ملتقى الفصيل في الجبل**) فإن ذلك يعني أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم يكتف بالأمر والنهي، وإنما قام أيضاً بدور (المرشد السياحي)، فليحرر!

قلت: فهذه الروايات آنفة الذكر **نقل تواتر يوجب القطع بما أسلفناه**: أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ما زاد على أن أمرهم بإهراق الماء، وطرح العجين، أو إطعامه الدواب، وسرعة الاجتياز في الوادي الملعون، وما أمر بتغوير بئر ثمود الملعونة، ولا بهدمها، ولا بمس شيء من الآثار، أو تسوية شيء من المعالم؛ ولعله أيضاً قام بدور (المرشد السياحي)، فأراهم بعض المواضع المهمة بنفسه.

وأسارع بالقول أن هذه الأحكام (إهراق الماء، وطرح العجين، أو إطعامه الدواب، وسرعة الاجتياز في الوادي الملعون؛ وعدم الخروج فرادى في تلك الليلة المخصوصة) **أحكام عين خاصة بثمود**، لا يحل القياس عليها، ولا الزعم بعمومها أو إطلاقها لأنه هو نفسه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مر في تلك الرحلة نفسها، بعيد ذلك بأيام معدودة، بأرض مدين، وهي، أي مدين، ملعونة كلعنة ثمود، فما فعل من ذلك حرفاً، ومر على أرض ثمود نفسها في طريق العودة ولم يذكر عنه حرف واحد عن هذه النوبة، مما يرجح أنها أحكام لتلك المرة فقط، ولتلك الصحبة المرافقة لنبي الله الخاتم، ولتلك الليلة ذات العواصف الشديدة فقط، وليست هي لمستقبل الأيام، وإن كنا نستحب تجنب البئر الملعونة، والتحلي بالسكينة والوقار، مع استحضار الخشوع، والخوف مما أصاب ثمود لمن زار آثارهم، وعدم الإقامة في الوادي الملعون إلا لسويغات تقتضيها الزيارة: وهذا أيضاً يساعد على المحافظة على الآثار.

وأيضاً ذكر، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فتح مصر، وأوصى بأهلها خيراً وما ذكر حرفاً يتعلق بآثارها، وهي، وإيم الله، من أضخم آثار الدنيا، وأكثرها عدداً، وارتفاعاً عن سطح الأرض، وشموخاً في السماء، وشهرة عند العرب وغيرهم.

وقد كان جمهور الصحابة على ذلك كذلك: فقد فتحوا الأمصار: مصر والشام والعراق، ثم كافة أرض فارس وملحقاتها، ومشارف أرض الروم حتى أسوار القسطنطينية، وهي مملوءة بالأطلال والآثار، والمنحوتات والتصاوير والتماثيل، ومعابد الأوثان المهجورة المتهدمة وفيها تماثيل وأصنام الآلهة، والقبور المملوءة: فلم يقوموا بهدمها، ولا بمس شيء من تلك الآثار، أو تسوية شيء من المعالم، أو طمس شيء من تلك الزخارف والتصاوير والتماثيل. ومع وضوح هذا وبديهيته من الناحية التاريخية إلا أنه لم يسلم من شكوك وشبهات أوردها كالعادة رجالات الفرقة الوهابية، لم يسعنا، فيما بيننا وبين الله، أن ندعها بدون إبطال ونقد، ينسفها من أساسها نسفاً. ولكن هذا يطول جداً لذلك أنجزناه في الملحق المعنون: **(موقف الصحابة من الآثار)**، وملاحق أخرى.

## نفس عن أظام المدينة أن تعدم

وكذلك توالى على ذلك أجيال أهل الإسلام بعد الصحابة، وقد فتحت عليهم أقطار أخرى كبلاد البربر، وأفريقيا، والأندلس، وبلاد الترك، والهند، ومشارف الصين، لا يشذ منهم إلا مخبول مغلوب على عقله، أو غال مارق، قد ضمّر دماغه، وتسطح فكره، فأصبح ممن (يَقْرُؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)، كأتباع الفرقة الوهابية في عصرنا هذا، التي لا يجوز أن يغتر أحد بعلامات السجود في جباههم، ولا قصر ثيابهم وطول لحاهم (تماماً كسلفهم ذي الخويصرة، لعنه الله)؛ ولا كثرة صلاتهم وصيامهم؛ بل ولا باجتهادهم وتفانيهم في القتال؛ ولا بعملياتهم الانتحارية، التي يزعمون أنها استشهادية: فقد حذرنا الصادق المصدوق، الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله، من ذلك نصاً: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية)؛ وحسبك من شرهم تزكيتهم الخبيثة لأنفسهم بأنهم: (الفرقة الناجية)، وهم: (الطائفة المنصورة)، لأنهم وحدهم فقط (أهل العقيدة الصافية الصحيحة) وغيرهم: كافر مرتد، أو ضال مبتدع، أو عامي كالبهيمة، ولا عجب أو غرابة في ذلك لأنهم: (يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء) كما بينه نصاً المعصوم بعصمة الله، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله؛ لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله، محذراً من شرهم الداهم، وهديهم الدموي: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، وقال: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة): يعني: فقط إذا خرجوا على أهل الإسلام بالسيف.

والصلاة والسلام والتبريكات التامة الكاملة على نبينا وإمامنا وحبيب قلوبنا وشفيعنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المخلصين المجاهدين.



الإصدار الخامس - حرر في لندن؛

روجع يوم الأحد، 27 شوال 1435 هـ، الموافق: 24 أغسطس - آب 2014 م

<https://www.tajdeed.org.uk>

<https://www.tajdeed.tk>

<http://www.tajdeed.net>



## القسم الثاني: فصول ملحقة

### | فصل: موقف الصحابة من الآثار

لعله من المناسب أن نبدأ باستعراض لنموذج متميز لما يضطرب في أذهان الوهابيين من الخيالات الجامحة، والوساوس المخبولة: فقد تساءل إنسان أسمى نفسه أبو معاوية البيروتي في [أرشيف ملتقى أهل الحديث - 1 (320/127)]: [لماذا لم يهدم الصحابة رضوان الله عليهم صنم (أبو الهول) عندما افتتحو مصر؟]؛ ثم أجاب هو نفسه، فقال: [هل لصعوبة تهديمه أم لأمر آخر؟ فراسلني الأخ عمر بن عبد الهادي حفظه الله بالمقالة التالية، جزاه الله خيراً]، ثم ساق نص المقالة، وهي للكاتب خالد الغليقة، وإليك نصها:

قال خالد الغليقة: [الحجة الأخرى لمن يرى ترك التماثيل والأصنام في هذا الزمن: أن الصحابة رضي الله عنهم دخلوا مصر زمن عمر بن الخطاب ولا يعرف عنهم هدم الأصنام وتكسير الأوثان الفرعونية. الجواب على هذه الشبهة:

**أولاً:** لا يعارض صريح القرآن وظاهر السنة بعمل صحابي ولو كان أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما للصحابة عندما اعترضوا عليه بقول أبي بكر وعمر قال: (توشك أن تقع عليكم حجارة من السماء، أقول قال الله وقال الرسول، وتقولون قال أبو بكر وعمر).

**ثانياً:** أن هذا الكلام من الناحية التاريخية فيه عدة أخطاء وملاحظات وهي كالتالي:

1 - لم يثبت من الناحية التاريخية أن الصحابة رضي الله عنهم تركوا هدم هذه التماثيل وليس هناك دليل على الترك، فالأصل أنهم مؤتمرون بأمر الله وأمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، في كسر الأوثان وهدم الأصنام هذا هو الأصل فيهم، ومما يدل على أن هذا الأصل فيهم وصية كبار الصحابة لأتباعهم بذلك كما في وصية علي بن أبي طالب لأبي الهياج الأسدي، فهذا هو الأصل والناقل عنه يحتاج إلى دليل.

2 - أن هذه التماثيل الفرعونية الموجودة الآن بمراجعة ما كتب عنها وما كتب عن تاريخ اكتشافها يتبين أنها لم تكن موجودة في وقتهم قطعاً بل إن **تسعة وتسعين بالمائة** منها لم يعثر عليه ولم يكتشف إلا على أيدي الرحالة الغربيين وفرق التنقيب والاستكشافات منذ قرنين فقط؛ يتضح هذا بمراجعة كتب الآثار الفرعونية وكتب تاريخ مصر القديم فعلى كل تمثال تاريخ استكشافه. وهذا واضح جداً جداً. ولهذا لما سئل المؤرخ الزركلي: هل رأى الصحابة الأهرامات وأبا الهول عندما دخلوا مصر قال: (كان أكثرها مغموراً بالرمال ولا سيما أبا الهول).

أما النسبة المتبقية من التسعة والتسعين بالمائة لا نستطيع الجزم بنفيه نفيًا قاطعاً وهو وجود رأس أبو الهول فهناك احتمال أنه كان ظاهرًا زمن الفتح الإسلامي؛ فممن ذكره المؤرخ التجيبي السبتي المتوفى سنة (730هـ) في كتابه (مستفاد الرحلة والاعترا ب) فقد قال تحت عنوان «أبو الهول»: (وبمقربة من هذه الأهرام الثلاثة رأس صورة من حجر جعله هائل المنظر على صورة رأس الإنسان، غير أنه غاية في الكبر قد قام كالصومعة العظيمة). وممن ذكره من المؤرخين ابن فضل العمري المتوفى سنة (749هـ) في

كتابه (مسالك الأبصار) قال: (أما أبو الهول فهو صنم بقرب الهرم الكبير في وهدة منخفضة وعنقه أشبه برأس راهب حبشي). وممن ذكره كذلك المؤرخ المقرئزي المتوفى سنة (845 هـ).

والرد على وجود رأس أبو الهول زمن دخول الصحابة رضي الله عنهم مصر من ثلاثة وجوه:

**أولاً:** ليس هناك دليل قاطع يدل على أنهم رأوه وتركوه وكما سبق الأصل فيهم الاقتداء والاتباع والاستجابة لمطلب الشريعة؛ فالظن بهم أنهم لو رأوه لما تركوه، فمن خالف هذا الأصل فهو مطالب بالدليل. والقول بأنهم رأوه وتركوه احتمال؛ لأنه لم يثبت تاريخياً ويقابله احتمال آخر بأنهم لم يروه.. وإذا قام الاحتمال بطل الاستدلال، فضلاً عن مخالفته للأصل في الصحابة وهو الاستجابة والاتباع لأمر الشارع بالهدم والكسر.

**ثانياً:** تنزلاً مع القول بهذا الاحتمال أنهم (رأوا هذه التماثيل وتركوها) أنه لا يلزم من هذه الرؤية أنهم كانوا يستطيعون تكسيرها أو هدمها، فعدم الاستطاعة مانع، والأحكام الشرعية منوطة بالاستطاعة كما قال سبحانه: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، فعدم الاستطاعة مانع فإذا كانت حركة طالبان لم تستطع هدم تماثلي (بوذا) بسهولة ويسر في هذا العصر عصر التقنية المتطورة، فمن ألف وأربعمائة سنة من باب أولى وأولى بالعجز وعدم القدرة.. ودليل ذلك أن الخليفة هارون الرشيد لم يستطع هدم (إيوان كسرى) وكذلك الخليفة المأمون لم يستطع هدم (الأهرام) مع أن أدوات الهدم والتكسير في عهديهما أكثر تطوراً واستطاعة.

**ثالثاً:** بما أن القول بأن (رأس أبو الهول) كان ظاهراً زمن الفتح احتمال يقابله احتمال بعدم ظهوره وهذا الاحتمال أقوى وأرجح تاريخياً؛ ودليل ذلك أن المؤرخ (هيرودوت) المتوفى سنة 430 قبل الميلاد لم يذكر (أبا الهول) في رحلته الشهيرة ألبته، بل ذكر (الأهرام) في الجيزة ووصفها ووصف المنطقة، وحل كثيراً مما شاهده ولم يذكر (أبو الهول) ورحلته عمدة في دراسة المنطقة، فهذا يدل على أنه كان مطموراً بالرمال في زمنه ويدل على هذا ويقويه أن كثيراً ممن تكلم عن المنطقة التي يقع فيها (أبو الهول) وصفوها بأن رمالها متحركة جداً وبين زمن المؤرخ (هيرودوت) 430 قبل الميلاد وزمن الفتح الإسلامي لمصر سنة 636 – 642 ما يقارب ألف سنة، فمعنى هذا أن رأس (أبو الهول) قد يظهر في زمن ويختفي في زمن آخر بسبب الرمال المتحركة، فيحتمل أنه في زمن الفتح الإسلامي كان مغطى بالرمال أيضاً؛ ولهذا لما ظهر ذكره المؤرخون المسلمون وجاء من يرى في رأس (أبو الهول) أنه منكر يجب إزالته فقد ذكر المقرئزي: (ففي زمننا – القرن التاسع – كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء قام نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات وسار إلى الأهرام وشوه وجه (أبي الهول) وشعته فهو على ذلك إلى اليوم ومن حينه غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه (أبي الهول) ولله عاقبة الأمور). وهذا الاعتقاد من أهل تلك النواحي من الشرك الأصغر والتي قامت دعوة الرسول، صلى الله عليه وسلم، على النهي عنه والتحذير منه فقال «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد أو حياته» ونهى عن القول (مطرنا بنوء كذا وكذا بل مطرنا بفضل الله ورحمته) لكن يستفاد من هذه الحكاية أن

رمال المنطقة متحركة، ويستفاد أيضاً أن أهل تلك المنطقة لم يكونوا على عقيدة راسخة تعرف أن دين الأنبياء وخاصة خاتمهم محمد، صلى الله عليه وسلم، قائم على محاربة وسائل الشرك والتي منها التماثيل والأصنام. بل هذه العقيدة المخالفة ليست مقتصرة على أهل تلك المنطقة، بل هناك من شابههم في العالم الإسلامي لم يكونوا بدرجة واعية تجاه هذه التماثيل الموجودة.. ودليل ذلك انتشار الأضرحة والعقائد الشركية فهذه الأزمان بهذه الانحرافات ليست حجة، وعدم الوعي العقدي عند بعض المسلمين ليس دليلاً شرعياً نعارض به قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [الأنعام: 74] وقوله تعالى «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ» [الأنبياء: 57] وقوله تعالى: «فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» [الصافات: 91 - 95] وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام في قصته مع السامري: «قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا» [طه: 97] وكيف يعارض احتمال أن الصحابة رأوا هذه التماثيل وتركوها بالأمر اليقين من قوله، صلى الله عليه وسلم، لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن لا تدع وثناً إلا كسرتة، ولا صورة إلا طمستها، ولا قبراً إلا سويته» وقوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن عبد الله حين سأله بأي شيء أرسلك الله؟ قال: «بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيئاً». وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله بعثني رحمة للعالمين، وأمرني ربي عز وجل بمحق الأوثان». بل لو ثبت يقيناً أن عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة الذين دخلوا مصر تركوا كسر الأوثان والأصنام فلا يعارض هذا بتكسير الرسول، صلى الله عليه وسلم، التماثيل عندما دخل مكة ولا يعارض وصيته بذلك.

فأله سبحانه وتعالى أمرنا بالاعتداء بالنبي، صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: 21)، وقال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر: 7)، والله سبحانه وتعالى لن يسأل الناس عن استجابتهم لأحد يوم القيامة غير الرسول، صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه: «مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» (القصص: 65)، انتهى النص المنقول من أرشيف ملتقى أهل الحديث بأحرفه.

وتتابع أعضاء الملتقى، كعادتهم السيئة، في قطع أعناق بعضهم بعضاً بـ(التمادح) المذموم؛ وزاد شخص اسمي نفسه (أبو عامر الصقر) قائلاً: [جزاكم الله خيراً... موضوع في غاية الأهمية..... وأيضاً يحتمل أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يعلموا بهذه التماثيل.... فمن قرأ التاريخ الإسلامي يعلم أنهم ليس بالضرورة رأوا كل البلاد التي ملكهم الله إياها...!! خصوصاً أن الفتوح كانت مستمرة متواصلة..... والبلاد مليئة بالحاقدين المتربصين... بل أصبحوا كالمالوك عليها..... والله أعلم]

فنقول رداً على ذلك:

**أولاً:** قوله: [لا يعارض صريح القرآن وظاهر السنة بعمل صحابي ولو كان أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما... إلخ]، حق لا ريب فيه، ولكنكم - معشر الوهابيين - أول مخالف له إذا خالف تقليدكم الباطل، وإلا فكيف نفهم تفانيكم في الدفاع عن أسطورة (اللات)، ذلك الرجل الخرافي الذي كان يلت السوق للحاج، استناداً إلى قول لابن عباس (والحق أيضاً أنه باطل: لا يثبت عن ابن عباس المظلوم المفترى عليه)؛ بالمصادمة الوقحة لسورة النجم الموجبة لكون (اللات) إله أنثى، بنت من بنات الله، تعالى وتقدس، من جنس الملائكة، أو صاحبة لله، جل وعز، من شريفات الجن؛ وكذلك بالمصادمة الوقحة لضرورات التاريخ، وعلوم الآثار؟!]

**ثانياً:** قوله: [هذه التماثيل الفرعونية الموجودة الآن بمراجعة ما كتب عنها وما كتب عن تاريخ اكتشافها يتبين أنها لم تكن موجودة في وقتهم قطعاً بل إن تسعة وتسعين بالمائة منها لم يعثر عليه ولم يكتشف إلا على أيدي الرحالة الغربيين وفرق التنقيب والاستكشافات منذ قرنين فقط. يتضح هذا بمراجعة كتب الآثار الفرعونية وكتب تاريخ مصر القديم فعلى كل تمثال تاريخ استكشافه. وهذا واضح جداً جداً. ولهذا لما سئل المؤرخ الزركلي: هل رأى الصحابة الأهرامات وأبا الهول عندما دخلوا مصر قال: (كان أكثرها مغموراً بالرمال ولا سيما أبا الهول)]،

فنقول: جهل مركب؛ أو كذب محض؛ لا سيما أن تحديد نسبة (تسعة وتسعين بالمائة) مجازفة وقحة، تضحك الثكلى. وحسبك أن تتأمل النقول التالية، حتى لو لم تقرأ تعليقنا المختصر عليها:

\* جاء في الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ)، [مطبعة وادي النيل - الطبعة: الأولى، 1286 هـ - (ص: 23 - 26)]: [(الفصل الرابع في اختصاص ما شوه من آثارها القديمة): أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم أر ولم أسمع بمثله في مثلها فأقتصر على أعجب ما شاهدته. فمن ذلك الأهرام، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جداً وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين، وفي بؤصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس، قد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار، فهدمت في زمن صلاح الدين، يوسف بن أيوب، على يدي قراقوش وكان خصياً رومياً سامي الهمة فكان يتولى عمائر مصر، وهو الذي بنى السور من الحجارة محيطة بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم، وهو أيضاً الذي بنى القلعة وأنبت فيها البيرين الموجودتين اليوم، وهما أيضاً من العجائب وينزل إليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة، وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة، وهذه القناطر من الأبنية العجيبة أيضاً ومن أعمال الجبارين وتكون نيفا وأربعين قنطرة، وفي هذه السنة (وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة) تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحتبس الماء فيروي الجيزة، فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت، ومع ذلك فلم يرو ما رجا أن يروي، وقد بقي

من هذه الأهرام المهذومة قلبها وحشوتها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر، فلأجل ذلك تركت. وأما الأهرام المتحدث عنها المشار إليها الموصوفة بالعظم، فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق واثنان منها عظيمان جدا وفي قدر واحد وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين قد نهذا في صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض، وأما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الأحمر المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد إلا في الزمن الطويل وتجده صغيرا بالقياس إلى ذينيك، فإذا قربت منه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحسّر الطرف عند تأمله، وقد سلك في بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والإتقان، ولذلك صبرت على مر الزمان بل على مرّها صبر الزمان، فأنت إذا تبجّرتها وجدت الأذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها، والأنفس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملاكات الهندسية قد أخرجتها إلى الفعل مثلا هي غاية إمكانها، حتى أنها تكاد تحدث عن قومها وتُخبر بحالهم وتنطق عن علومهم وأذهانهم، وتترجم عن سيرهم وأخبارهم، وذلك أنّ وضعها على شكل مخروط يبتدئ من قاعدة مربعة وينتهي إلى نقطة، ومن خواص الشكل المخروط أن مركز ثقله في وسطه وهو يتساند على نفسه ويتوقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساقط عليها، ومن عجيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الأربع، فإنّ الرياح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عندما تلقى السطح، ولنرجع إلى ذكر الهرمين العظيمين فإنّ المساح ذكروا أنّ قاعدة كل منهما أربعمئة ذراع طولاً في مثلها عرضاً، وارتفاع عمودها أربعمئة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء وينقطع المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشر أذرع في مثلها، وأما الذي شاهدته من حالهما فإنّ رامياً كان معنا رمى سهما في قطر أحدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة، وخبرنا أن في القرية المجاورة لها قوماً قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة، فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشيء فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا في الدرج بل أسرع، ورقى بنعليه وأتوا به، وكانت سابقة كنت أمرته أنه إذا استوى على سطحه قاسه بعمامته، فلما نزل ذرعا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان إحدى عشرة ذراعا بذراع اليد، ورأيت بعض أرباب القياس قال: ارتفاع عمودها ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الأضلاع، طول كل ضلعٍ منها أربعمئة ذراع وستون ذراعا. وأرى هذا القياس خطأ، ولو جعل العمود أربعمئة ذراع، لصح قياسه، وإن ساعدت المقادير تولّيت قياسه بنفسه، وفي أحد هذين الهرمين مدخلٌ يلجّه الناس يُفزي بهم إلى مسالك ضيقة، وأسراب متنافذة، وآبارٍ ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلجّه ويتوغله، فإنّ ناسا كثيرين لهم غرام به وتخليل فيه، فيوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا إلى ما يعجزون عن سلوكه، وأما المسلك فيه المطروق كثيرا فزلاقه تُفزي إلى أعلاه، فيوجد فيه بيتٌ مربّع فيه ناوس من حجر، وهذا المدخل ليس هو المتخذ له في أصل البناء وإنما هو منقوب نقبا صُودف اتفاقا، وذكر أنّ المأمون هو الذي فتحه، وجلّ من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا إلى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا، حدثوا بعظيم ما شاهدوا وأنّه مملوء بالخفافيش وأبوالها حتى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها



الخفافش حتى يكون في قدر الحمام وفيه طبقات، وروازنه نحو أعلاه وكأنها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضوء، وولجته مرة أخرى مع جماعة وبلغت نحو ثلثي المسافة فأغمرى علي من هول المطلاع فرجعت برمق. وهذه الأهرام مبنية بحجارة جافية يكون طول الحجر منها ما بين عشر أذرع إلى عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين إلى ثلاث وعرضه نحو ذلك، والعجيب في وضع الحجر بهندام ليس في الإمكان أصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل إبرة ولا خلل شعرة، وبينهما طين كأنه الورقة لا أدري ما صفته ولا ما هو، وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم أجد بديار مصر، من يزعم أنه سمع بمن يعرفه، وهذه الكتابات كثيرة جداً حتى لو نقل ما على الهرمين فقط إلى صحف، لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة، وقرأت في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين هو قبر عازيمون، والآخر قبر هرميس ويزعمون أنهما نبيان عظيمان، وأن (عازيمون) أقدم وأعظم. وأنه كان يحج إليهما ويهوى نحوهما من أقطار الأرض، وقد وسعنا القول في المنقول من الكتاب الكبير فمن أراه التوسعة فعليه، فإن هذا الكتاب مقصود على المشاهد. وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه، سؤل له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر وهو الثالثة الأثافي. فأخرج إليه الحلبية والنقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وأمراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكّلهم بخراجه فخيّموا عندها وحشروا عليها الرجال والصنّاع ووفروا عليهم النفقات، وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين، فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين والأمخال، وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والأشطان، فإذا سقط سُمع له جلبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترتجف له الجبال وتزلزل الأرض ويغوص في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الأسافين، بعد ما ينقبون لها موضعاً ويببتونها فيه، فيتقطع قطعاً فتسحب كل قطعة على العجل حتى تُلقي في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة، فلما طال ثوائهم ونفذت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهنت عظامهم وخارت قواهم، كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية، بل كانت غايتهم أن شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة، ومع ذلك فإنّ الرائي لحجارة الهدم يظن أنّ الهرم قد استؤصل، فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما جانب قد كشط بعضه، وحينما شاهدتُ المشقة التي يجدونها في هدم كل حجر، سألت مقدّم الحجارين، فقلت له: لو بُذل لكم ألف دينار على أن تردّوا حجراً واحداً إلى مكانه وهندامه، هل كان يمكنكم ذلك، فأقسم بالله تعالى أنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم أضعافه. وبإزاء الأهرام من الضفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار متداخلة، وفيها ما هو ذو طبقات ثلاث وتسمّى المدينة، حتى لعلّ الفارس يدخلها برمحها ويتخللها يوماً أجمع ولا ينهيها لكثرتها وسعتها وبُعدها، ويظهر من حالها أنّها مقاطع حجارة الأهرام، وأما مقاطع حجارة الصوان الأحمر فيقال أنها بالقلم وبأسوان، وعند هذه الأهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئاً إلا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول؛

**أقول: أولاً:** لا شك أن موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، رحمه الله، شاهد عيان ثقة ثبت؛ ثم هو رجل عاقل من أهل النظر والتمحيص، يباشر الأمور والقياسات بنفسه؛ **وثانياً:** أرأيت هذا الوصف المتقن، والدقة المتناهية كأنك تقرأ لأحد المعاصرين؟! فأين أكذوبة صاحبنا خالد الغليقة الزاعم: (إن **تسعة وتسعين بالمائة** منها لم يعثر عليه ولم يكتشف إلا على أيدي الرحالة الغربيين وفرق التنقيب والاستكشافات منذ قرنين فقط)؛ وهل كان ذلك كله تحت الرمال؟! وسيأتي نص الكلام عن أبي الهول؛

\* وجاء في الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ)، [مطبوعة وادي النيل - الطبعة: الأولى، 1286 هـ - (ص: 26 - 27)]: [وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم، يسميه الناس **أبا الهول**، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض، ويقتضي المقياس أن تكون جثته بالنسبة إلى رأسه سبعين ذراعاً، وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع، عليه رونق الطراءة وهو حسن الصورة مقبولها، عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسماً، وسألني بعض الفضلاء: ما أعجب ما رأيت؟، فقلت: تناسب وجه أبي الهول فأن أعضاء وجهه بالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فإن أنف الطفل مثلاً مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوهاً به، وكذلك لو كان أنف الرجل للصبي لتشوهت صورته، وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار وهيئة، بالقياس إلى تلك الصورة وعلى نسبتها فإن لم توجد المناسبة تشوهت الصورة، والعجب من مصوره، كيف قدر أن يحفظ نظام التناسب في الأعضاء مع عظمها، وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله]؛

**أقول:** رأس أبي الهول وعنقه كان إذاً مرثياً حوالي سنة 600 هـ (حوالي 1200م)، وهو في أحسن صورة مدهون بلون أحمر يلمع. وسنتكلم عن أبي الهول، (بعبع) الحمقى والموسوسين من الوهابيين، بتفصيل بعد استكمال استعراض النقول؛

\* وجاء في الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ)، [مطبوعة وادي النيل - الطبعة: الأولى، 1286 هـ - (ص: 27 - 28)]: [ومن ذلك الآثار التي بـ(عين شمس)، وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها مُحْدَقاً بها مهدوماً، ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة، وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعاً، وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم، وقد كان بعض هذه الأصنام قائماً على قواعد، وبعضها قاعداً بنصبات عجيبة، وإتقانات محكمة، وباب المدينة موجود إلى اليوم، وعلى معظم تلك الحجارة وتصاوير الإنسان وغيره من الحيوان، كتابات كثيرة **بالقلم المجهول**، وقلماً يُرى حجرٌ غفلاً من كتابة أو نقش أو صورة، وفي هذه المدينة المسلّتان المشهورتان، وتسميان مسلتي فرعون، وصفة المسلة أن قاعدةً مربعةً

طولها عشر أذرع في مثلها عرضاً في نحوها سمكاً، قد وُضعت على أساس ثابت في الأرض ثم أُقيم عليها عمود مربع، يَنيفُ طوله على مائة ذراع، يبتدئ من قاعدة لعلَّ قُطرها خمس أذرع وينتهي إلى نقطة، وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس إلى ثلاث أذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر، وبطول المدة أخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة، والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم، ورأيت إحدى المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل، وأخذ النحاس من رأسها، ثم أن حولها من المسال شيئاً كثيراً لا يحصى عددها، مقاديرها على نصف تلك العظمى أو ثلثها، وقلما تجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة، بل فصوصا بعضها على بعض، وقد تهدم أكثرها وإنما بقيت قواعدها. وأما البرابي بالصعيد، فالحكاية من عظمها وإتقان صنعتها، وإحكام سورها وعجائب ما فيها من الأشكال والنقوش والتساوير والخطوط، مع إحكام البناء وجفاء الآلات والأحجار، ممّا يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تغني عن الإطالة في الصفة]؛

**أقول: أولاً:** قوله عن النحاس: (تزنجر)، أي: صدأ بلون أخضر؛

**وثانياً:** ذكر موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وهو شاهد عيان، أن أحد المسلتين كانت قد سقطت، وانتهب الناس قلنسوتها النحاسية؛ أما المسلة القائمة فقد تزنجرت قلنسوتها، غير أنه لم يذكر شكل تلك القلنسوة، وهل كانت على هيئة (تمثال) مثلاً. في حين أن جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، يقول في حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/67): [(13) - وعين شمس؛ وهي هيكل الشمس. قال صاحب مباحج الفكر: (وقد خربت، وبقي منها عمودان من حجر صلد، فكان طول كل عمود منهما أربعاً وثمانين ذراعاً، على رأس كل عمود منهما صورة إنسان على دابة، وعلى رأسهما شبه الصومعة من نحاس، فإذا جرى النيل قطر من رأس كل واحد منهما ماء، لا يجاوز نصف العمود، والموضع الذي يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطباً). قال: (وقد وقع العمودان في عصرنا بعد الخمسين وستمائة، ونشرت حجارتهما، وفرشت بها الدور)]، وليس السيوطي شاهد عيان، وإنما هو ناقل من الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري المصري الكتبي الوراق، الملقب بـ(الوطواط)، (المتوفى: 718 هـ). صاحب كتاب (مباحج الفكر، ومناهج العبر)، وكتاب (الدرر والغرر)، وغيرهما؛

**وثالثاً:** وها هنا أيضاً من حقنا أن نتساءل مرة أخرى عن أكذوبة صاحبنا خالد الغليقة الزاعم: (إن تسعة وتسعين بالمائة منها لم يعثر عليه ولم يكتشف إلا على أيدي الرحالة الغربيين وفرق التنقيب والاستكشافات منذ قرنين فقط)؛ وعين شمس - شرق القاهرة - في مرتفع من الأرض بمأمن من الرمال السافية: فهل كان ذلك تحت الرمال أيام دخلها الصحابة، وهي من أوئل مدن مصر وقوعاً في يدهم، وكانت عامرة آنذاك؟!

\* وجاء في الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ)، [مطبوعة وادي النيل - الطبعة: الأولى، 1286 هـ - (ص: 29 - 32)]: [ومن ذلك، الآثار التي بمصر القديمة، وهذه المدينة بالجيزة وهي مَنْف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر]، واستطرد



بكلام عن موسى وبني إسرائيل، ثم قال: [ولنرجع إلى وصف مَنْفِ المسماة مصر القديمة: فهذه المدينة مع سعتها وتقادُمِ عهدها وتداولِ الملل عليها واستئصال الأُممِ إيَّها، مِنْ تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها، وإفساد أبنيتها وتشويه صورها، مُضافاً إلى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل، ويحسر دون وصفه البليغ اللسن، وكلما زدته تأملاً، زادك عجباً، وكلما زدته نظراً زادك طرباً، ومهما استنبطت منه معنى، أنبأك بما هو أغرب، ومهما استثرت منه علماً دلّك على أنّ وراءه ما هو أعظم. فمن ذلك البيت المسمّى بالبيت الأخضر، وهو حجرٌ واحدٌ تسع أذرع ارتفاعاً في ثمان طولاً في سبع عرضاً، قد حفر في وسطه بيت، قد جعل سُمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين والباقي فضاء البيت، وجميعه ظاهراً أو باطناً منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم، وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصور كثير من الكواكب والأفلاك، و**صور الناس والحيوان** على اختلاف من النصبات والهيئات، فمن بين قائم وماش وماٍ رجليه وضامّهما ومشمرٌ للخدمة وحامل آلاتٍ ومشير بها، يُنبئ ظاهر الأمر أنه قصد بذلك محاكاة أمور جليّة، وأعمال شريفة وهيئات فاضلة وإشاراتٍ إلى أسرار غامضة، وأنّها لم تتخذ عبثاً، ولم يُستفرغ في صنعها الوسع لمجرد الزينة والحُسن، وقد كان هذا البيت مُمكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة، **فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعاً في المطالب**، فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله بعضه على بعض فتصدع صدوعاً طفيفة يسيرة، وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على أتقن هندام وأحكم صنعة، وفيها قواعد على عمَدٍ عظيمة، وحجارة الهرم متواصلة في جميع أقطار هذا الخراب، وقد بقي في بعضها حيّطان ماثلة تبك الحجارة الجافية وفي بعضها أساس وفي بعضها أطلال، ورأيتُ عقد بابٍ شاهقاً ركنه حجرانٍ فقط، وأزحجة حجر واحد قد سقط بين يديه، وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيه صدأ النحاس وزنجرته، فعلمتُ أنّ ذلك قيودٌ لحجارة البناء وتوثيقٌ لها ورباطات، بينها بابان يجعل بين الحجرين، ثم يُصبُّ عليه الرصاص، وقد تتبّعها الأنذال المغرورون، فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لأجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا إليها، ولعمري الله قد بذلوا الجهد في استخلاصها وأبانوا عن تمكّن من اللؤم وتوغّل في الخساسة، وأما **الأصنام وكثرة عددها وعظم صورها** فأمرٌ يفوت الوصف ويتجاوز التقدير، وأما إتقان أشكالها وإحكام هيئاتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة، فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيّفاً وثلاثين ذراعاً، وكان مداه من جهة اليمين إلى اليسار نحو عشر أذرع، ومن جهة الخلف إلى الأمام على تلك النسبة، وهو حجرٌ واحدٌ من الصّوان الأحمر وعليه من الدهان الأحمر كأنه لم يزدْه تقادُمُ الأيام إلا جِدّة. والعجب كلّ العجب كيف حفظ فيه مع عظم النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي، وأنت تعلم أن كلّ واحدٍ من الأعضاء الآلية والمتشابهة له في نفسه مقدار ما وله إلى سائر الأعضاء نسبة ما بذلك المقدار، وبذلك النسبة تحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة، فإن اختلَّ شيءٌ من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل، وقد أحكم في هذه **الأصنام** هذا النظام إحكاماً أيّ إحكام، فمن ذلك مقادير الأعضاء في نفسها ثم نسب بعضها إلى بعض، فأنت ترى **الصنم** قد

يبتدئ بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسبٍ بليغ ثم يأخذ الصدر في ارتفاع الترائب إلى التندوتين، فيرتفعان عما دونهما ويبرزان من سائر الصدر بنسبة عجيبة، ثم يعلوان إلى حدّ الحلمة، ثم تصوّر الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة، ثم تنحدر إلى الموضع المطمئن عند القصّ وفرجة الزور وزور القلب وإلى تجعيد الأضلاع والتوائها، كما هو موجود في الحيوان الحقيقي، ثم تنحدر إلى مقاط الأضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعضل البطن يميناً وشمالاً، وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون السرّة ممّا يلي الأقرب، ثم تحقيق السرّة وتوتر العضل حولها، ثم الانحدار إلى الثنية والحالبين وعروق الحلب والخروج منه إلى عظمي الوركين، وكذلك تجد انفصال الكتف واتصالها بالعضد ثم بالساعد وانفتال حبل الذراع والكوع والكرسوع وإبرة المرفق ونهري مفصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه، وقد صور كف بعضها قابضاً على عمود قطره شبر كأنه كتاب، وصوّرت الغضون والأسارير التي تحدث في جلدة الكف مما يلي الخنصر عند ما يقبض الإنسان كفّه، وأمّا حسن أوجهها وتناسبها فعلى أكمل ما في القوى البشرية أن تفعله، وأتم ما في الموادّ الحجرية أن تقبله ولم يبق إلّا صورة اللحم والدم، وكذلك صورة الأذن وحتارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل. ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جداً، وقد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني، مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقي جداً وقد تكسّرا ورُدما بالتراب؛

\* وجاء أيضاً في الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لعبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ)، [مطبعة وادي النيل - الطبعة: الأولى، 1286 هـ - (ص: 33)]: [ولنرجع إلى حديثنا الأول فنقول، هذه الأصنام مع كثرتها قد تركتها الأيام إلّا الأقلّ منها جذاذاً وغادرتها رماداً، ولقد شاهدتُ كبيراً منها وقد نحت من صلته رحاً ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغير بين، ورأيت صنماً وبين رجليه صنم متّصل به صغير كأنه مولود بالقياس إليه، وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون، وعليه من الملاحظة والجمال ما يشوق الناظر إليه لا يملّ من ملاحظته، واتخاذ الأصنام قد كان في ذلك الزمان شائعاً في الأرض عامّاً في الأمم ولهذا قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، أي كان وحده في زمنه موحداً فهو أُمَّة بنفسه لاعتزاله إياهم وانفراده برأي يخالف آراءهم، ولما رأى بنو إسرائيل تعظيم القبط هذه الأصنام وتبجيلهم إياها وعُكوفهم عليها وألفوا ذلك وأنسوا به لطول مقامهم بينهم، ثم رأوا قوماً من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، ولما كان النصارى معظمهم وجمهورهم أقباطاً وصابئة، نزعوا إلى الأصل ومالوا إلى سنّة آبائهم القديمة في اتخاذ التماثيل في بيعهم وهاكل عبادتهم وبالغوا في ذلك وتفنّنوا فيه، وربّما تراموا في الجهالة حتى يصوّروا إلههم والملائكة حوله بزعمهم، وجميع ذلك لبقايا فيهم من سنن أوائهم، وإن كان الأوائل يُكبرون الإله أن يدخل تحت إدراك عقلي وحسي فضلاً عن

تصوير، وإنما سهل على النصارى ذلك وأجراهم عليه اعتقادهم الإلهية للبشر، وقد حققنا القول في ذلك في مقالتنا عليهم]

**أقول:** لا يسعني إلا التعجب، مراراً وتكراراً، من هذا الوصف المتقن، والدقة المتناهية؟! لقد انتهت أكذوبة صاحبنا خالد الغليقة، وانتهى أمرها، وتمت تعريتها: فوالله، الذي لا إله إلا هو، ما كان شيء من تلك الآثار والأصنام الهائلة، والتصاوير البديعة، وخاصة تلك بـ(منف)، و(عين شمس)، مدفونا تحت الرمال إبان دخول لصحابة مصر، اللهم إلا رمال متخيلة افتراضية، لا وجود لها إلا في أذهان الوهابيين المختلة الكسيحة. ومع ذلك إليك المزيد من النقول:

\* جاء في مروج الذهب للمسعودي (المتوفى: 346 هـ)، (1/160، بترقيم الشاملة آليا): [والأهرام وطولها عظيم، وبنيانها عجيب، عليها أنواع من الكتابات بأقلام الأمم السالفة، والممالك الدائرة، لا يحصى ما تلك الكتابة ولا ما المراد بها، وقد قال مَنْ عني بتقدير ذرعها: إن مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمئة ذراع، أو أكثر، وكلما علا به الصعداء دق ذلك، والعرض نحو ما وصفنا، عليها من الرسوم ما ذكرنا، وإن ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة، وإن من تلك الكتابة مكتوب: أنا بنيناها فمن يدعى موازنتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهاءنا من السلطان فليهدمها، وليزل رسمها؟ فإن الهدم أيسر من البناء، والتفريق أيسر من التأليف، وقد ذكر أن بعض ملوك الإسلام شرع في هدم بعضها فإذا خراج مصر وغيرها من الأرض لا يفي بقلعها، وهي من الحجر والرخام]؛ قلت: المهم ما ذكر من الرسوم: (عليها من الرسوم ما ذكرنا)؛ أما ما ذكره من الخرافات، ومعاني المكتوب بالخط القديم المجهول فأكثره من الأساطير والأكاذيب؛

\* وقال شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626 هـ) في معجم البلدان (401/5) بعد الكلام عن الأهرام: [وعلى ركن أحدهما صنم كبير يقال إنه بلهيت ويقال إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة وإن الذي طلسمه بلهيت، وسبب تطلسمه أن الرمال غربيه وشماليه كثيرة متكاثفة فإذا انتهت إليه لا تتعداه، وهو صورة رأس آدمي ورقبته ورأسه كتفيه كالأسد وهو عظيم جداً، حدثني من رأى نسرا عيش في أذنه: وهو صورة مليحة كأن الصانع فرغ منه عن قرب، وهو مصبوغ بحمرة موجودة إلى الآن مع تطاول المدة وتقدم الأعوام]؛ قلت: كانت أكتاف أبي الهول ظاهرو أيام ياقوت على نحو جعله يصفها بكل دقة: (كتفيه كالأسد)؛

\* وجاء في آثار البلاد وأخبار العباد لذكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682 هـ)، [دار صادر - بيروت - (ص: 269)]: [ومن عجائب مصر أبو الهول. وهو صورة آدمي عظيمة مصنعة، وقد غطى الرمل أكثره. يقال: انه طلسم للرمل لئلا يغلب على كورة الجيزة، فإن الرمال هناك كثيرة شمالية متكاثفة، فإذا انتهت إليها لا تتعداه، والمرتفع من الرمل رأسه وكتفاه. وهو عظيم جداً، وصورته مليحة

كأن الصانع الآن فرغ منه. وقد ذُكِرَ من رأى أن نسرًا عَشَشَ في أذنه وهو مصبوغ بالحمرة؛ قال ظافر الإسكندري:

**تأمل بنية الهرمين وانظر \*\*\* وبينهما أبو الهول العجيب  
كمثل عمارتين على رحيل \*\*\* لمحبوبين بينهما رقيب  
وماء النيل تحتها دموع \*\*\* وصوت الريح عندهما نحيب؛**

\* وجاء في آثار البلاد وأخبار العباد لذكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، [دار صادر - بيروت - (ص: 270)]: [ولما وصل المأمون إلى مصر، نقب أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل، فوجد في داخله مراقي ومهادي هائلة يعسر السلوك فيها، ووجد في أعلاه بيتاً مكعباً طول كل ضلع منه ثمانية أذرع، وفي وسطه حوضاً رخاماً مطبقاً، فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه غير رمة بالية، فأمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه];

قلت: فالتنقيب وحفريات الآثار قديمة إذًا عند المسلمين تعود إلى أيام المأمون، إن لم تكن أقدم من ذلك. وربما كان التنقيب بطريقة بدائية متخلفة، هي إلى الهدم والتدمير أقرب:

\* فقد جاء في المسالك والممالك لابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (المتوفى: نحو 280 هـ)، [دار صادر - أفست ليدن، بيروت - 1889 م - (ص: 159)]: [ومن عجائب البنيان: الهرمان بمصر سمك كل واحد منهما اربع مائة ذراع كلما ارتفع دق وهما رخام وممرم والطول اربع مائة ذراع في عرض اربع مائة ذراع بذراع الملك مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجب من الطب والنجوم ويقال والله اعلم انهما من بناء بطلميوس القلوذي الملك ومكتوب عليهما انى بنيتهما فمن كان يدعى قوة في ملكه فليهدمهما فان الهدم ايسر من البناء واذا خراج الدنيا لا يقوم بهدمهما، قال والى جانب الهرمين عشرة اهرام اصغر منهما. قال فحدثني اسماعيل ابن يزيد المهلبى كاتب لؤلؤ غلام ابن طولون قال خرجنا مع ابي عبد الله الواسطي كاتب احمد بن طولون الى هرم من الاهرام الصغار ومعنا فعلة فوجدنا مقدار سطحه مريض عشرة ابعرة فتقدم بقلعه فقلع الساف الاول من حجارة فأفضى الى رمل مكسر ثم قلع الساف الثاني فأفضى الى الساف الثالث وفيه كوى منقورة فقلع الساف الثالث فنزل الى صحن يكون مقداره اربعين ذراعا في اربعين ذراعا وفيه اربع نيمخانجات قبلية وشرقية وغربية وجنوبية وهى مسدودة بأبواب شبكات حجارة ففتحنا الشرقية فوجدنا فيها جرّة جزع لها رأس جزع على صورة خنزير مملوءة موميأى وفتحنا الغربية والجنوبية فوجدنا في كل واحد مثل ما وجدنا في الشرقية الا ان صور رؤوس الجرار تختلف وكان في الصحن ثلاثمائة وستون تمثالا على صور الناس شبيه بالمكفرة ثم فتحت النيمخانجة القبلية فوجدنا فيها جرن من حجر اصم اسود مطبق بمثله فعالجنا فتحه فكان مسدودا برصاص فأوقدنا عليه حتى ذاب الرصاص وفتحناه فاذا فيه شيخ ميت وتحت رأسه لوح من جزع ابيض وقد صدّعه النار التي اوقدنا على الجرن ولوّحت اثوابا كانت على الميت فأخذنا اللوح وألفناه فوجدنا في جانب منه صورتين من ذهب احدهما صورة رجل بيده حية والاخرى صورة رجل على حمار

بيده عكاز وفي الجانب الآخر صورة رجل على ناقه بيده قضيب فأخذنا ذلك اجمع وصرنا به الى احمد بن طولون فدعا بصانع فالف اللوح. وأجمعنا على ان الصور موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين وأخذ احدي الجرار واعطى ابا عبد الله الكاتب جرّة واحدة واعطاني واحدة فصرت بها الى منزلي فأخذت عودا فحرّكت المومياء الذي فيها فجعل يتنفس بشيء فلم ازل أحتاله حتّى اخرجته فاذا هو حواشي ثياب تدرج بعضها الى بعض فجعلت انشرها حتّى انتهيت الى قطعة من جلد ثور كانت تلك الحواشي ملفوفة عليها فنشرتها فلمّا بلغت الى آخرها نقطت منها نقطة دم فلا ادري ما كان ذلك والله اعلم[؛

\* وقال أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: 845هـ) في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (1/58): [قال القاضي: ذكر **الجاحظ** وغيره: أنّ عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات، وهي مسجد دمشق، وكنيسة الرها، وقنطرة سنجر، وقصر غمدان، وكنيسة رومية، **وصنم الزيتون**، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الريح بتدمر، والخورنق، والسدير بالحيرة، والثلاثة الأحجار ببعلبك، وذكر أنها بيت المشتري والزهرة، وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها، فتهدّمت.

(ومنها بمصر عشرون أعجوبة): فمن ذلك الهرمان، وهما أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان، ولذلك قال بعض من رآهما: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإنني لأرحم الدهر منهما. ومن ذلك صنم الهرمين، وهو (بلهوية) ويقال (بلهيت). ويقال: إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على إبليلز الجيزة[؛

**قلت: هذا نص في غاية الأهمية:** فإن صحت نسبة الكلام إلى الجاحظ، ولم يدخل القاضي كلاماً في كلام، فهذا دليل على أن الجاحظ قد عرف (**صنم الهرمين**)، أي أبا الهول، الذي كان مرثياً في عصره. وما زال الكثير من كتب الجاحظ مفقوداً، للأسف الشديد؛

\* وقد كرر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، هذا الكلام بتهذيب لفظي طفيف، ولم يذكر لا المقرئ، ولا القاضي حيث جاء في حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (1/65): [(ذكر عجائب مصر القديمة): قال **الجاحظ** وغيره: عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة: عشرة منها بسائر البلاد، وهي مسجد دمشق، وكنيسة الرها، وقنطرة سنجة، وقصر غمدان، وكنيسة رومية، وصنم الزيتون، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الريح بتدمر، والخورنق بالحيرة، والثلاثة أحجار ببعلبك. والعشرون الباقية بمصر، وهي:

1 - الهرمان؛ وهما أطول بناء وأعجبه، ليس على الأرض بناء أطول منهما، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان؛ ولذلك قال بعض من رآهما: ليس شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمان، فأنا أرحم الدهر منهما.

2 - وصنم الهرمين وهو بهلويه، ويقال بلهنيث، وتسمية العامة أبو الهول. ويقال: إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على الجيزة؛

\* وقال أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: 845 هـ) في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (3/ 229 - 230): [ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول]: هذا الصنم بين الهرمين عرف أولًا ببلهيب، وتقول أهل مصر اليوم أبو الهول. قال القاضي: صنم الهرمين وهو بهلويه، صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بأبي الهول ويقال: بلهيب، ويقال: إنه طلسم للرمل، لئلا يغلب على إبليز الجيزة. وقال في كتاب عجائب البنيان: وعند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم تسميه الناس: أبا الهول، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض، ويقتضي القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا، وفي وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة، وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما. وسئل بعض الفضلاء، عن عجيب ما رأى فقال: تناسب وجه أبي الهول، فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فإن أنف الطفل مثلا مناسب له، وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوها، وكذلك أنف الرجل لو كان لصبي لتشوهت صورته، وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس إلى الصورة وعلى نسبتها، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع عظمها، وإنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه.

ويقابله في بر مصر قريبا من دار الملك: صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف، وفي حجره مولود وعلى رأسه مأجور، الجميع صوان مائع يزعم الناس أنه امرأة وأنها سريّة أبي الهول المذكور، وهي بدرب منسوب إليها ويقال: لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومدّ إلى سريته لكان على رأسها مستقيما. ويقال: إن أبا الهول، طلسم الرمل يمنعه عن النيل، وإن السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر. وقال ابن المتوج: زقاق الصنم، هو الزقاق الشارع، أوله بأول السوق الكبير بجوار درب عمار، ويعرف الصنم بسرية فرعون، وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد.

وقيل: إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله، وإن ظهر بلهيب إلى الرمل، وظهر هذا إلى النيل، وكل منهما مستقبل الشرق، وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، أمير يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين، **وكسروا الصنم المعروف بالسرية**، وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال، فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة، فحفر تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء، وجعل من حجرة قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف: بالجامع الجديد الناصري، وأزيل عين هذا الصنم من مكانه، والله أعلم. وفي زمننا، كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات، وسار إلى الأهرام وشوّه وجه أبي الهول وشعثه، فهو على ذلك إلى اليوم، ومن حينئذ غلب الرمل



على أراض كثيرة من الجيزة، وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه أبي الهول والله عاقبة الأمور]؛

\* وقال أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: 845هـ) في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (3/311): [أعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الإسلامية، ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى مصر، وحاصروا الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر، حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين، كانت هذه الجزيرة حينئذٍ تجاه القصر، ولم يبلغني إلى الآن متى حدثت، وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر.

ويقال والله أعلم، أن بلهيت الذي يعرف اليوم بأبي الهول، طلسم وضعه القدماء لقلب الرمل عن بر مصر الغربي الذي يعرف اليوم ببر الجيزة، وأنه كان في البر الشرقي بجوار قصر الشمع **صنم من حجارة على مسامطة أبي الهول**، بحيث لو امتدّ خيط من رأس أبي الهول وخرج على استواء، لسقط على رأس هذا الصنم، وكان مستقبل المشرق، وأنه وضع أيضاً لقلب الرمل عن البر الشرقي، فقدّر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وحفر تحته حتى بلغ الحفر إلى الماء، ظنا أنه يكون هناك كنز، فلم يوجد شيء، وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسريّة أبي الهول، فكان عقيب ذلك غلبة النيل على البر الشرقي، وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم، وكذلك قام شخص من صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر في تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة، **فشوّه وجوه سباع الحجر التي على قناطر السباع** خارج القاهرة، **وشوّه وجه أبي الهول**، فغلب الرمل على أراضي الجيزة، ولا ينكر ذلك، فله في خليقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده، والكلّ بخلقه وتقديره]

فنقول: حتى لو سلمنا جدلاً بالباطل، وهو: (أن أبا الهول كان مدفوناً بأكمله، من رأسه إلى أخمص قدمه، عند دخول الصحابة مصر)؛ فكيف الإفلات من ورطة الصنم الهائل المسمى (سرية أبي الهول)، وهو في وسط البلدة، قريب من نهر النيل، و**تماثيل السباع** التي على القناطر خارج القاهرة: فما ثمة رمال تسترّها، ولا أطيّان تدفنها، أيام دخول الصحابة مصر؛ هذا بالإضافة إلى ما أسلفنا ذكره من أصنام (منف)، و(عين شمس)؛ زد على ذلك: الأصنام الهائلة، والمعابد الضخمة (مثل: أبو سنبل) في صعيد مصر؟!

وكيف الإفلات من (ورطة) الأصنام والآثار في بلاد الشام والعراق، وما ثمة رمال زاحفة؛ وأصنام (بوذا) الضخمة في وادي باميان، غرب كابول من أرض أفغانستان؟!

**وإليك - للمتعة - مزيداً من النقول:**

\* جاء في تاريخ الطبري [تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (4/16)]: [(كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد، قالوا: ولما دخل سعد المدائن، فرأى خلوتها، وانتهى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ}، وصلى فيه صلاة الفتح - ولا تصلى جماعة - فصلى ثماني ركعات لا يفصل بينهما، واتخذ مسجداً، وفيه تماثيل الجص رجال وخيل، ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك، وتركوها على حالها. قالوا: وأتم سعد الصلاة يوم دخلها، وذلك انه اراد المقام فيها وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن، في صفر سنة ست عشرة]:

\* وهو بنحوه في فتوح الشام للواقدي (ص: 409، بترقيم الشاملة آليا) من طريق أخرى: [قال الواقدي: حدثنا عبد الله بن بشر. قال: حدثنا سليمان بن عامر، قال: أخبرنا عبد الله أن يزدجرد الملك لما كان بأعلى الإيوان يوم خاض المسلمون الدجلة ورأى عبورهم والخيل لا ترجع والعرب لا تجزع والصحابة يتحدثون وهم في الماء كأنهم على الأرض أيقن بزوال ملكه وذهاب عزه فنزل وهو يبكي]، وساق أخباراً عدة إلى أن قال: [ودخل سعد يطلب الإيوان. فلما دخل المدينة دخلها وهو يقرأ {وأورثناها قوماً آخرين}، الدخان: 128. فلما دخل الإيوان ترتجل وصلى فيه صلاة الفتح ثمان ركعات لا يفصل بينهما واتخذ مسجداً. قال وكان في الإيوان تماثيل وصور فتركوها على حالها. قال وأتم سعد الصلوات من يوم دخل الإيوان. فإنه أراد المقام بها وجمع وكانت أول جمعة صليت بالعراق وبالمدائن في شهر صفر. ثم إن سعداً تحول من الإيوان بعد ثلاثة أيام إلى القصر الأبيض]:

**فالحق اليقيني، المقطوع به، وهو الذي لا ينبغي أن تكون فيه أدنى شبهة: أن الصحابة رأوا كل ذلك، فلم تهتز له شعرة في أجسادهم:** لأنهم فهموا كتاب الله، وسنة نبيه، فهمها الصحيح، الذي نرجو الله أن نكون قد وفقنا إليه في بحثنا هذا، وخاصة في تحرير ألفاظ ومعاني وأحكام حديث أبي الهياج الأسدي، التي سنفصلها في فصل مستقل؛ ليس فهم المخبولين المهووسين من أمثال الشيخ الصوفي محمد صائم الدهر، سامحه الله؛ ولا فهم المتخلفين الظلاميين من مشايخ الهند وباكستان الذين يفتنون الفتاوى المضللة لطالبان، ولا فهم المخبولين المهووسين، الغلاة المارقين، منسوبي الفرقة الوهابية الذين (يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)، الذين حذرنا الصادق المصدوق، الناصح المشفق، عليه وعلى آله أتم الصلوات والتسليمات والتبريكات من الله، منهم نصاً: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية)؛ وحسبك من شرهم تزكيتهم الخبيثة لأنفسهم بأنهم: (الفرقة الناجية)، وهم: (الطائفة المنصورة)، لأنهم وحدهم فقط (أهل العقيدة الصافية الصحيحة) وغيرهم: كافر مرتد، أو ضال مبتدع، أو عامي كالبهيمة، ولا عجب أو غرابة في ذلك لأنهم:



(يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء) كما بينه نصاً المعصوم بعصمة الله، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله؛ لذلك قال الناصح المشفق، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله، محذراً من شرهم الداهم، وهديهم الدموي المهلك المدمر: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان)، وقال: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة): يعني: فقط إذا خرجوا على أهل الإسلام بالسيف.

### الفصل: حديث أبي الهياج الأسدي

\* أخرج الإمام مسلم في صحيحه (ج2/ص666/ح969) عن علي بن أبي طالب: [حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «أَنْ لَا تَدْعَ تِمْنًا إِلَّا طَمَسَتْهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»]؛

— وهو في المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم (3/48/2171): [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الطَّلْحِيُّ حَدَّثَنَا عُبيدُ بْنُ غَنَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ قَالَا حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيَّاجِ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا تَدْعَ تِمْنًا إِلَّا طَمَسَتْهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ]؛ ثم قال: (طَمَسَتْ أَذْهَبَتْ ضَوْءَهُ وَأَثَرَهُ: لَفْظُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ وَكِيعٍ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَأَبِي خَيْثَمَةَ وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى كُلُّهُمْ عَنْ وَكِيعٍ) [

— وهو في المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم (3/49/2172): [حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الصَّوَّافِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ (ح) وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَيَّانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنِي حَبِيبٌ مِثْلَهُ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَلَادٍ عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ عَنْ سُفْيَانَ مِثْلَهُ]

— وأخرجه الترمذي في سننه (ج3/ص367/ح1049)، وقال: (وفي الباب عن جابر؛ قال أبو عيسى: حديث علي حديث حسن والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض قال الشافعي أكره أن يرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنه قبر لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه)؛ وأبو داود في سننه (ج3/ص215/ح3218)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص96/ح741)، و(ج1/ص129/ح1064)؛ والحاكم في مستدركه (ج1/ص524/ح1367)؛ وأبو يعلى في مسنده (ج1/ص289/ح350)، و(ج1/ص456/ح614)؛ وغيرهم عن عبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن كثير: كلهم عن سفیان الثوري؛

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حَدَّثَنَا الْحَامِلِيُّ، حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ، قَالَ: قَالَ

عَلِيٍّ: أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ لَا تَدَعَ تِمْنًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ [

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/181/494)]: [حدثنا ابن مخلد، قال: حدثنا الرمادي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ أَبَا الْهَيَّاجِ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ]

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/181/494)]: [حدثنا دعلج، أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا حبان، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا تِمْنًا إِلَّا طَمَسْتَهُ]، ثم قال الدارقطني: (لَمْ يَذْكُرْ أَبَا الْهَيَّاجِ)؛ قلت: هذا هو حديثنا، وعدم ذكر أبي الهياج وهم بلا شك من أحد الرواة، أو سقط من النسخ، كما يظهر من الطرق الكثيرة الأخرى السابقة والآتية؛

\* ولكن أخرجه النسائي في سننه (ج4/ص89/ح2031)، وفي سننه الكبرى (ج1/ص653/ح2158)، زيادة لفظية خطيرة: [أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا صُورَةً فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهَا»]؛

قلت: لفظة: (في بيت) زيادة ثقة، بل رأس الأئمة الحجج الثقات الأثبات، إمام عصره دون منازع، الإمام يحيى بن سعيد القطان؛ وعنه الإمام الناقد الثبت الحافظ الحجة أبو حفص عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الصيرفي الفلاس، قرين علي بن المديني والشاذكوني في الحفظ والإتقان، فلا بد من اعتمادها والتدين بها، لا سيما مع المتابعات التالية:

\* فقد أخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (ج3/ص503/ح6487): [عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ لِأَبِي هَيَّاجٍ «أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، (يَغْنِي قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ)؛ وَلَا تِمْنًا فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهُ»]

\* وهو في الجزء الثالث من فوائد أبي علي الصواف [80 % مخطوط (ص: 75/21)]: [حدثنا بشر، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، قال: قال علي لأبي هياج: تعال أبعتك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، (لا تدعن قبرا مشرفاً إلا سويته، ولا صورة في بيت إلا طمسها)]

— وهو في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/181/494)]: [وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّمَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ (ح) وَحَدَّثَنَا الْحَامِلِيُّ، حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دَكِينٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ لِأَبِي الْهَيَّاجِ:

تَعَالَى حَتَّى أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْعَنَّ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوِيَّتَهُ، وَلَا صُورَةً فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهَا]

\* وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (ج4/ص3/ح6548): [حدثنا أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين القطان حدثنا أحمد بن يوسف السلمي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي هياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن لا تترك قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً في بيتٍ إلا طمسته)]، وقال البيهقي: (أخرجه مسلم في الصحيح من حديث الثوري).

\* وهو في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/174/494)]: [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، حَدَّثَنَا مُخَرِّزُ بْنُ عَوْنٍ بْنُ أَبِي عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنْ لَا أَدْعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوِيَّتَهُ، وَلَا تَمَثَالًا فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهُ)]

\* وهو في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حَدَّثَنَا ابْنُ مَبَشَرٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ أَبَا الْهَيَّاجِ، وَقَالَ: أَبْعَثَكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْعُ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوِيَّتَهُ، وَلَا تَمَثَالًا فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهُ]

فهؤلاء الأئمة الأعلام: يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وخالد بن الحارث، ومحمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الفريابي، وأبو أحمد الزبيري: كلهم عن سفيان يقولون: (في بيت)، فلفظ الحديث التام، حديث حبيب بن أبي ثابت، هو إزاء، قطعاً ولا بد: [لا تدعَنَّ (أو: لا تدع، أو: لا تترك) قبراً مشرفاً إلا سويته؛ ولا تمثالاً (أو: صورة) في بيتٍ إلا طمسته (أو: طمسته)]:

\* ويحتمل أن يكون في نفس الموضوع، ومن نفس الباب، ما أخرجه الإمام الترمذي في سننه (ج4/ص230/ح1749): [حدثنا أحمد بن منيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا بن جريج أخبرني أبو الزبير عن جابر قال نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الصورة في البيت ونهى أن يصنع ذلك]: حيث قال أبو عيسى: (وفي الباب عن علي وأبي طلحة وعائشة وأبي هريرة وأبي أيوب قال أبو عيسى حديث جابر حديث حسن صحيح)؛ ويحتمل أن يكون المقصود بلفظة: (البيت) هنا (البيت الحرام)، كما هو مناقش في بحثنا عن التصوير الفوتوغرافي، فيكون في موضوع وباب آخر.

وأما جملة: (يَعْنِي قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ)، التي انفردت بها طريق عبد الرزاق، فهناك احتمال أن تكون مدرجة من كلام عبد الرزاق، ولكن هذا بعيد جداً لأن عبد الرزاق (وكذلك هشام بن يوسف) إنما كتبا

فوراً من إملاء سفيان عندما قدم اليمن، وكان سفيان قد طلب من أهل اليمن قبل قدومه الاستعداد بأفضل كاتبين متقنين خفيفي اليد عندهم، فانتدبوا عبد الرزاق وهشام بن يوسف، فالأرجح، أن سفيان كان يقرأ عليهما سرداً سريعاً من كتبه.

وأياً ما كان الحال فإن الكلام إنما هو فقط عن (قبور المسلمين)، و(بيوت المسلمين)، قطعاً ولا بد، لا عن غيرهم، لأن هيئة قبور غيرهم، وتمثيل بيوت غيرهم، ملحقة بشعائر دينهم، وبخصوصيات معتقدتهم، وهي محفوظة بعقد الذمة، ومشمولة بقوله، جل جلاله، وتعالى مجده: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، (البقرة: 2: 256)، وسيأتي مزيد نقاش وتحرير لهذا، قريباً إن شاء الله.

\* ولكن أخرج الحاكم في مستدركه (ج1/ص524/ح1366) ما يشعر بوجود اضطراب في الإسناد: [أخبرني أحمد بن محمد بن سلمة العنزي حدثنا معاذ بن نجدة القرشي حدثنا خالد بن يحيى حدثنا سفيان (ح) وأخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن وهو بن مهدي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت (عن أبي وائل) أن علياً قال لأبي هياج أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته]، ثم قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأظنه لخلاف فيه عن الثوري فإنه قال مرة عن أبي وائل عن أبي الهياج وقد صح سماع أبي وائل من علي رضي الله عنه)؛ قلت: ما بين القوسين: (عن أبي وائل) ليس في الأصل المطبوع، وهو من أغلاط النساخ، ولا بد من إثباته، وإلا عاد كلام الحاكم لغواً؛ وأيضاً هكذا ثبتت الرواية من طريق عبد الرحمن بن مهدي في نسخ سنن الترمذي وغيره من الكتب المضبوطة المشهورة!

وكون سقوط (عن أبي وائل) عند الحاكم من أفاعيل النساخ يتأكد أيضاً بما جاء في إتحاف المهرة لابن حجر (11/357/14194): [(حُصَيْنُ بْنُ حَيَّانَ الْأَسَدِيُّ أَبُو الْهَيَّاجِ، عَنْ عَلِيٍّ): حَدِيثٌ (كَمْ مَحْمَدٌ) قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أْبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَا تَدَعُ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ... الْحَدِيثُ. (كَمْ فِي الْجَنَائِزِ): أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَمْعِيُّ، بِمَكَّةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ (ح) وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْهُ، بِهِ. وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ نَجْدَةَ، عَنْ خَلَادِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، نَحْوَهُ. إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ. وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، كَذَلِكَ. وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا. وَقَالَ: أَظْنُهُمَا لَمْ يَخْرُجَاهُ لِلْخِلَافِ فِيهِ، وَقَدْ صَحَّ سَمَاعُ أَبِي وَائِلٍ مِنْ عَلِيٍّ. قُلْتُ: قَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، بِسَنَدِهِ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ: لَكِنْ وَقَعَ عِنْدَهُ حَيَّانُ بْنُ حُصَيْنٍ، فَإِنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبَابٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ. وَعَنْ وَكِيعٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ،

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ، بِهِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، بِهِ، فَهُوَ إِذَا عَلَى الصَّحِيحِ فِي نَسْخَةِ الْمُسْتَدْرَكِ عِنْدَ الْحَافِظِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قلت: أبو الهياج الأسدي هو حَيَّانُ بْنُ حُصَيْنِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ، ثِقَةٌ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، أَيْ مِنَ الثَّانِيَةِ، وَلَيْسَ مِنَ الثَّلَاثَةِ كَمَا جَعَلَهُ الْحَافِظُ فِي تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ (ج1/ص184/1596): [حَيَّانُ بْنُ حُصَيْنِ أَبُو الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيُّ الْكُوفِيُّ ثِقَةٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ (م د س)]: وَكَانَ عَلِيٌّ شَرْطَةً إِمَامَ الْهُدَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ كَذَلِكَ قَدْ كَتَبَ لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ أَيْامَ إِمَارَتِهِ لِلْكُوفَةِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَقِبَ «كَاتِبَ عِمَارٍ»، وَهُوَ وَالِدُ مَنْصُورٍ وَجَرِيرِ ابْنِي حَيَّانٍ.

وليس في الأسانيد المذكورة ما يتخوف منه إلا:

(1) - عن عنة حبيب بن أبي ثابت لكثرة تدليسه وإرساله، ولكنه معروف بكثرة السماع من أبي وائل، وهذا يخفف من خطر تدليسه، وسماع أبي وائل من كل من علي بن أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليه، ومن أبي الهياج ثابت متفق عليه بدون أدنى شبهة؛

(2) - والاضطراب عن سفيان، وليس هو بالاضطراب القادح فسواء كان الأصل هو:

(أ) - عن أبي وائل عن أبي الهياج: فيكون سماعاً من أبي وائل لرواية أبي الهياج لما حدث، وهذا محتمل، فقد رواه هكذا كل من: يحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن يوسف الفريابي، وخالد بن الحارث، وكذلك قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت؛ أو

(ب) - عن أبي وائل أن علياً قال لأبي الهياج: فيكون سماعاً من أبي وائل لمخاطبة علي لأبي الهياج وإثباتاً لشهوده تلك المحاورة، وهذا هو القوي الأرجح لأنه كذا في رواية أبي نعيم، وهو من أثبت الكوفيين في سفيان، ورواية عبد الرزاق وقد رجحنا أنها من كتاب، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو إسحاق الفزاري، وأبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، وأبو أحمد الزبيري، وخلاّد بن يحيى، وهذا هو أيضاً ترجيح الإمام البخاري حيث جاء في العلل الكبير للترمذي [ترتيب علل الترمذي الكبير (ص: 149/258)]: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، أَنَّ عَلِيًّا، قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ: أَبْعَثْكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَّا تَدْعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا تَمْتَلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ السَّرِيِّ: عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي هَيَّاجٍ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: فَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا فَقَالَ: الصَّحِيحُ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِأَبِي الْهَيَّاجِ:]؛

وأياً ما كان ذلك فهو الصحيح، وكذا نص الإمام الدارقطني على صحته ولم يفرق بين الفرعين (أ)، و(ب) أنفة الذكر، فجعلهما بمثابة الرواية الواحدة. والعجيب أنه ميز رواية أبي إسحاق الفزاري، فلعل ذلك لأنها وصلته معنونة بلفظ: (عن أبي وائل عن علي قال لأبي الهياج)، وليست مأثناة كما هو في الفرع (ب): (عن أبي وائل أن علياً قال لأبي الهياج)، حيث قال في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/173/494)]: [(وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ أَبِي هَيَّاجٍ الْأَسَدِيِّ، وَاسْمُهُ حَيَّانُ بْنُ الْحُصَيْنِ،



عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ لِي أْبَعْتُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْعُ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا تَمْثَلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ: فَقَالَ: يَرْوِيهِ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ: فَرَوَاهُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ. قَالَ ذَلِكَ يَحْيَى الْقَطَّانُ، وَخَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، وَوَكَيْعٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَقَبِيصَةُ، وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ: عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، **عَنْ عَلِيٍّ**، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي هَيَّاجٍ. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَلِيٍّ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الْهَيَّاجِ؛ وَعَدَدَ الْإِمَامُ الدَّارِقُطَنِي طَرَقًا أُخْرَى وَمَتَابَعَاتٍ ثُمَّ قَالَ: (وَالْحَدِيثُ حَدِيثُ الثَّوْرِيِّ، مَا رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ، وَابْنُ مَهْدِيٍّ، وَمَنْ تَابَعَهُمَا وَهُوَ الصَّحِيحُ)؛

فإن لم يكن الإسناد صحيحاً بذاته بسبب تدليس حبيب بن أبي ثابت، فالحديث يتقوى ويصح بالشواهد والمتابعات التالية:

\* كالتى أخرجها الطيالسي في مسنده (ج1/ص23/ح155) بلفظ: [حدثنا قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهياج قال لي علي استعملك على ما استعملني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم: على مسح التماثيل، **وتسوية القبور**]؛ هكذا على الصحيح موافقاً لسفيان، والظاهر أن أبا داود الطيالسي سمع قديماً من قيس بن الربيع، عندما كان قوياً متقناً.

— ولكن جاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا أبو الحسين كُردوس بن مُحَمَّد بن عيسى الواسطي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا قيس بن الربيع، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْهَيَّاجِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: بَعَثَنِي عَلَى تَسْوِيَةِ الْقُبُورِ وَمَسْحِ التَّمَاثِيلِ]

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حَدَّثَنَا الْقَاضِي الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَحَامِلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الذَّرَاعِ. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ بِوَاسِطٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْوَلِيدِ، يَقُولُ: أَلَيْسَ سُفْيَانُ يُحَدِّثُ: حَبِيبٌ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ؛ هَذَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْهَيَّاجِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: بَعَثَنِي عَلَى تَسْوِيَةِ الْقُبُورِ وَمَسْحِ التَّمَاثِيلِ]

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي الْهَيَّاجِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسْوِيَةَ الْقُبُورِ وَكَسْرَ التَّمَاثِيلِ]

— وجاء في مسند البزار [البحر الزخار (3/124/911)]: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، وَحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَا: حَدَّثَنَا قَيْسٌ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ

ابن أبي الهيثاج، عن أبيه، قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم،؟ أن لا أمر بقبور إلا سويته وبمسح التماثيل؛ ثم قال البزار: (وهذا الحديث قد رواه غير قيس عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن أبي الهيثاج، عن أبيه، عن علي ولا نعلم أحدا، قال: عن أبي وإيل، عن ابن أبي الهيثاج، عن أبيه، إلا قيس)؛

— وجاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/184)]: [وحدثنا محمد بن محمود بواسط، حدثنا محمد بن صالح بن شعبة، قال: سمعت أبا الوليد، يقول: أليس سفيان يحدث: حبيب، عن شقيق، عن أبي الهيثاج، قال: قال علي: هذا قيس بن الربيع، حدثنا عن حبيب بن أبي ثابت، عن شقيق، عن سعيد بن أبي الهيثاج، عن أبيه، قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم،؟ قلت: بلى، قال: بعثني على تسوية القبور ومسح التماثيل]

قلت: هو نفس حديثنا، وما زلنا نخاف عنعنة حبيب بن أبي ثابت. وهؤلاء: عبد الرحمن بن يونس، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي، وعاصم بن علي بن عاصم، وحسين بن الحسن، سماعهم متأخر من قيس بن الربيع، فزيادة (سعيد بن أبي الهيثاج) إنما هي، في الأرجح، من أفاعيل الخبيث ابن قيس بن الربيع، الذي أفسد حديث أبيه بآخرة، فبأس الولد.

\* والمتابعة التي جاءت في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حدثنا عبد الملك بن يحيى بن الحسن العطار بن أبي زكار، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن عبد الحميد الحلواني، حدثنا أحمد بن محمد الكوفي، حدثنا بشر بن آدم، عن حماد بن دليل، عن مسعر، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الهيثاج الأسدي، عن علي بن أبي طالب، قال: بعثني النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تترك قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورة إلا طمسستها، ثم قال الدارقطني: (تفرد به حماد بن دليل أبو زيد قاضي المدائني، عن مسعر، عن حبيب، ولم يسمع حبيب هذا من أبي الهيثاج، وإنما سمعه من أبي وائل شقيق بن سلمة، عن أبي الهيثاج، كما قال الثوري)؛ قلت: هو نفس حديثنا، وإسقاط أبي وائل من أفاعيل حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، ولا بد.

— ولكن جاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حدثنا أبو حامد بن محمد بن هارون الحضرمي، قال: حدثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، حدثنا النضر بن إسماعيل، حدثنا مسعر، عن جابر، عن الشعبي، قال: استعمل علي بن أبي طالب أبا الهيثاج، فقال: استعملك على ما استعملني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا تترك قبراً شاخصاً إلا سويته بالأرض؛ ثم قال الإمام الدارقطني: (تفرد به النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاص، عن مسعر، عن جابر)، قلت: النضر بن إسماعيل، إمام مسجد الكوفة، رجل صالح، وليس هو بالقوي في الحديث، ولا بالمعروف بتجويد الأسانيد، فلعله دخل عليه إسناد في آخر، ولكن من المحتمل أن يكون حفظها هنا عن مسعر، الذي كان لا يروي هذا الحديث عن جابر الجعفي إلا نادراً لكلام الناس في جابر الجعفي، وزهدهم في حديثه.

\* والمتابعة التي أخرجها أبو يعلى في مسنده (ج1/ص285/ح343): [حدثنا عبيد الله حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الهياج قال: قال علي أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا تدع قبراً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته]؛ قلت: هو نفس حديثنا، وإسقاط أبي وائل من أفاعيل حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، ولا بد.

— وهي في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حدثنا الحسين بن إسماعيل، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا يعلى بن عبيد (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ، وَحَمْرَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ السَّمْسَارُ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّمَادِيِّ، حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، وَأَبُو النَّضْرِ (ح) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدَانَ بِوَاسِطٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ الْبَصْرِيُّ (ح) وَحَدَّثَنَا ابْنُ مَبْشَرٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْهِيَاجِ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا تَدَعَ تِمْتَالًا إِلَّا لَطَحْتَهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ)؛ هَذَا لَفْظُ شُعَيْبٍ. وَقَالَ يُونُسُ: قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَبْعَثُكَ، وَقَالَ الرَّمَادِيُّ: وَلَا قَبْرًا مَشْرُفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ. وَقَالَ يَزِيدُ: أَخْبَرَنَا الْمَسْعُودِيُّ، وَقَالَ أَيْضًا: أَبْعَثُكَ لِمَا بَعَثَنِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدَعَ قَبْرًا وَلَا تِمْتَالًا إِلَّا نَطَحْتَهُ بِالْحَاءِ؛ ثُمَّ قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ بَعْدَ أَنْ سَاقَ حَدِيثَ مَسْعَرِ أَنْفِ الذِّكْرِ: (وَلَمْ يَسْمَعْ حَبِيبٌ هَذَا مِنْ أَبِي الْهِيَاجِ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الْهِيَاجِ، كَمَا قَالَ الثَّوْرِيُّ)؛ قلت: هو نفس حديثنا، وإسقاط أبي وائل من أفاعيل حبيب وتدليسه، ولا بد.

\* والمتابعة التي أخرجها الطبراني في معجمه الأوسط (ج4/ص268/ح4163): [حَدَّثَنَا عَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نُبَاتَةَ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُقَرِّيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ لِأَبِي الْهِيَاجِ: أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،؟ فَقَالَ: «لَا تَدَعَنَّ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ، وَلَا تِمْتَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ»؛ ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ الطَّبْرَانِيُّ: (لَمْ يَرَوْا هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْأَعْمَشِ إِلَّا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)؛ علي هو علي بن سعيد الرازي، الملقب بـ(عليك)، ثقة، إن شاء الله، تكلموا فيه لدخوله في عمل السلطان، وهذا إسناد جيد؛ — ولكن جاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/182/494)]: [حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَامِلِي، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مَوْسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْهِيَاجِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْكُوفَةَ، قَالَ: أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ حَدِيثَ قَبْلَهُ: لَا تَدَعَنَّ تِمْتَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ]؛ وعقب الإمام الدارقطني في [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/176)] قائلاً: [وَهُوَ غَرِيبٌ عَنِ الْأَعْمَشِ، لَا أَعْلَمُ حَدَّثَ بِهِ عَنْ الْأَعْمَشِ هَكَذَا غَيْرُ جَرِيرٍ؛ وَخَالَفَهُ عِيسَى بْنُ الضَّحَّاكِ، أَخُو الْجَرَّاحِ بْنِ الضَّحَّاكِ، وَرَوْحُ بْنُ مُسَافِرٍ، فَقَالَا عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي الْهِيَاجِ عَنْ عَلِيٍّ؛ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الْهِيَاجِ]؛ فظهر بذلك أن الصحيح هو أن الأعمش سمعه من أبي وائل (قَالَ: قَالَ عَلِيُّ



لأبي الهياج)، وإن كان البعض قد تساهل فقال: (عن أبي وائل، عن أبي الهياج عن علي)، تماماً كما رجحناه في حبيب بن أبي ثابت، وقوي احتمال أن حبيب بن أبي ثابت سمع الحديث فعلاً من أبي وائل، وأما تدليسه.

\* والمتابعة التي أخرجها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص89/ح683): [حدثنا يونس بن محمد حدثنا محمد حدثنا حماد يعني بن سلمة عن يونس بن خباب عن جرير بن حيان عن أبيه ان علياً رضي الله عنه قال أبعثك فيما بعثني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمرني أن أسوي كل قبر، وأطمس كل صنم]؛ وأخرجه الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند (ج1/ص111/ح889)، وفي فضائل الصحابة (ج2/ص701/ح1197): [حدثنا شيبان أبو محمد حدثنا حماد بن سلمة أنبأنا يونس بن خباب عن جرير بن حيان به]

— وبعضه في التاريخ الكبير (ج3/ص53/ت203): [(حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي سمع عمار بن ياسر روى عنه الشعبي وأبو وائل): قال موسى حدثنا حماد بن سلمة عن يونس بن خباب عن جرير بن حيان عن أبيه قال علي يا حيان أبعثك على ما بعثني النبي، صلى الله عليه وسلم، تسوي كل قبر]

\* والمتابعة التي أخرجها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص145/ح1238): [حدثنا يزيد أنبأنا أشعث بن سوار عن بن اشوع عن حنش بن المعتمر ان علياً رضي الله عنه بعث صاحب شرطته فقال أبعثك لما بعثني له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا تدع قبراً الا سويته، ولا تمثالا الا وضعته]؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص150/ح1283)؛ والإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (ج3/ص28/ح11796)؛ وأبو يعلى في مسنده (ج1/ص392/ح507)، و(ج1/ص425/ح563)؛ وغيرهم؛ ولكن أشعث بن سوار ضعيف، ولكن لعله حفظ هنا، إلا أن لفظة: (وضعته) ليست في بلاغة لفظة: (طمسته).

— وكذلك أخرجها الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد مسند أبيه [ط الرسالة (2/422/1284)]: [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ، حَدَّثَنَا السَّكْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ سَوَّارٍ، عَنْ ابْنِ أَشْوَعٍ، عَنْ حَنْشِ الْكِنَانِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّهُ بَعَثَ عَامِلَ شَرْطَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَدْرِي عَلَى مَا أَبْعَثُكَ؟ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ (أَنْ أَنْحِتَ كُلَّ - يَعْنِي - صُورَةً، وَأَنْ أُسَوِّيَ كُلَّ قَبْرٍ)؛ ولكن السكن بن إبراهيم البصري ليس بالمشهور، وأشعث بن سوار ضعيف كما أسلفنا؛

\* والمتابعة التي أخرجها الطبراني في معجمه الأوسط (ج2/ص306/ح2059): [حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمَّادٍ الْمُفْضَلُ بْنُ صَدَقَةَ (الْحَنْفِيُّ)، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ. قَالَ: بَعَثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: تَدْرِي عَلَى مَا أَبْعَثُكَ؟ عَلَى مَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَدْعُ تِمْنَالاً إِلَّا

كسرتة، وَلَا قَبْرًا مُسَنَّمًا إِلَّا سَوِيَّتُهُ»؛ وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير (ج1/ص108/ح152)، ثم قال: (لَمْ يَرَوْهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِلَّا الْمُفَضَّلُ، وَلَا عَنْهُ إِلَّا إِسْحَاقُ الرَّازِيُّ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ)؛ وقد شذت هذه الرواية بلفظة: (مُسَنَّمًا)، بدلاً من (مشرفاً)

وهناك مزيد طرق ومناقشة لا تخرج في جوهرها عما لخصناه آنفاً فلتراجع في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/173 - 184/494)]: فحديث الإمام مسلم إذاً صحيح بلا شبهة، يجب التدين به، ولا يحل رده، وإن كان لفظه قد عابه اختصار مخل خطير، فلعلنا نستبدله بآتم لفظ، وأجود إسناد:

\* كما أخرجه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (ج3/ص503/ح6487): [عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ لِأَبِي هَيَّاجٍ: «أَبْعَثْكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تَدْعُ قَبْرًا مُشْرِقًا إِلَّا سَوِيَّتَهُ، (يَعْنِي قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ)؛ وَلَا تَمْتَلًا فِي بَيْتٍ إِلَّا طَمَسْتَهُ»]

مع ملاحظة ما يلي بكل دقة:

أولاً: التذكير بتعقيبنا عن جملة: (يَعْنِي قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ)، التي انفردت بها طريق عبد الرزاق، سواء كانت مدرجة من كلام عبد الرزاق، وهو بعيد جداً، أو في أصل الحديث، فأياً ما كان الحال فإن الكلام إنما هو فقط عن (قبور المسلمين)، و(بيوت المسلمين)، قطعاً ولا بد، لا عن غيرهم، لأن هيئة قبور غيرهم، وتمائيل بيوت غيرهم، ملحقة بشعائر دينهم، وبخصوصيات معتقدتهم، وهي محفوظة بعقد الذمة، ومشمولة بقوله، جل جلاله، وتعالى مجده: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، (البقرة؛ 2: 256)، وسيأتي مزيد نقاش وتحرير لهذا، قريباً إن شاء الله؛

وثانياً: أن لفظة (تَمْتَلًا) يبعد جداً أن تكون هي عين لفظ المعصوم، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فالأصل هو إما: (صنماً)، أو (وثناً)، كما سيأتي. والقوم لم يكونوا أهل تنعم ومدنية يقتنون التماثيل والصور للزينة والمتعة الفنية، إلا في الشاذ النادر، وإنما هي أصنام وأوثان.

ويشهد لصحة حديث الباب، ويزيد معناه وضوحاً، الشاهد المستقل الآتي:

\* كما أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي في مسنده (ج1/ص16/ح96) في قصة مهمة: [حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، (وَيَكُونُهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَبَا الْمُورِّعِ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَكُونُهُ، بِأَبِي مُحَمَّدٍ، وَكَانَ مِنْ هَذِيلٍ)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يَأْتِي الْمَدِينَةَ فَلَا يَدْعُ فِيهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ، فَكَأَنَّهُ هَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَرَجَعَ؛ فَانْطَلَقَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَجَعَ فَقَالَ: مَا أَتَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى لَمْ أُدْعَ فِيهَا وَثْنًا إِلَّا كَسَرْتُهُ، وَلَا قَبْرًا

إِلَّا سَوِيَّتُهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَادَ لِصَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْهَا»، فَقَالَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا، وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «لَا تَكُنْ فَتَانًا وَلَا مُخْتَلًا وَلَا تَاجِرًا إِلَّا تَاجِرَ خَيْرٍ فَإِنَّ أَوْلِيكَ الْمُسْبُوقُونَ فِي الْعَمَلِ»؛

— وهو في مسند أحمد [ط الرسالة (2/87/657)]: [حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْهَذَلِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ: (أَيُّكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَدْعُ بِهَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرَهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا؟)، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاَنْطَلَقَ، فَهَابَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَرَجَعَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَنْطَلِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (فَاَنْطَلِقْ)، فَاَنْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَدْعُ بِهَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرْتُهُ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عَادَ لِصَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وسلم)؛ ثُمَّ قَالَ: (لَا تَكُونَنَّ فَتَانًا وَلَا مُخْتَلًا، وَلَا تَاجِرًا إِلَّا تَاجِرَ الْخَيْرِ، فَإِنَّ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُسْبُوقُونَ بِالْعَمَلِ) [

— وهو في مسند أحمد [ط الرسالة (2/88/658)]: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَالَ: (وَيُكْنِيهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَبَا مَوَرِّعَ قَالَ: وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُكْنُونَهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي جَنَازَةٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَقُلْ عَنْ عَلِيٍّ، وَقَالَ: (وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا)، فَقَالَ: مَا أَتَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى لَمْ أَدْعُ صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا. وَقَالَ: (لَا تَكُنْ فَتَانًا وَلَا مُخْتَلًا)؛ كَذَا مَرْسَلًا، بَدُونَ ذِكْرِ عَلِيٍّ، وَهُوَ خَطَأً بَيْنَ مَنْ النَّسَاحُ!

— وهو في مسند أبي يعلى الموصلي (1/390/506): [حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي الْمَوَرِّعِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَذْهَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَا يَدْعُ قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا، وَلَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرَهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ وَهَابَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَقَامَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَذَهَبَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ آتِكَ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِيهَا قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا، وَلَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرْتُهُ، قَالَ: «مَنْ عَادَ إِلَى صَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، صلى الله عليه وسلم، لَا تَكُونَنَّ فَتَانًا، وَلَا مُخْتَلًا، وَلَا تَاجِرًا، إِلَّا تَاجِرَ خَيْرٍ، فَإِنَّ أَوْلِيكَ الْمُسْبُوقُونَ فِي الْعَمَلِ» [

— وأخرجه الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (2/717/1230): [حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْمُبَارَكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي الْمَوَرِّعِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْتِي الْمَدِينَةَ فَلَا يَدْعُ قَبْرًا إِلَّا سَوَّاهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا يَطْلُخُهَا وَلَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرَهُ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا، ثُمَّ هَابَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَجَلَسَ، قَالَ عَلِيٌّ: فَاَنْطَلَقْتُ ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَدْعُ بِالْمَدِينَةِ قَبْرًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا، وَلَا وَثَنًا إِلَّا كَسَرْتُهُ قَالَ: فَقَالَ: (مَنْ عَادَ فَصَنَعَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ: يَا عَلِيُّ لَا تَكُونَنَّ فَتَانًا، أَوْ قَالَ: مُخْتَلًا، وَلَا تَاجِرًا إِلَّا تَاجِرَ خَيْرٍ، فَإِنَّ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُسْبُوقُونَ فِي الْعَمَلِ)؛ وَهُوَ بَعِينُهُ فِي زَوَائِدَ مسند أحمد [ط الرسالة (2/366/1170)]:

— وهو عند الطبراني في معجمه الأوسط (ج3/ص364/ح3412): [حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُبَارَكِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي الْمَوَرِّعِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَلَا يَدْعُ قَبْرًا وَلَا وَثْنًا إِلَّا كَسَّرَهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا؟» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ هَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَجَلَسَ. قَالَ عَلِيٌّ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَدْعُ قَبْرًا بِالْمَدِينَةِ إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا وَثْنًا إِلَّا كَسَّرْتُهُ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا، فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ، لَا تَكُونَنَّ فَتَنًا وَلَا مُخْتَلًا وَلَا تَاجِرًا، إِلَّا تَاجَرَ خَيْرٍ»؛ ثُمَّ قَالَ الطبراني: (لَمْ يَرَوْهُ عَنْ شُعْبَةَ إِلَّا أَبُو شَهَابٍ)؛ قلت: رحمك الله، فقد رواه كذلك أبو داود الطيالسي، ويزيد بن زريع، وغيرهما.

— والتي أخرجها الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج1/ص111/ح881)، و(ج1/ص139/ح1175) باختصار كبير: [حدثنا أسود بن عامر حدثنا شعبة قال: الحكم أخبرني عن: أبي محمد عن علي رضي الله عنه قال بعثه النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة فأمره أن يسوى القبور]

— وبعضه في التاريخ الكبير (ج3/ص53/ت203): [وقال غندر عن شعبة عن الحكم عن رجل من أهل البصرة يكنى أهل البصرة أبا المورع وأهل الكوفة يكنونه بأبي محمد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لعلي]

\* وأخرجه الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند (ج1/ص139/ح1176) من طريق ثانية: [حدثني شيبان أبو محمد حدثنا حماد يعني بن سلمة أنبأنا حجاج بن أرطاة عن الحكم بن عتيبة عن أبي محمد الهذلي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعث رجلا من الأنصار أن يسوى كل قبر؛ وأن يلطخ كل صنم فقال يا رسول الله إني أكره أن أدخل بيوت قومي؛ قال: فأرسلني، فلما جئت قال يا علي لا تكونن فتانا ولا مختالا ولا تاجرا إلا تاجر خير فإن أولئك مسبقون في العمل]

— وبعضه في التاريخ الكبير (ج3/ص53/ت203): [وقال حجاج عن الحكم عن أبي محمد البصري عن علي مثله]

\* وجاء بعضه في التاريخ الكبير (ج3/ص53/ت203): [وقال سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن أبان بن تغلب عن الحكم عن ثعلبة بن يزيد (أو يزيد بن ثعلبة) عن علي أمرني النبي، صلى الله عليه وسلم، مثله]

قلت: رواية الإمام أبي داود الطيالسي في مسنده (ج1/ص16/ح96) أولى الروايات بالصحة والقبول والتقديم، حتى على حديث الإمام مسلم، لأسباب، منها:

— أن الحكم بن عتيبة من الأثبات المتقنين، لم يعب عليه غير التدليس، والرواية عنه الإمام شعبة بن الحجاج، عدو التدليس الأكبر، لا يأخذ من شيوخه إلا ما صرحوا بسماعه من شيوخهم: فأمننا تدليس الحكم؛

— ولأن فيها قصة تامة، وهذا أدعى للحفظ؛

— ولأنها في لفظها أوضح وأتم، مع موافقة لفظها لألفاظ جميع الروايات بالنسبة للجملة الأولى: **(تسوية القبور)**؛ وكذلك للحد الأدنى المشترك بين الروايات بالنسبة للجملة الثانية: (كسر كل وثن، ولطخ كل صورة) بمعنى: (كسر كل وثن مجسم، ولطخ **صورة كل وثن** غير مجسمة)، حتماً ولا بد، وبذلك تنسجم جميع الألفاظ ولا يحدث بينها تناقض: فلفظ الإمام مسلم، والطبراني في الأوسط: (طمس التماثيل)، وكذلك لفظة: (مسح التماثيل) في مسند الإمام أحمد، تعني بالضرورة تماثيل وصور **الأصنام والأوثان**، لا غير، والطمس (أو: المسح) يكون:

(أ) - للرسم باللطخ، أي بالطلاء فوقه حتى يغيب،

(ب) - وللنقش البارز بالحك حتى يزول، أو بالتطيين فوقه طبقة كثيفة سميكة حتى يغيب تحتها،

(ج) - وللمجسم بالكسر والتحطيم؛

وهكذا جميع الألفاظ الواردة، وإن كان في بعضها اختصار أو تساهل، مثل: **(لطخ كل صنم)**؛

— وأبو المورع الهذلي البصري رجل مشهور معروف عندهم: يعرفه أهل البصرة، ويعرفه أهل الكوفة بكنيته الثانية (أبو محمد)؛ فلا معنى لقول الحافظ عنه وعن أبي الموالي: (عن علي: لا يعرفان)، كذا بأحرفه في لسان الميزان (ج7/ص113/ت1215 - 1216)، فإن صح هذا عن أبي الموالي (أو: الموالي) لأنه لم يرو عنه إلا يحيى بن قيس الكندي الكوفي، وهو نفسه ليس بالمشهور؛ فلا يصح قطعاً في حق أبي المورع؛ على أن أبا المورع قد توبع، فيما يظهر لي، فقد جاء في علل الدارقطني [العلل الواردة في الأحاديث النبوية (4/197)]: [فَرَوَاهُ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْهُذَلِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ. وَخَالَفَهُمَا أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ، رَوَاهُ عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَزِيدِ الْحَمَانِيِّ عَنْ عَلِيٍّ. وَخَالَفَهُمْ طَارِقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَوَاهُ عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَلِيٍّ. وَكَذَلِكَ قَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ فِيمَا بَلَغَهُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ قَيْسٍ. وَأَشْبَهَهَا بِالصَّوَابِ قَوْلُ شُعْبَةَ، عَنِ الْحَكَمِ]، فالراجح عندي أن يكون الحكم بن عتيبة قد سمعه أيضاً من ثعلبة بن يزيد الحماني عن علي، أو بواسطة عنه، وكذلك بواسطة عن قيس بن أبي حازم عن علي، ولكن شعبة لم يعجبه ثعلبة بن يزيد الحماني، وهو ثقة، لإفراطه في التشيع، أو لغير ذلك من الأسباب، أو لم تعجبه تلك الوسائط فكتب حديث أبي المورع فقط.

**ولعلنا نسارع فنلاحظ ها هنا أموراً مهمة:**

**الأمر المهم الأول:** أن ذلك وقع في المدينة عرضاً، حيث كانوا في **جنازة**، ولم يكن بالقطع أول أيام دخوله في المدينة لأن علي بن أبي طالب تأخر زماناً في مكة لأداء أمانات النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. بل

الصحيح الراجح أن ذلك كان في جنازة عثمان بن مظعون، رضي الله عنه، على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، كما هو عند أكثر أهل الأخبار، وإن كان الأصح عندي أن وفاته كانت بعد الخندق، الذي شهده عثمان بن مظعون حيث أخرج الطبراني في معجمه الكبير (ج12/ص369/ح13369) بإسناد جيد: [حدثنا محمد بن نصر الصائغ قال حدثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري قال حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال بعثني خالي **عثمان بن مظعون** لآتيه بلحاف فأتيت النبي، صلى الله عليه وسلم، فاستأذنته، **وهو بالخندق**، فأذن لي وقال: (من لقيت منهم قل لهم ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يأمركم ان ترجعوا)؛ **وكان ذلك في برد شديد**؛ فخرجت فلقيت الناس فقلت ان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يأمركم أن ترجعوا قال: (فلا والله: ما عطف علي اثنان أو واحد)؛ وهو بعينه في المعجم الأوسط (ج5/ص274/ح5299)، ونسارع فنقول أنه لم يفتنا أن الإمام النسائي قد ذكر أن لعبد العزيز بن محمد الدراوردي مناكير عن عبيد الله بن عمر، وقد حملنا ذلك على أنه، على طريقة المتقدمين، إنما أراد الإغراب والتفرد، وليست النكارة الموجبة لتضعيف الرواية أو ردها، كما هو مصطلح المتأخرين لأن عبد العزيز بن محمد الدراوردي ثقة بإجماع من يعتد به من الأئمة النقاد.

وقد جاءت الروايات المتضافرة بأنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حضر جنازة عثمان بن مظعون، رضي الله عنه، ووقف على قبره، وعلمه بصخرة ضخمة، وربما كان - وهو المرجوح البعيد، بل هو في غاية البعد - على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عند وفاة أسعد بن زرارة، رضي الله عنه، في شوال من تلك السنة، وهو أول من مات في المدينة من المسلمين بعد الهجرة على الإطلاق، ولم يرد سوى أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكانت تلك أو صلاة على الميت بإطلاق، ولو شهد جنازته تلك حتى الدفن لسارت بذلك الركبان.

وربما اعترض إنسان بحق أنه من الممكن أن تكون تلك الجنازة لأنصاري آخر مات بعد أسعد بن زرارة، رضي الله عنه، وقبل جنازة عثمان بن مظعون، رضي الله عنه، ولم تتجه الهمم لرواية ذلك لأن عادة النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بعد ذلك، أي بعد وفاة أسعد بن زرارة، رضي الله عنه، كانت شهود جناز أصحابه. فنقول: لا بأس بأي ذلك كان:

(أ) — فإن كان ذلك قبل السنة الثالثة، والمدينة مملوءة باليهود، وما زال فيه بعض عبدة الوثن؛

فليس فيها ذكر لقبور غير المسلمين أو لبيوت غير المسلمين أصلاً. وفي هذا تأكيد لرواية عبد الرزاق؛

(ب) — وإن كان ذلك قبل القضاء على بني قريظة، وإجلاء عامة اليهود من المدينة، في السنة

الخامسة للهجرة: فليس فيها ذكر لقبور أهل الكتاب أو لبيوت أهل الكتاب أصلاً. وفي هذا زيادة تأكيد لرواية عبد الرزاق؛

(ج) — وإن كان بعد ذلك، أي بعد السنة الخامسة للهجرة، فهو أمر متأخر جداً؛



### **ففي جميع الأحوال يجب القطع بأنه:**

**أولاً:** لا علاقة لهذه الأوامر بقبور غير المسلمين أو التماثيل الوثنية في بيوت غير المسلمين، ومن باب أولى لا علاقة لها بالقبور الأثرية المندثرة، أو التماثيل الوثنية وغير الوثنية الموجودة في البيوت المهجورة، والمعالم الأثرية الظاهرة والمدفونة؛ فالروايات صريحة في أن ذلك كان فقط في دور الأنصار المأهولة، وما قد يكون منصوباً على أبواب بيوتهم من تماثيل الأصنام، أو منقوشاً على جدران بيوتهم من صور الأوثان، وفي القبور الموجودة في المدينة النبوية الشريفة،

### **وثانياً: لم تكن (تسوية قبور المسلمين) أو (طمس صور وتماثيل الأوثان في بيوت**

**المسلمين)** من أولوياته، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، كما هو في وسوس أهل الهوس المخبولين، من الغلاة المارقين أتباع الدعوة الوهابية:

#### **(أ) — فمن المحال الممتنع أن تكون (تسوية قبور المسلمين) أو (طمس صور وتماثيل**

**الأوثان في بيوت المسلمين)** من جنس الأوثان الواجب اجتنابها وتحطيمها، كالتى كانت في بيت الله الحرام، ثم يسكت عنها النبي، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، ولو لطفة عين؛ وهو سيد المدينة، ذو السلطان النافذ والسيف المسلول.

#### **(ب) — ومن المحال الممتنع أن يكون ذلك من جنس الأوثان الواجب اجتنابها وتحطيمها، ويمر**

عليها السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، أولئك السعداء الذين {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، (التوبة: 9: 100)، ليل نهار، ولا يخطر لهم على بال استنكارها، أو الاعتراض عليها، أو مشاورة النبي، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، في شأنها؛ هذه **غفلة وبلادة** لا يظنها فيهم إلا الغلاة المارقون من أتباع الدعوة الوهابية، ولا عجب، فقد قال ذو الخويصرة التميمي، أول الغلاة المارقين، للنبي، عليه وعلى آله الصلاة والسلام: (اعدل، فإنك لم تعدل)، فهو في نظر نفسه أعدل وأخشى لله من خاتمة أنبياء الله، عليه وعلى آله صلوات وتسليمات وتبريكات من الله!

#### **(ج) — وأن الأصنام والأوثان الواجب اجتنابها وتحطيمها إنما هي حصراً الموجودة في (بيوت**

**المسلمين)**، وفي **(المعابد الشركية المأهولة في جزيرة العرب)**؛ وأما المعابد الشركية المهجورة، في جزيرة العرب أو خارجها، فإنما هي أطلال وآثار، وليست معابد، وقد سقطت عنها التسمية، فلا علاقة لحديثنا بها أصلاً. و**(المعابد الشركية المأهولة)** خارج جزيرة العرب ستكون قطعاً مشمولة بعقد الذمة، فهي مصونة محمية، لا تمس؛ فإن تركها أهلها وهجروها أصبحت مجرد آثار وأطلال: وهذا على التحقيق هو واقع أصنام (بوزا) الضخمة في وادي باميان بأفغانستان؛

**والأمر المهم الثاني:** أن ذلك منوط فقط بالسلطان: فلم يقم به علي بن أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليه، من تلقاء نفسه، ولا خطر ذلك على باله، وإنما هو بأمر النبي، عليه وعلى آله الصلاة والسلام؛ ولا

### **نفس عن أطماع المدينة أن تخدم**

فعله أبو الهياج الأسدي من تلقاء نفسه، ولا خطر ذلك على باله، وإنما بأمر من رئيس الدولة، أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب؛

**والأمر المهم الثالث:** أنه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم يباشر ذلك ولا وقف على التنفيذ بنفسه، وإنما طلب من يتطوع بذلك، واكتفى بإرسال الأنصاري أولاً، فلم خاف هذا، أو كره هذه المهمة، وطلب الإقالة منها، أقاله بدون لوم أو توبيخ، وبعث علياً لإنجازها؛ خلافاً للأصنام التي كانت في الكعبة حيث أمر بإخراجها، حتى قبل دخوله الحرم، ووقف بنفسه على تحطيمها فور دخوله مكة، قبل أن يحط رحاله.